Blue 22

جامعة بيرزيت
المكتبة
1 MAY 1986
Library

داخل

الكاتب ٦١

للثقافة الإنسانية والتقدم

العدد
حادي والستون
أيار - ١٩٨٥

- اليمين الفلسطيني خطوات اخرى على درب الهوان .
- التربية في الضفة الغربية وماء لا بد من القضاء عليه .
- العواصف الاجتماعية في منطقة الخليج العربي .
- التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لقرية كفر عانا .
- الصندوق القومي اليهودي اساليب شراء الاراضي
- مأثرة الشعب مأثرة ادبه
- رابطة التشكليين الفلسطينيين
- اتحادات الشبيبة الشيوعية
- ناقد وثلاث شعراء
- حدد خطاك
- يا الطيور الطايرة
- حكاية بحار

الامبريالية العالمية تتنكر لمعاهدة يالطا

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب
للثقافة الإنسانية والتقدم

صاحب الامتياز - المراسلات
أسعد الأسعد
القدس

AL-KATEB
For human culture and progress
Editor -
Asa'd Al-Asa'd
P.O.Box 20489
Jerusalem

رئيس التحرير
أسعد الأسعد

مدير التحرير: محمد شاهين

هيئة التحرير

بثام الصالحي — تيسير عاروري
جميل السلحوت — صالح زقوت
عادل الزاغة — عمر حمش
محمد البطراوي — محمود الشيخ

السكرتير الإداري: يحيى شقير

صف ومونتاج: عبير أبو غوش

المراسلات:
الكاتب - ص.ب: ٢٠٤٨٩ القدس

الاشتراكات:
بالدولار أو ما يعادله عن سنة واحدة

محليًا ١٥ دولار
بلدان أخرى ٤٠٠ دولار

المؤسسات

المحلية ٥٠ دولار
بلدان أخرى ١٠٠ دولار

ترتيب المواد في هذا العدد يخضع لضرورات فنية

لا ترد المواد المرسلة إذا لم تنشر.

Digitized by Birzeit University Library

كلمتنا

- اليمين القلسطيني :خطوات اخرى على درب الهوان ٢

سياسة

- س . برغوثي
- مؤتمر بالطا ٤
- يوسف الحسن
- العواصف الاجتماعية في منطقة الخليج العربي ٤٣

دراسات وابحاث

كينيث ستاين
- ترجمة : سمير حليلة
- الصندوق القومي اليهودي :اساليب شراء الاراضي والاولويات ١٩٢٤ – ١٩٣٩ ٦٣

- حسين جميل البرغوثي
- دراسة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لاحدى قرى منطقة يافا : قرية كفر عانا ٥٣

- خليل محشي
- التربية في الضفة الغربية وباء لا بد من القضاء عليه ٢٤
- اتحادات الشبيبة الشيوعية معلومات موجزة ٨٩

مداخلات

- كريم دعاح
- رابطة التشكيليين الفلسطينيين في الضفة والقطاع آمال وطموحات ٨٥

لقاء

- مأثرة الشعب مأثرة ادبه ٨٠
- لقاء مع ناقد وثلاثة شعراء ٩٧

قصة

- اسامة محيسن العيسة
- يا الطيور الطايرة ١٠٨
- ريم الاتحاد السوفييتي
- حكاية بحار ١١٢

شعر

- أسعد الاسعد
- حدد خطاك ١١٤
- خليل توما
- قصائد ١١٧
- يوسف حامد
- لا بد من التلاقي ١٢٢

متفرقات

- رسالة الى المحرر ١٢٤

شهريات

- رسائل وردود ١٢٥
- اصداء ثقافية ١٢٨

Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

مؤتمر يالطا
٤ - ١١ شباط ١٩٤٥

بقلم : س . برغوثي

نحن الآنَ في شهر نيسان من عام ١٩٨٥ ، والمسافة الزمنية التي تفصل بيننا وبين شهر شباط من عام ١٩٤٥ ، هي اربعون عاما بالتمام والكمال ، ولقد انطوت هذه الحقبة الزمنية الطويلة بالنسبة لعمر الانسان على احداث وتطورات اسفرت عن تغيير جذري في

Digitized by Birzeit University Library

وجه عالمنا الذى نعيش فيه . وكان ابرز هذه التغيرات ظهور المنظومة الاشتراكية كقوة جبارة تملك التأثير الحاسم في مجرى الاحداث العالمية وفي مسارها واتجاهها ، وكذلك انهيار امبراطوريات ، كانت الشمس لا تغيب عن اراضيها ، كالامبراطورية البريطانية، وانهيار النظام الاستعمارى في كافة انحاء كوكبنا ، وظهور عشرات الدول المستقلة التي ازاحت عن كاهلها النير الاجنبي في جميع القارات، وترعرع حركة التحرر الوطنية في العالم اجمع ، وسقوط تيجان كانت جذورها -بانظمتها القمعية_متغلغلة بعمق بحيث كان يخيل لقصيري النظر انها خالدة تمتنع على التغيير .

اما في عالمنا العربي، فتكفي نظرة متفحصة لما كانت عليه اوضاعه ابان الحرب العالمية الثانية وما آلت اليه الان لتكشف عن التغير الهائل الذى اعتراه ،والذى فرض نفسه قسرا في كثير من الاحيان. بالرغم من المعوقات التي كانت تضعها في طريقه الرجعية التي يشكل التغيير اعدى اعدائها ، وباختصار فان العالم شهد خلال الاربعين سنة الاخيرة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية، تطورا مذهلا بات فيه على اعتاب نقلة نوعية تشمله كله ، خصوصا وان النظام الرأسمالي الامبريالي يعاني من ازمة متأصلة ، متفاقمة دوما لم يسبق له ان شاهد مثلها من قبل، وهو، اى النظام الرأسمالي اعجز من ان يعالجها ، وكل محاولاته الترقيعية لازمته اللازمة له كظله ، ستذهب هباءا ، ولن يجني من ورائها الا تعميق الازمة واتساع رقعتها .

في ظل هذه التغيرات المذهلة، التي اوشكت ان تنقل العالم الى مناخ انساني معافى من امراض الرأسمالية وادواتها ، في ظل ذلك كله، تصادفنا بين الحين والاخر تصريحات تصدر عن هذا الامبريالبي او ذاك تنطوى على آمال هي أشبه باحلام اليقظة ، باعادة عقارب ساعة التاريخ الى الوراء ، الى الزمن الذى كان فيه الامبرياليون يتلاعبون بمصائر الشعوب، وبوصلتهم التي يسترشدون بها، هي نفس البوصلة التي يسترشدون بها في الوقت الحاضر وهي جشعهم وارواء ظمأهم من كد الاخرين وكدحهـــــم .

فمثلا يلجأ الامبرياليون على اختلاف مواقعهم الى الادعاء ، بأن الاتفاقيات التي تم التوصل اليها في مؤتمر يالطا، بالقرم، انما تضمنت تقاسم لمناطق النفوذ ، وتقسيم القارة الاوروبية بين الدول الكبرى المتحالفة ضد النازية. ففي خطاب القاه رونالد ريجان في السابع عشر من اغسطس / آب ١٩٨٤ بواشنطن، اعلن فيه ان الولايات المتحدة الامريكية " ترفض اية ترجمة لمقررات مؤتمر يالطا تنطوى على موافقة امريكية لتقسيم اوروبا الى مناطق نفوذ ." وفي رسالة بعث بها ريجان الى صحيفة برلينر مورجن بوست وهي صحيفة تصدر في برلين نشرتها له بتاريخ ١٩٨٥/١/٢ ووجهها الى سكان برلين، اكد فيها ان الحلفاء الغربيين هم حماة برلين، بل هم حماة الأمة الالمانية، وانهم لايرجون من وراء وجودهم في برلين الا حمايتها ، والتذكير بأن تقسيم المانيا المأساوى ، وكذلك القارة الاوروبية ليس تقسيما سرمديا !

وما ان بدأت ادارة ريجان في نشر

Digitized by Birzeit University Library

الادعاءات حول مقررات مؤتمر "يالطا حتى تلقف "بريجنيو بريجنسكي"، وهو مستشار الرئيس الامريكي الديموقراطي السابق كارتر، الكرة ليدلو بدلوه ، في هذا المجال. ففي كلمة نشرتها له مجلة " فورن افيرز مجازين" في عددها الاخير ٨٤ / ١٩٨٥، قال : " ان الهدف المشترك الذى يجب على الغرب ان يسعى اليه انما هو خلق المناخ المناسب لتعطيل قرارات مؤتمر "يالطا". وطرح بريجنسكي برنامجا محددا تضمن : "ان يعلن الغرب على الملأ تنصله من مقررات مؤتمر يالطا ". ان ما يعنيه بريجنسكي هنا ، ما يدعوه " بتقسيم اوروبا "، وان يلتزم الغرب باعادة الوحدة للقارة الاوروبية". ان الترجمة العملية لاقوال بريجنسكي هذه هي وضع حد لحالة الانقسام الاوروبية التي كانت بلاده البلد الوحيد التي دعت اليها . وقد حث بريجنسكي الدول الاوروبية الغربية على زيادة تدخلها في شؤون اوروبا الشرقية وان تعمق من هذا التدخل ، وطالب باقامة مؤسسة مالية تسهم فيها كل من فرنسا وبريطانيا والمانيا الغربية وايطاليا بسخاء، لمد يد المساعدة لما اسماه بالجهود التي يبذلها الاوروبيون الشرقيون للتغلب بطريقة سلمية على حالة الانسلاخ التي تعاني منها اقطار اوروبا الاشتراكية،وكان اهتمام بريجنسكي منصبا بطبيعة الحال وبالدرجة الاولى على بولندا ، التي عانت المآسي خلال الحرب العالمية الثانيـــــة .

ان ما صرح به بريجنسكي، انما يدل على ان مقررات مؤتمر يالطا، تمثل شوكة في حلق اولئك الذين يحتمون باعادة مسار التاريخ الى الوراء، والمؤسف ان هنالك العديد منهم، فانغام النشاز هذه ليست مقتصرة على الجوقة الامبريالية في واشنطن، فعازفوها كثيرون وهم منتشرون في جميع ارجاء الساحة الرأسمالية، وان كان هنالك من مبرر لواشنطن، فهي انها موطن المايسترو . ذلك اننا نشهد على الساحة البريطانية اشياء مماثلة لما شهدناه على الساحة الامريكية، فقبل ان تحين الذكرى السنوية لمؤتمر "يالطا" بفترة قصيرة وجه التلفزيون البريطاني اللوم لحكومة "ونستون تشرتشل" المحافظة على ما اسماه بالاخطاء التي ارتكبتها في نهاية الحرب العالمية الثانية (١) . وما يسمى " بالخطأ" الذى تضمنه التوقيع على اتفاقيات مؤتمر "يالطا" من قبل ممثلي الدول الغربية في المؤتمر ، يتصدر افتتاحيات معظم الصحف البريطانية في هذه الايام، والهدف الذى تسعى اليه هذه الصحف هو اقناع الشعب البريطاني بأن انتصار الاشتراكية في اقطار اوروبا الشرقية انما يعود وبالتحديد الى " التنازلات التي قدمها كل من تشرتشل وروزفلت الى ستالين في يالطـــــا ".

وعلى كل حال، فإن اشد اعداء الاشتراكية تعصبا ، كصحيفة "الايكونومست" البريطانية قد اضطرت الى الاعتراف بأن اعادة الاوضاع في القارة الاوروبية الى ما كانت عليه قبل الحرب العالمية الثانية هو امر مستحيل . ومع ذلك فان الوهم " بتآكل " المنظومة الاشتراكية يلاقي حماسا منقطع النظير في اوساط الطبقة الحاكمة البريطانية . وترى صحيفة الايكونومست اياها ، " ان الامر لا يحتاج بالنسبة لالمانيا الديموقراطية، الا بمدها بالمال". اما بالنسبة لبولندا فيتطلب الأمر

Digitized by Birzeit University Library

" جدولة ديونها وفق الخطوات الليبرالية التي تتخذها في سياستهـــا ".

اما اذاعة لندن فكانت اكثر صراحة حينما اعلنت " ان ما يحتاج اليه الغرب هو قبل كل شيء خلق اتصالات افضل مع اقطار اوروبا الاشتراكية ليتسنى له التأثير على الاحداث فيها بحيث تتخذ مسارا معاكسا ." وقالت اذاعة لندن " انه من الافضل ان تتم هذه الاتصالات مع كل دولة على حدة " واضافت " ان على الغرب ان يستغل ويشجع المشاعر الدينية، والوطنية، واية اتجاهات اخرى." والهدف النهائي لكافة هذه الاحلام مجتمعة هو كما اوضحته صحيفة الايكونومست نفسها ، حينما اعربت بحسرة عن الرغبة التي تتملكها في ان تحدث تغيرات جذرية لمصلحة الغرب في اقطار اوروبا الاشتراكية وحتى الاتحاد السوفييتي نفســـه !!!

ولا يقف الامر عند هذا الحد، اذ تبذل السلطات البريطانية اقصى الجهد لانتزاع اى شعور طيب نحو الاتحاد السوفييتي ونحو الاقطار الاشتراكية يعيش في صدور ابناء الشعب البريطاني . ولا يحدث اطلاقا ان يجد المرء ولو بالصدفة كلمة تصدر عن الاوساط الرسمية او عن صحفها ، تتحدث عن الدور الذى لعبه الاتحاد السوفييتي لتحقيق النصر على الفاشية في الحرب العالمية الثانيـة.

اما في باريس، فهنالك ايضا من يود ان يعيد النظر في اتفاقيات مؤتمر يالطا، ويجد في تصوير هذه الاتفاقيات وكأنها احدى "المصائب" التي ألمت بفرنسا وباوروبا على العموم. فقد اعلن "لي بن" وهو فاشستي ، يتشبه بهتلر ويقود ما يسمى بالجبهة الوطنية، اعلن انه لن يوافق ابدا على مقررات مؤتمر يالطا التي تحول دون ان تصبح اقطار اوروبا الشرقية جزءا من اوروبا الحرة.!!.. وكان كلود تشيسون، وزير الخارجية الفرنسية السابق، قد اعلن مرارا، ان تجاوز مقررات مؤتمر يالطا، انما يعني النضال من اجل احداث تغيير في انظمة الاقطار الاشتراكية الاوروبية، ومع ان كلود تشيسون - وهو اشتراكي - قد اشار الى انه لا يعني بالطبع اجراء اى تغيير في حدود هذه الدول من وجهة النظر القانونية، وانما الذى يقصده هو مجرد التغلب على حالة الانقسام التي يعاني منها اوروبيون". غير ان الوزير الاشتراكي لم يوضح كيف وبأية وسيلة يمكن تحقيق ذلك . ان الرغبة في تجاوز " مقررات مؤتمر يالطا" قد تضمنتها الآن احدى وثائق الحزب الاشتراكي الفرنسي في مؤتمره الذى عقده في مدينة بورج انيرسي عام ١٩٨٣ . وقد اعلن جاك هانت زجنر، وهو سكرتير الحزب الاشتراكي الفرنسي للشؤون الخارجية في مقال له نشرته مؤخرا صحيفة ليموند الفرنسية، اعلن " انه اذا لم يتم التغلب على النهج القاسي لمؤتمر يالطا فانه من المستحيل ضمان الامن الاوروبـــي".

ان التحدث عن " تجاوز مؤتمر يالطا" يعني في واقع الحال اعادة النظر فـــي الحقائق السياسية والاقليمية التي اسفرت عنها الحرب العالمية الثانية ، وتعريض الاستقرار في القارة الاوروبية للخطر .فأى مصلحة لفرنسا في هذا كله ؟ وهل ينسجم تأمين المصالح الفرنسية مع ما اسفر عنه مؤتمر يالطا" من نتائج ام انه يتفق مع ما ينادى به

Digitized by Birzeit University Library

الحزب الاشتراكي الفرنسي الحاكم بتجاوز هذه النتائج ؟. لقد اظهرت الظروف التي رافقت انعقاد مؤتمر يالطا، انه جرى اعتبار فرنسا دولة كبرى من جديد، وافردت لها منطقة احتلال في المانيا أسوة بالدول الكبرى الثلاث الاخرى ، واصبحت عضوا يملك حق النقض في مجلس الامن، ولقد تم لها كل ذلك بفضل الاتحاد السوفييتي وحسب. ذلك ان حلفاءها الغربيين كانوا قد اغفلوا امر وجودها تماما بعد ان داست باريس نعال النازيين. بل انهم ما كانوا ليرعووا عن تقاسمها لولا وجود الاتحاد السوفييتي، فهم اشبه بقطيع الذئاب اذا ما اصيب احدها لا تلتف من حوله لتحميه ، وانما تتصارع فيما بينها على نهش لحمه وازدراده . ولا نشك بان الحزب الاشتراكي الفرنسي يجهل هذه الحقائق التاريخية ،وانما الذي نعرفه بالتأكيد هو ان شعار الاشتراكية الذي يرفعه ليس اكثر من برقع مزيف يريد به اخفاء طبيعته الامبريالية البشعة .

وترتفع في بون ، بمناسبة الذكرى الاربعين لمؤتمر يالطا الشعارات الطنانة، " لنتجاوز يالطا "، " لنقضي على تجزئة اوروبا " " انه بدون اعادة توحيد المانيا يستحيل تنظيم القارة الاوروبية". ويقول مستشار المانيا الغربية هيلموت كول " ان الحرية هي الشرط المبدئي لتحقيق الوحدة في اوروبا ". ولكن ماذا تعني كلمة " الحرية" في لغة حكام بون ؟ انها تعني تطبيق النظام الرأسمالي : ومن هنا فان الحملة التي يقودها حكام بون ضد "يالطا" والتي يحاولون بها توريط حلفائهم فيها، لا يقصدون من ورائها الا تصفية النظام الاشتراكي في دول اواسط وجنوبي شرق اوروبا . تأتي في مقدمة هذه الدول "جمهورية المانيا الديموقراطية". ويتصور اوتو فريد هينغ وزير الدولة الالماني الغربي للعلاقات الداخلية الالمانية، ان " المشكلة الحقيقية" تكمن في " الدكتاتورية الشيوعية التي تتمثل على الثرى الألماني" ويقول انه اذا ما تم توحيد المانيا فان الدستور المطبق في المانيا الغربية سيجرى تطبيقه على كافة الاراضي الالمانية. اما موضوع الحدود بين الدولتين فيقال - نفاقا - ان لا اهمية له في الوقت الحاضر عند ساسة المانيا الغربية فهم يدعون " ان مسألة الحرية هي التي تتبوأ الصدارة الان". ويحاول قادة التجمع المسيحي ادخال هذا التكتيك في رؤوس زعماء الانتقاميين الذين يرفعون شعار "الانتقام" علهم يقتنعونهم به، غير ان هذا التكتيك اعجز من ان تستسيغه عقول الانتقاميين السميكة، فالامر عند هؤلاء هو على العكس من ذلك تماما ، ان الاستيلاء على الارض يأتي في نظرهم اولا، ومن ثم يصبح في مقدورهم اقامة النظام الذي يريدونه على انقاض اصحاب الارض. وما الشعار الذي رفعه شتراوس الذي يدعو فيه الى " سليزيا حرة، ضمن اوروبا الحرة" الا محاولة لاخفاء ادعاءاتهم الاقليمية التي ما زالت حية تعشش في رؤوسهم . لقد اكد هذه الحقيقة الزعيم الالماني الفريد دراغر في مقابلة اجرتها معه صحيفة دي ثلت الالمانية حيث قال اجابة على سؤال حول ما سيؤول اليه مستقبل سليزيا " ان الاوضاع لن تكون ابدا مثلما كانت عليه عام ١٩٤٥ ، غير انني اعتقد انها لن تستمر كما هي عليه الآن ؟؟ وتسعى بون في محاولاتها لترجمة مفاهيمها الانتقامية المعادية للشيوعية الى الحصول على مساندة

Digitized by Birzeit University Library

حليفتها الاولى الولايات المتحدة الامريكية. ومن هنا فقد اثارت تعليقات القادة الامريكيين على قرارات يالطا، البهجة في اوساط حكام الراين لقدتضمنت بون تثمينا عاليا ما تضمنه البيان المشترك عقب زيارة كول الاخيرة لواشنطن والذى جاء فيه " ان الولايات المتحدة والمانيا الغربية لن تتقبلا حالة الانقسام الحالية في اوروبا لامد طويل ." لقد استقبلت بون هذه العبارة الاستفزازية بالترحاب واعتبرتها نجاحا لسياستهـــا .

لقد تحولت المانيا الغربية في الوقت الراهن الى ترسانة نووية امريكية ضخمة. وانتصبت فوق اراضيها صواريخ بيرشينغ وكروز الامريكية المخصصة للضربة الاولى، بينما تزداد ايضا القوة العسكرية الذاتية لبون التي نجحت في رفع الحظر الذى شملها من انتاج الصواريخ وقاذفات القنابل بعيدة المدى. ان عسكرة المانيا الغربية يتناقض تناقضا صارخا مع قرارات مؤتمر " يالطا" التي تنص على "عدم السماح لالمانيا مطلقا بأن تكون قادرة ابدا على زعزعة السلام العالمـــي ."

ان تهديد السلام في اوروبا لا يتأتى من "الانقسام" الوهمي الذى يتخيله قادة بون وغيرهم من الامبرياليين، وانما يأتي من سباق التسلح الذى اطلق العنان له اعضاء حلف الاطلسي الذين ينادون بتغيير الحقائق الاقليمية والسياسية القائمة الان في القارة الاوروبيـــة .

ويتلون النغم النشاز الذى يعزفه الامبرياليون حول مؤتمر "يالطا" ليتخذ له ايقاعا اخرا في طوكيو باليابان، حيث يرفع شعار " فلنظهر التاريخ" وهو شعار ترفعه الاوساط الحاكمة اليابانية ليعبر بدقة عن المعنى الحقيقي للحملة المتصلة التي تدعو الى مراجعة الاسباب التي ادت الى المصيبة التي احاقت باليابان في عام ١٩٤٥ . وبالرغم من احتجاجات الرأى العام في اليابان نفسها ضد هذه الحملة ومن احتجاجات الرأى العام في البلاد التي تعرضت للارهاب الياباني خلال الحرب العالمية الثانية، بالرغم من كل ذلك يستمر اصدار الكتب والاشرطة السينمائية والصحف على اختلافها ، التي تجهد جميعا في تبييض صفحة اولئك القادة اليابانيين الذين دمروا حياة الملايين من ابناء الشعب الياباني. وشعار " تطهير التاريخ" لا يتعلق بالماضي وحسب وانما يرتبط ارتباطا وثيقا بالحاضر وبالمستقبل ايضا . لقد بدا هذا واضحا في كل ما نشر وخصص لمؤتمر " يالطا" . ويجرى عبر كل ذلك تحريف الاسباب التي دعت الاتحاد السوفييتي الى الالتزام بدخول الحرب ضد اليابان فيمؤتمر "يالطا" وتتجاهل الاوساط اليابانية حقيقة ان قرارات مؤتمر "يالطا" فيما يتعلق باليابان لم تكن الا تطويرا للمبادئ العامة التي تقوم عليها سياسة الحلفاء المعادية للمحور الفاشي والتي تم وضعها في شهر ديسمبر / كانون اول عام ١٩٤٣ وتضمنها بيان القاهرة الذى وقعته كل من الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا والصين : لقد نص البيان المذكور على انه يجب طرد اليابان من كافة الاراضي التي احتلتها بالعدوان . ومع ذلك نجد الكاتب الياباني "تاكي ياما" يعلن في مقال نشرته له الصحيفة

Digitized by Birzeit University Library

اليابانية "سيرون" انه لم يحدث ابدا ان اعتدت اليابان على الاتحاد السوفييتي، وانما الاتحاد السوفييتي هو الذى هاجم "اليابان". لقد نسي الكاتب حقيقة ان اليابان قد شنت حربين على الاتحاد السوفييتي في عامي ١٩٢٠ ،و١٩٣٠ علىالتوالي. وانها كانت قد نظمت استفزازات مستمرة ضد الاتحاد السوفييتي على طول حدوده مع منشوريا التي كانت اليابان تحتلها . كما ان العالم لم ينس بعد الغزو الياباني للاراضي السوفييتية عند بحيرة خازان عام ١٩٣٨ . وينسى الكاتب ايضا ان اليابان كانت عضوا رئيسيا فعالا من دول المحور ، الذى يجمع بينها وبين المانيا الهتلرية وايطاليا وهو محور موجه ضد الكومنترن . وكذلك يتغافل الكاتب وغيره من الامبرياليين اليابانيين عن الاستعدادات العسكرية اليابانية الضخمة التي كانت مهيأة لشن حرب ضد الاتحاد السوفييتي في الوقت الذى كان فيه يعاني من محنة الغزو النازى لاراضيه. لقد حشدت اليابان على الحدود السوفييتية قوات بلغ تعدادها المليون جندى وضابط وأكثر من الف دبابة والف وخمسماية طائرة،منتهكة بذلك معاهدة الحياد التي كانت قائمة بين البلدين . والمعروف ان الاتحاد السوفييتي كان قد الغى هذه المعاهدة في شهر ابريل / نيسان من عام ١٩٤٥ ، اى قبل اربعة اشهر من اعلانه الحرب على اليابان.

ان المحاولات التي تستهدف اعادة النظر في مقررات مؤتمر يالطا، يقوم بها حاليا في اليابان، اولئك الذين يضيرهم قيام علاقات جوار طيبة بين البلدين. ويتساءل هؤلاء عما اذا كانت اليابان ملزمة باعادة الجزء الجنوبي من جزيرة "سخالين" وكذلك كافة الجزرالمجاورة لها الى الاتحاد السوفييتي والتنازل عن جزر "آلكوريل" له كما تقضي بذلك قرارات مؤتمر يالطا .

ماذا كان عليه الوضع الدولي والعسكرى عشية انعقاد مؤتمر يالطا ؟

مع بداية عام ١٩٤٥ شهدت الساحة الدولية تغيرات هائلة سواءا على الصعيد العسكرى ام على الصعيد السياسي. كانت القوات السوفييتية قد نظفت جميع الاراضي السوفييتية من القوات الهتلرية (باستثناء القسم الشمالي الشرقي من لاتفيا) كما حررت كافة مناطق جنوب شرقي القارة الاوروبية تقريبا اما في الغرب فقد تم فتح الجبهة الثانية، وكان على المانيا الهتلرية تبعا لذلك ان تحارب على جبهتين . ولم يبق امام التحالف المعادى للنازية الا انجاز هزيمة العدو المشترك، وانجاز التحرير الكامل لكافة الشعوب الاوروبية . لقد انتقل زمام المبادرة في الميدان الى ايدى التحالف المعادى للنازية بشكل لا نزاع فيه .

كانت المانيا قد فقدت في ذلك الحين كل حلفائها ولم يعد في وسعها الاعتماد على المواد الخام الاستراتيجية والامدادات التي كانت تأتيها من الاقطار في غرب ووسط وجنوب شرقي اوروبا . لقد تقلصت تبعا لذلك القاعدة الصناعية العسكرية الالمانية وبدأ الانتاج العسكرى ينعطف بحدة نحو الهبوط ، بالاضافة الى ان خسائرها على الجبهة السوفييتية فاقت

Digitized by Birzeit University Library

كل الحدود. فخلال الهجوم الصيفي والخريفي الذى شنته القوات السوفييتية عام ١٩٤٤ دمر الجيش الاحمر وأسر ٩٦ فرقة المانية و ٢٤ فيلقا ، كما الحق الهزيمة بـ ٢١٩ فرقة و ٢٢ فيلقا وقد فقدت هذه القوات المنهزمة في مجرى الهجوم من ٥٠٪ الى ٧٠٪ من كوادرها .ومع ذلك فان الجيش الهتلرى ما زال مع بداية عام ١٩٤٥ قوة لا يستهان بها . كان لدى المانيا في ذلك الوقت ٢٩٩ فرقة و٣١ فيلقا يبلغ تعدادها مجتمعة ٧ر٥ مليون جندى وضابط كما كان لديها ٤٣ر٠٠٠ مدفع ومدفع هاون وسبعة الاف دبابة و ٦ر٨٠٠ طائرة . ولا بد من الاشارة هنا ان القسم الاعظم من هذه القوات كان مرابطا على الجبهة الشرقية كان هنالك ١٦٩ فرقة و ٢٠ فيلقا و ١٦ فرقة هنغارية وفيلقا واحدا . اما القوات الالمانية التي كانت تواجه الحلفاء الغربيين في ايطاليا وعلى الجبهة الغربية فبلغت ١٠٧ فرقة، وقد اضطرت القيادة الهتلرية الى حشد عشرة فرق واربعة فيالق من قواتها لمنازلة جيش التحرير اليوغوسلافـــــــي .

اما بالنسبة للقوات السوفييتية، فقد كانت تضم في شهر يناير / كانون ثاني عام ١٩٤٥، ٦ر١١ مليون جندى وضابط، منهم ٦ر٥ مليون على الجبهة، وكان لدى القوات السوفييتية ١٠٨ر٠٠٠ مدفعا ومدفع هاون ، و ٣٠٠٠ قاذفة صواريخ و ١٣ الف دبابة و ١٥ر٥٠٠ طائرة وكان هنالك الى جانب القوات السوفييتية ٣٢٦ر٠٠٠ جندى وضابط من بولندا ، وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا وبلغاريـــا .

اما القوات التي حشدها الحلفاء الغربيون فبلغت في ذلك الحين ٢١ فرقة وتسعة فيالق على الجبهة الغربية، وكان في حيازة هذه القوات ٥٠٠ر٦ دبابة و ٠٠٠ر١٠ طائرة . كان ميزان القوى كما هو واضح من الارقام يميل لصالح قوات الحلفاء بشكل كبيـــر .

كانت القيادة السوفييتية تعد العدة لشن هجوم شامل على طول الجبهة التي يبلغ طولها ١٢٠٠٠ كم مع نهاية شهر يناير / كانون ثاني ١٩٤٥ على ان تأخذ الضربة الرئيسية مكانها في اتجاه وارسو ــ برلين . لقد تم حشد اكثرمن نصف قوات الجيش العامل على هذا الاتجاه .

ادت التغيرات التي حدثت في الاوضاع الدولية مع بدء عام ١٩٤٥ الى تنامي عزلة المانيا السياسية، لقد اصبح حلفاؤها اعداءا لها في اوروبا ولم يبق من الدول من يتبادل معها التمثيل الدبلوماسي الا تسع دول ـ فقط ، وفي الوقت الذى بدأت فيه العزلة السياسية تطبق على المانيا الهتلرية كان نفوذ الاتحاد السوفييتي يتزايد بشكل لا يقاس ، وذلك بفضل مآثر التحرير التي اقدمت عليها القوات السوفييتية في اوروبا . لقد زاد عدد الدول التي يتبادل معها الاتحاد السوفييتي العلاقات الدبلوماسية من ٢٥ دولة في فترة ما قبل الحرب الى ٤١ دولة مع بداية عام ١٩٤٥

في نوفمبر / تشرين ثاني من عام ١٩٤٤ وجهت الحكومة السوفييتية الدعوة لممثلي الحكومة الفرنسية لزيارة موسكو حيث تم عقد معاهدة صداقة وتعاون متبادل بين البلدين وقعت في العاشر من ديسمبر / كانون اول عام ١٩٤٤ . لقد استهدفت المعاهدة ضمان السلام والأمن للشعوب الاوروبية وهو ما يتفق مع مصلحة البلدين المتعاقدين . ويبدو الان

Digitized by Birzeit University Library

ان الاوساط الحاكمة الفرنسية الاشتراكية قد نسيت كل ذلك بل تغافلت عنـــه .

اما بالسنبة للعلاقات مع بريطانيا والولايات المتحدة فقد كانت تزداد توثقا وقوة وذلك بفضل النية الطيبة والمرونة والطبيعة السلمية التي تتحلى بها السياسة الخارجية السوفييتية . لقد ذهبت آمال النازيين في خلق شرخ وانقسام في التحالف المعادى للنازية ادراج الريـــاح .

غير ان القيادة النازية لجأت الى انتهاج اسلوب آخر في هذا السبيل ، . ويقتضي الامر بنا هنا ان نعود قليلا الى الوراء ، بغية ايضاح ما كان يدور في رؤوس الاوساط الغربية المتحالفة مع الاتحاد السوفييتي ، فبالرغم من الوعود الكثيرة التي قطعتها الدول على نفسها لفتح الجبهة الثانية ، وبالرغم من الالحاح ، والضغط الذى وجهه الاتحاد السوفييتي على حلفائه لفتح الجبهة الثانية ، الا ان وعدا من هذه الوعود لم ينفذ ، وجرى التلكؤ في فتح هذه الجبهة على امل ان تؤدى اطالة الحرب بين الاتحاد السوفييتي والمانيا الهتلرية الى انهاك الطرفين المتحاربين لدرجة يتاح بها للاوساط البريطانية والامريكية ان تلعب دور المسيطر بلا منازع على الساحة الدولية حيث تصبح مشيئتهما وقتها هي القانون النافذ لا في القضايا الدولية وحسب وانما في نهب الشعوب وامتصاص خيراتها .

هكـذا كانـــوا يحسبـــون !!!

ونعود الان الى ما كانت قد خططت له القيادة النازية ، التي كانت تضع في اعتبارها دائما ، ان التحالف بين الاتحاد السوفييتي من جهة وبين بريطانيا وامريكا من جهة أخرى انما هو تحالف هش ، وان الخلافات بينهما اعمق بكثير مما يبدو على سطح علاقاتهما من اتفاق ، فاذا ما استطاعت القيادة الهتلرية ان تثير هذا الخلاف فانها ستقطف من وراء ذلك الاهداف التي تنشدها وتقلب مسار الاحداث الجارية في ذلك الحين ـ اوائل عام ١٩٤٥ ـ لمصلحتها بحيث تتجنب الهزيمة او تطيل من امد الحرب على اسوأ الفروض . لقد ابلغ هتلر جنرالاته في اجتماع عقده لهم في العاشر من ديسمبر / كانون اول ١٩٤٤ " انه لأمر اساسي ان نسعى الى تعميق الخلافات بين الاتحاد السوفييتي وحلفائه الغربيين ، تلك الخلافات التي بدأت تطفو على السطح ، فاذا ما تحقق الامر " فانه سيتاح لنا ان نرى انهيار هذا التحالف المصطنع في اية لحظـــة ".

على هذا الاساس وضع الهتلريون خطتهم التي تضمنت ان تقوم القوات الالمانية على الجبهة الغربية بتوجيه ضربة ماحقة للجيوش الامريكية والبريطانية تجبر بها الحكومتين الامريكية والبريطانية على الكف عن القيام باية عمليات عسكرية ، وعقد صلح منفرد مع المانيا دون الاتحاد السوفييتي . وكان تنفيذ ذلك على الصعيد العسكرى يعني خرق الجبهة في الاردنيز فيما بين القوات الامريكية والبريطانية والزحف بسرعة نحو الشاطئ في اتجاه انتويرب قاعدة الامدادات الرئيسية لقوات الحلفاء الغربيين . والاستيلاء على انتويرب سيساعد القيادة النازية على تزويد قواتها بما هي في امس الحاجة اليه من

Digitized by Birzeit University Library

امدادات.لقد خصصت القيادة النازية الالمانية لهذا الهجوم ٢٢ فرقة وفيلقين ، منها عشرة فرق من فرق البانزر .

في فجر السادس عشر من ديسمبر / كانون اول سنة ١٩٤٤ انزلت القوة الالمانية هذه ضربتها ، التيجاءت مفاجئة تماما للقيادة الانجلو امريكية. ثم اختراق جبهة الحلفاء الغربيين، ولم يمض الا ثلاثة ايام على بدء الهجوم الالماني حتى كانت فرق البانزر الالمانية قد وصلت الى نقطة تبعد ٤٠ كم جنوبي ليبيج . ومع نهاية شهر ديسمبر / كانون اول كانت نقطة الاختراق الالمانية قد اتسعت بعرض ٨٠ كم وبعمق ١٠٠ كم . وعشية عيد راس السنة، وجهت القوات الالمانية ضربةاخرى في منطقة الزاس، وتمكنت من خرق الجبهة والتقدم الى مسافة ثلاثين كيلو مترا خلال خمسة ايام، وقطعت نهر الراين شمال ستراسبورغ واصبح الحلفاء الغربيون بذلك يواجهون موقفا صعبا ، لقد هزت الاحداث كلا من واشنطن ولندن واصبحتا كمن صعقتـــه صاعقـــــة .

لقد طرح ايزنهاور وهو القائد العام لقوات الحلفاء في اوروبا ، طرح المسالة امام روزفلت وتشرتشل بصريح العبارة :" لن ينقذنا الا الاتحاد السوفييتي، وعليكما ان تسعيا؟ وراء نجدته، وتطلبان منه ان يستأنف هجومه على الجبهة الشرقية ؟! وبطلب من الرئيس الامريكي ومن رئيس وزراء بريطانيا ، وافق ستالين على استقبال نائب ايزنهـــاور مارشال الجو ارثر تيدر، الذى كلف بأن يعرض على ستالين الحالة التي وصلت اليها

٣-اوضاع الحلفاء على الجبهة الغربية . لقد توجه تيدر الى موسكو والمعركة على الاردنيز تزداد عنفا وتطورا . وفي ٢٧ / ديسمبر / كانون اول عام ١٩٤٤ جاء في حديث سجل لهنرى ستمبسون وزير الحربية الامريكية. بعد ان ناقش الامر مع الجنرال جورج مارشال قائد الاركان العامة الامريكي " ... انه اذا ما هزمتنا المانيا في هجومها المعاكس في الاردنيز ، وخصوصا اذا لم يهب الروس لنجدتنا ، فانه يترتب علينا ان نعيد النظر في موقفنا من الحرب ككل ، وعلينا ان نتخذ موقف الدفاع على الحدود الالمانية. وهو امر نستطيعه ونضمن به سلامتنا ، ومن ثم على الشعب الامريكي ان يقرر اذا ما كان يريد الاستمرار في الحرب، وتجهيز الجيوش الضرورية التي يتطلبها الامـــر ."

على المرء هنا ان يتساءل ـ لماذا هذا النوع من الكلام ؟ ولماذا تثار الشكوك حول موقف السوفييت وعما اذا كانوا سيمدون العون وينجدون حلفاءهم في بؤسهم ام لا ؟ يبدو وكأن الامر لدى الحلفاء هو نوع من الندم او عذاب الضمير . ذلك ان ستمبسون ومارشال لم يكونا قد نسيا بعد ان الحلفاء الغربيين قد ماطلوا لعدة سنوات في فتح الجبهة الثانية مخمنين ان المانيا النازية سيكون بمقدورها ان تصيب الاتحاد السوفييتي بالوهن والعجز. وهم الان يعانون من انعكاس الآية ، متوهمين ان الاتحاد السوفييتي سيعاملهم بالمثل ويرد عليهم جزاء ما اقترفوا بأن يتركهم لمصيرهم متيحا الفرصة للعدو المشترك ان يجعل من الجبهة الغربية مجرد حصون من القش. غير ان ذلك هو بالضبط ما خطط له هتلر من وراء

Digitized by Birzeit University Library

هجومـــــــه !

وفي السادس من يناير / كانون ثاني بعث تشرتشل الذى كان قد قام بزيارة للجبهة الغربية برسالةالى ستالين قال فيها : " ان المعركة على الجبهة الغربية ثقيلة ، وان القيادة العليا للحلفاء قد تقدم في اية لحظة على اتخاذ قرارات حاسمة، وسأكون ممتنا لو كان في مقدوركم اعلامي اذا ما كان بوسعنا الاعتماد علىانكم ستستأنفون هجومكم على جبهةالفستولاو في اى مكان آخر خلال يناير كانون ثاني الحالي، وعن اية امور اخرى تودون ذكرها ... انني اعتبر الموضوع مستعجـــــلا ."

وفي السابع من يناير / كانون ثاني ١٩٤٥ رد ستالين على تشرتشل ، جاء في الرد : " "على ضوء الاوضاع التي يعاني منها حلفاؤنا على الجبهة الغربية، فان القيادة العامة للقيادة السوفييتية العليا، قررت انجاز استعداداتها بوتائر سريعة لشن هجوم واسع النطاق في موعد لا يتجاوز النصف الثاني من شهر يناير / كانون ثاني بالرغم من الاوضاع الجوية البالغة السوء .. فليطمئن بالك، فاننا سنعمل كل ما في وسعنا لاغاثة قوات الحلفاء الباسلـــــة ."

في التاسع من نفس الشهر بعث تشرتشل برسالة الى ستالين قال فيها " فليبارك الله مسعاكم النبيل، .. اننا وبريطانيا والولايات المتحدة، نبذل كل ما في طاقتنا علىالجبهة .. ان الانباء التي تضمنتها رسالتكم تبعث الشجاعة في الجنرال ايزنهـــاور ."

كان تشرتشل قد ابلغ ايزنهاور، بالهجوم السوفييتي الموعود .. ويكفي لتصوير الحالة التي كانت تسود مقر قيادة ايزنهاور ان نسوق ما قاله ، الجنرال كينث ستروتغ قائد المخابرات الامريكية في اجتماع عقد في مقر قيادة ايزنهاور في الحادى عشر من نفس الشهر يناير / كانون ثاني " ان الكثير يتوقف على موقف الروس وعلى اذا ما كانوا سيهجمون ،ونحن نرجو مخلصين ان يبداوا هجومهم مع نهاية شهر فبراير / شباط ، واذا لم يبدأ الهجوم الروسي فانه سيكون بوسع الالمان سحب العديد من فرقهم من الجبهة الشرقية وتوجيهها ضدنا في الغرب ." ولا يحتاج المرء الى خيال واسع ليتصور ما سيصبح عليهوضع الحلفاء على الجبهة الغربية اذا لم يشنالروس هجومهـــــم !!"

غير ان ذلك لم يحدث، ولا كان من الممكن ان يحدث ، فبالرغم من ان القوات السوفييتية كانت قد انتهت لتوها من هجومها الصيفي ــ الخريفي، ولم تكن قد انجزت استعدادتها بعد للقيام بهجوم كبير، وبالرغم من الظروف الجوية البالغة السوء، فقد اعلن ستالين في السابع من يناير / كانون ثاني عام ١٩٤٥ ان القيادة السوفييتية قررت مساعدة حلفائها بشن هجوم واسع النطاق ضد القوات الألمان . لقد اجبرت الاوضاع المتردية التي آلت اليها حالة الحلفاء على الجبهة الغربية، اجبرت القيادة السوفييتية على تقديم موعد هجومها على ذلك الموعد الذى كان ستالين قد اشار اليه في رسالته الى تشرتشل . ففي الثاني عشر من يناير / كانون ثاني عام ١٩٤٥ هدرت المدفعية السوفييتية على طول جبهة امتدت من بحر البلطيق شمالا حتى جبال

Digitized by Birzeit University Library

الكربات في الجنوب . وتنفس الحلفاء الصعداء لقد احبط جبروت الجيش الاحمر الصاعق هجوم الهتلريين على الجبهة الغربية . اذ سرعان ما نقلت القيادة الهتلرية جيش البانزر الالماني السادس س.س من الجبهة الغربية الى الجبهة الشرقية ،واعقبت ذلك بنقل ستة عشر فرقة اخرى ، ومع نهاية شهر يناير / كانون ثاني نفسه كانت القيادة الهتلرية قد سحبت قواتها من الاردنيز والالزاس الى حيث كانت عليه في مواقعها القديمة قبل بدء هجومها . كتب تشرشل الى ستالين : " ان احتفال الجيش الاحمر بالذكرى السنوية السابعة والعشرين على تأسيسه يأتي في غمرة الامجاد التي يحققها بانتصاراته الباهرة التي انتزعت الاعجاب من حلفائه والتي حددت مصير العسكرية الالمانية ... ان اجيال المستقبل سوف تبقى مدينة للجميل الذى اسداه اليها الجيش الاحمر ، تماما كما نشعر نحن الذين قدر لنا ان نحيا لنشهد على هذه الانجازات التي تبعث على الفخـــر ."

زحف السوفييت بسرعة مذهلة مجترحين المآثر ليطوقوا وارسو من الشمال والجنوب مكتسحين قوات العدو في طريقهم . لقد الحق الجيش الاحمر الهزيمة النكراء بقوات العدو الرئيسية خلال خمسة ايام وحسب . لقد اخترقت خطوط العدو على جبهة عرضها ٥٠كم وبعمق وصل الى ١٠٠ ــ ١٥٠ كم وفي ١٩٤٥/١/١٧ تم تحرير وارسو العاصمة البولنديـــــة .

استمر الهجوم السوفييتي ٢٣ يوما ينتهي في اوائل شباط ١٩٤٥ وقد تقدمت القوات السوفييتية خلاله الى مسافة ٥٠٠ ــ ٦٠٠ كم على طول الجبهة اما في الكربات فوصل تقدمها الى ١٠٠ ــ ٢٠٠ كم ، انتهى الهجوم بظهور السوفييت على نهر الاودر وعلى جبهة عريضة . كان هنالك ستة جيوش منهم اقامت رؤوس جسور لها على الضفة الغربية من النهر. ان برلين تبعد الان مجرد ستين كيلو مترا وحسب . اما في الجناح الشمالي من الجبهة فقد وصلت القوات السوفييتية الى شواطيء بحر البلطيق قاطعة بذلك خطوط الاتصال بين بروسيا الشرقية وقوات العدو الرئيسيـــة .

قدم الجيش الاحمر كافة انواع المساعدات للحكومة البولندية وساعدها ، على بناء ما خربه العدو ، واستقدم من اجل هذا الغرض فرق المهندسين وقد استعد الاتحاد السوفييتي بدفع نصف تكاليف اعادة اعمارهـــا .

ــ مؤتمـــر يالطـــا ــ بالقـــرم ــ

في ظل الظروف الدولية ، السياسية والعسكرية هذه انعقد مؤتمر يالطا . كان الهجوم الشتوى الذى شنه الجيش الاحمر على طول الجبهة السوفييتية لا يزال على اشده لقد استمر انعقاد المؤتمر من ٤ ــ ١١ من شهر شباط / فبراير ١٩٤٥ وشارك فيه مع المارشال ستالين ، روزفلت ــ رئيس الولايات المتحدة الامريكية وونستون تشرتشل ــ رئيس وزراء بريطانيـــا .

كانت نظرة قادة الدول الغربية تجاه مسار الاحداث قد تحولت عما كان عليه في السنوات السابقة ، لقد اصبحت اكثر واقعية . لقد تبخرت الامال التي عقدوها في ان يخرج الاتحاد السوفييتي من الحرب وقد هزلت قواه

Digitized by Birzeit University Library

واصابه الضعف. فبعد الانتصارات التي حققها الجيش الاحمر في ستالينغراد، وكورسك عام ١٩٤٣ استخلصت القيادة العليا للقوات الامريكية ان توازنا للقوى بين الاتحاد السوفييتي وامريكا يأخذ مجراه الان. لقد تحدث عن ذلك قادة الاركان الامريكيين في توصياتهم الخاصة التي رفعوها الى وزارة الخارجية الامريكية في ١٦/٥/ ١٩٤٤ . اكد قادة الاركان الامريكيون في توصياتهم انه لن يبقى بعد الحرب على الساحة الدولية الا ثلاث قوى عظمى، الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي وبريطانيا . واشارت توصيات قادة الاركان هؤلاء الى " انه في حالة وقوع نزاع مسلح بين الاتحاد السوفييتي وبريطانيا فان القوات السوفييتية التي ستجتاح القارة الاوروبية ستكون من القوة بحيث لا نستطيع مواجهتها اذا ما تدخلنا الى جانب بريطانيا ... اننا لا نستطيع في ظل الظروف القائمة ايقاع الهزيمة بالاتحاد السوفييتي . اننا سنجد انفسنا منغمسين في حرب لا نستطيع تحقيق النصر فيهـــا ..."

" عمليـــة ارجونـــــوت "

كان الوضع الذى نشأ مع بداية عام ١٩٤٥ يشير الى انه فقط ذلك العنيد، القصير النظر الذى يمكن ان يتوهم ان من الممكن " هزم الاتحاد السوفييتي " لقد كانت الحرب في مرحلتها الاخيرة، تلك الحرب التي سيخرج منها الاتحاد السوفييتي وهو المنتصر! اكد ذلك القادة الامريكيون عشية انعقاد مؤتمر يالطا. لقد رجحت كفة اولئك الذين ادركوا ان هنالك حاجة حيوية للتفاهم مع الاتحاد السوفييتي والعالم على اعتاب السلام. والمعروف ان تشرتشل كان قد اقترح اطلاق اسم " ارجونوت" على مؤتمر يالطا. وكلمة ارجونوت تعني بالعربية " المغامر". ولقد وافق روزفلت على التسمية وقد تملكه بانه هو وتشرتشل : " ورثة المغامرين " لقد جاء الى يالطا بحثا وراء المساعدة السوفييتية بعد ان احاقت بهما المصيبة على الجبهة الغربية. كما انهما شعرا بالحاجة الماسة الى موافقة الاتحاد السوفييتي على الدخول في الحرب ضد اليابـــان .

انه وقد بدا واضحا لحلفاء الاتحاد السوفييتي وشركائه في مؤتمر يالطا ان ميزانا للقوى في العالم بدأ يبرز في اعقاب الانتصارات الضخمة التي حققتها القوات السوفييتية ، اكد على امكانية الاتفاق على الحاق الهزيمة النهائية بالنازية وعلى ما سيكون عليه مستقبل القارة الاوروبية في اعقاب الحرب . كان موقف الاتحاد السوفييتي عشية انعقاد المؤتمر واضحا ومحددا الى اقصى الحدود : ان الاولوية القصوى في المؤتمر يجب ان تعطى للقضايا المتعلقة بتحرير الشعوب من الاحتلال الفاشي. الشعوب الاوروبية لا تريد ان يعود للسلطة اولئك الذين يحملون المسؤولية المباشرة عن المصائب التي المت بهـــا .

فـي قصـر ليفاديـا الارستقـراطي

بعد ان عقد روزفلت وتشرتشل اجتماعا

Digitized by Birzeit University Library

لهما في مالطا في الثاني من فبراير / شباط ١٩٤٥ لتنسيق المواقف بينهما واتخاذ موقف مشترك في المؤتمر حيال ستالين، توجها بالطائرة في مساء نفس اليوم الى القرم . لقد رافقهما في رحلتهما وفد مؤلف من ٧٠٠ شخص من السياسيين والقادة العسكريين والمستشارين والمترجمين . وفي الثالث من فبراير / شباط هبطت طائراتهم في مطار "ساكي" حيث توجهوا بعد ذلك بالسيارات الى يالطا، لقد استقبلهم ستالين في يالطا في الرابع من فبراير / شباط حيث كان قد وصل اليها مع الوفد المرافق .

وضعت ثلاثة قصور بالقرب من يالطا ، كانت قد سلمت من التخريب على يد الهتلريين المنسحبين على عجل من المدينة تحت تصرف الوفود . حل الوفد الامريكي في قصر ليڤاديا وهو القصر الذى جرت فيه اعمال المؤتمر الأساسية .

اعطيت رئاسة المؤتمر باقتراح من ستالين الى روزفلت الذى منع الصحافيين من حضور المؤتمر .

بدأ المؤتمر التاريخي اعماله في الرابع من فبراير / شباط في قصر ليڤاديا واستمر انعقاده حتى الحادى عشر من الشهر نفسه وانتهى ببيان مشترك اعلن فيه المؤتمرون اتفاقهم على المواضيع التالية :

- هزيمة المانيا النازية واحتلالها وفرض الرقابة عليها وتحديد التعويضات التي عليها دفعها .
- مؤتمر للامم المتحدة .
- اعلان عن اوروبا المحررة .
- بولندا .
- يوغسلافيا .
- اجتماعات وزراء الخارجية .
- وحدة في السلم مثلما هي في الحرب .

تم نشر البيان المشترك الصادر عن المؤتمر في ١٣ / ٢ / ١٩٤٥ .

ماذا جرى خلال المؤتمر — الجلسة الاولى

باقتراح من ستالين افتتح روزفلت المؤتمر، وقد اعلن الرئيس الامريكي : ان هنالك تفاهما مشتركا بين القادة اعضاء المؤتمر، وان هذا التفاهم يزداد عمقا . ان كلا منا يريد وضع نهاية سريعة للحرب واقامة سلام عالمي دائم . ودعا روزفلت الى انتهاج الصراحة التامة في المناقشات وهو امر سيساعد على الوصول الى قرارات ملائمة بشكل سريع . واعلن روزفلت انه سيجرى تخصيص الجلسة الاولى للمؤتمر لبحث الوضع على الجبهة الشرقية حيث يزحف الجيش الاحمر نحو الغرب بنجاح منقطع النظير .

عرض الجنرال انطونوف نائب قائد الاركان السوفييتي ما كانت عليه الاوضاع على الجبهة الشرقية واعرب انطونوف عن الرغبة في ان يقوم الحلفاء بشن هجوم على الجبهة الغربية اسوة بالجبهة الشرقية !

تحدث بعد ذلك الجنرال الامريكي جورج مارشال حيث استعرض الصعوبات التي تعاني منها القوات الانجلوامريكية في الاردنيز وقد علق ستالين على ما ذكره مارشال بقوله : ان تحركات الحلفاء على الجبهة الغربية تفتقر الى

Digitized by Birzeit University Library

الانسجـــــام .

وبعد الانتهاء من تفحص الاوضاع على الجهات تم الاتفاق على الخطط ومواعيد العمليات الهجومية القادمة وعلى التنسيق بين الجبهتين الشرقيـة والغربيـــة .

مستقبـــل المانيـــا

عقد المؤتمر جلسته الثانية في اليوم التالي ١٩٤٥/٢/٥ . اعلن روزفلت انه من الضروري قبل كل شيء ايلاء مسالة مناطق احتلال المانيا العناية الفائقة عبر مناقشة مستقبل المانيا وفي رأى روزفلت فان هذه المسالة تزداد اهمية يوما بعد يوم . وقد اعاد ممثلو الحلفاء في المؤتمر طرح خطتهم لتقسيم المانيا، وهي الخطة التي سبق وان طرحوها في مؤتمر "طهران" السابق، غير ان الاتحاد السوفييتي جابههم بنفس الرفض الحازم الذى واجههم به في مؤتمر "طهران" مؤكدا على اهمية وحدة الشعب الالماني واستقلالة الوطني . وانتصرت في النهاية وحدة الشعب الالماني بفضل الموقف السوفييتي . وقد استقر رأى المؤتمرين على الاعتراف بأن احتلال الحلفاء لالمانيا انما هو امر مؤقت . وتقول الاتفاقية التي توصل اليها المؤتمر، ان السلطة العليا في المانيا سيعهد بها الى قادة الحلفاء العسكريين كل في منطقة احتلاله اما بالنسبة للقضايا التي تتعلق بالمانيا ككل فعلى هؤلاء القادة ان يعملوا بالتعاون فيما بينهم كاعضاء في لجنة المراقبة التي الفت منهم لهذا الغرض . جاء في البيان المشترك الذى صدر عن المؤتمر ما يلـــي :

" ان ارادة المؤتمرين التي لا تتزعزع هي تحطيم العسكرية الالمانية والنازية واتخاذ كل ما يضمن بقاء المانيا غير قادرة على زعزعة السلام العالمي ! وتجريد المانيا من السلاح وتسريح القوات الالمانية وتصفية قيادة الاركان الالمانية وتدمير او ازالة المعدات العسكرية الالمانية وتصفية او فرض الرقابة على الالة الصناعية الالمانية التي يمكن ان تستخدم لانتاج السلاح ومحاكمة مجرمي الحرب الالمان وايقاع العقوبات السريعة بهم، وتصفية الحزب النازى وازالة أثره وكل ما يمت اليه بصلة وازالة كل اثر للعسكرية الالمانية والنازية لدى الجماهير الالمانية والمؤسسات الشعبية وفي مجالات الحياة الاقتصادية والثقافية للشعب الالمانـــي " .

واعرب المؤتمرون عن تصميمهم بالتعاون مع الدول المحبة للسلام على انشاء منظمة عالمية للحفاظ على السلام والامن الدوليين . وقد تقرر عقد مؤتمر للأمم المتحدة في سان فرنسيسكو في ٢٥ / ابريل / نيسان عام ١٩٤٥ من اجل وضع ميثاق المنظمة الدوليـــة .

ولقد تبنى المؤتمرون اعلانا عن اوروبا المتحررة وقد تضمن الاعلان : ان يقوم المؤتمرون بالتعاون فيما بينهم بحل اية مشكلة اقتصادية او سياسية قد تظهر في اوروبا المحررة . وبالعمل على ضمان استتباب النظام في اوروبا وان يعاد بناء الاقتصاد الوطني من خلال تأمين القدرة للشعوب الاوروبية المحررة على تحطيم آخر أثر للنازية والفاشية وبناء المؤسسات الديموقراطية وفق مشيئة هذه الشعوب وباختيارها . وقد اشترط المؤتمر انه

Digitized by Birzeit University Library

وفقا لحق الشعوب فياختيار انظمة حكمها ، فان الحق في السيادة وحق تقرير المصير يجب ان يعاد الى الشعوب التي انتزع هذا الحق منها بالقوة الغاشمة .

اما بالنسبة لبولندا فقد اعرب المؤتمرون عن رغبتهم المشتركة في قيام دولة بولندية حرة ديموقراطية مستقلة. وقد اتفق المؤتمرون على رسم الحدود الجديدة لبولندا لفترة ما بعد الحرب بحيث تمر عبر خط كرزون من الشرق وان تعاد لها اراضيها التي سبق وان انتزعتها منها المانيا سواء في الشمال او في الغرب . وتبنى المؤتمر اتفاقية تقضي بان يدخل الاتحاد السوفييتي الحرب ضد اليابان على ان يعاد له الجزء الجنوبي من جزيرة سخالين وكافة الجزر الاخرى المجاورة لها وان تضم له جزر كوريل .

هل تضمنت قرارات المؤتمر ما يشير ولو من بعيد الى تقسيم اوروبا او الى تقاسم لمناطق النفوذ ؟ ان المتفحص لقرارات المؤتمر يتبين له بجلاء انه لولا الموقف الصلب الذى اتخذه الاتحاد السوفييتي بصدد الاخذ بما اقترحه حلفاء المانيا الغربية الحاليين، وهو تقسيم المانيا وازالتها من الوجود كدولة مستقلة ويفقد الشعب الالماني وحدته واستقلاله، ولتحولت الاراضي الالمانية كما نادى بذلك الامريكيون الى مجرد حقل واسع لانتاج البطاطا . وما التقسيم الحالي في المانيا الا مجرد اختلاف في الانظمة الاجتماعية المطبقة في كل قسم منها ، ففي الشرق نظام اشتراكي يجهد في توفير الرفاهية والسعادة لابناء الشعب الالماني المقيمين في ظله وفي الغرب نظام رأسمالي يمتص كدح شعبه ويعاني من ازمة خانقة ومن بطالة تعبث بحاضر ومصير الشغيلة وجماهير الشعب الالماني ،ويرتبط مع زعيمه الامبرياليين الولايات المتحدة الامريكية التي حولت المانيا الى خط امامي لها نصبت فوقه صواريخها ضاربة عرض الحائط بعبر التاريخ ودروسه التي لا ينساها الا من غشى بصره وفقد القدرة على التمييز ولا ينتصب في فضاء عيشه الا جشعه ونهمه الذى لا يرتوى .

ولنلاحظ هنا موقفا غريبا حقا ، وغرابته تبدو فقط لمن كان منطلقه مغمسا بشرف الرفقة والالتزام المنزه عن الغرض،ولكن ليس غريبا اطلاقا في اعين اصحابه، بل هو في نظرهم مجرد ممارسة اعتادوا عليها وتمليها عليهم طبيعتهم والموقف الغريب هذا يتجلى في التناقض بين التصريحات التي اطلقها تشرتشل في البرلمان البريطاني عقب عودته مباشرة من مؤتمر يالطا وبين الكلام الذى دونه في مذكراته دمغ نفسه به دمغة تاريخية ابديه قال تشرتشل لدى افتتاحه مناقشة مقررات مؤتمر يالطا في مجلس العموم البريطاني بتاريخ ١٩٤٥/٢/٢٧ :" لقد تجلت وحدة الدول المتحالفة ضد النازية في مؤتمر يالطا بشكل لم تتجل بمثله من قبل سواء في الميدان العسكرى او في الميدان السياسي" واضاف " ان الانطباع الذى عدت به من القرم هو ان المارشال ستالين والقادة السوفييت يرغبون في العيش مع الدول الغربية الديموقراطية على اساس من الشرف والمساواة والصداقة المتبادلة، ولقد شعرت خلال المؤتمر وعبر الاتصالات التي اجريتها معهم ان

Digitized by Birzeit University Library

كلمتهم هي رباطهم ، وليس هنالك من دولة عرفتها تفي بالتزاماتها وفي اعسر الظروف واقساها كالدولة الروسية السوفييتية " واشار تشرتشل الى العدالة في القرارات المتخذة بشأن بولندا في يالطا والى الدورالذى لعبه الاتحاد السوفييتي بهذا الخصوص والتضحيات الاستثنائية التي بذلها وقال " لقد حارب الاتحاد السوفييتي من اجل ان يضمن الحرية والرخاء لبولندا ولغيرها من الاقطار الاوروبية وليس من اجل ان يكتسب لنفسه مناطق نفوذ"..صوت مجلس العموم البريطاني الى جانب مقررات يالطا بالاجمـــــــاع .

غير ان تشرتشل عاد واعلن في كتابه " " (خيوط السلام) " ان الاتفاقية التي تم التوصل اليها في مؤتمر يالطا والتي كنت طرفا فيها، كانت مواتية للسوفييت الى اقصى الحدود. غير انها كانت قد ابرمت في وقت ما كان احد يستطيع القول ان الحرب لن تمتد عبر فصلي الصيف والخريف من عام ١٩٤٥ وفي وقت كان من المتوقع فيه ان تمتد الحرب مع اليابان لثمانية عشر شهرا اخرى بعد انهاء الحرب مع المانيـا "

فيا للدعارة السياسية ! ان المواقف المبدئية بالنسبة لتشرتشل لتتغير وفق اتجاه الريح . واذا ما اخذنا بحجته، فانه اذا كانت قرارات مؤتمر يالطا قد عجلت في انهاء الحرب سواءا مع المانيا او مع اليابان فهل كان ذلك ملائما فقط للاتحاد السوفييتي ام كان ملائما وفي المقام الاول لأولئك الذين اطلقوا اصوات الاستغاثة في الاردمنيز ؟ وهل رفض تجزئة المانيا الحازم من قبل الاتحاد السوفييتي يعتبر في رأى تشرتشل مكسبا سوفييتيا ام انه مأثرة يقدمها الاتحاد السوفييتي لبلد سبب له ما لا يحصى من الفواجع والمآسي .. واذا كانت وحدة اراضي الشعوب واستقلالها هو مكسب سوفييتي فان ذلك فخرا ما بعده فخر لهـــم .

اما في رأى روزفلت فان اهمية قرارات مؤتمر يالطا تكمن في المقام الاول في انها وضعت نهاية لمناطق النفوذ وموازين القوى وكل ما شابهها من الاساليب التي كان يلجأ لها عبر قرون خلت وثبت بطلانها وفشلها جميعا .

في رده على النقد الذى وجهته بعض الاوساط الغربية الرجعية لمقررات مؤتمر يالطا والى التنازلات التي قدمها كل من روزفلت وتشرتشل الى ستالين قال افريل هاريمان الذى كان ضمن الوفد الامريكي في المؤتمر" ان مناطق الاحتلال كما حددتها يالطا في المانيا كانت مواتية جدا للحلفاء الغربيين في ذلك الوقت وذلك رأى القادة العسكريين الامريكيين". وقال هاريمان "لقد كان قادتنا على ثقة بأن الروس سيحتلون منطقة اوسع من تلك التي وافقوا عليها في يالطا وانهم لن يسمحوا لنا بما سمحوا لنا به في المؤتمر ." وفي تعليقه على الشروط التي دخل الاتحاد السوفييتي بموجبها الحرب ضد اليابان قال هاريمان :" انه كان في وسع الاتحاد السوفييتي ان يخلد الى الانتظار ريثما تقوم الولايات المتحدة بارجاع اليابان، بعد ان تكون قد تكبدنا الخسائر الهائلة ."

ان حسابات حلفاء الاطلسي هي اشبه بحسابات رجال المال في اسواق البورصة، ان ارباحهم تتراكم بنفس المقدار الذى يتعاظم به

Digitized by Birzeit University Library

افلاس زملائهم الذين هم اصدقاؤهم في نفس الوقت فهذه هي اخلاق الرأسماليين، اخلاق غريبة عن الخلق الاشتراكي السوفييتي الذى يحافظ وبدقة على الوفاء بالتزاماته وبشرف .

كان مؤتمر يالطا برهانا على نجاعة التعاون المشترك القائم على المساواة بين الحلفاء سواءا في زمن الحرب ام في السلم .

ما ان وضعت الحرب اوزارها - وقد اسفرت عن تغيرات جوهرية في الوضع الدولي وفي ميزان القوى على الساحة العالمية لصالح الاشتراكية والطبقة العاملة والحركة الشيوعية وحركات التحرر الوطني حتى اطلقت الدوائر الحاكمة الرجعية في الغرب العنان للحرب الباردة ضد الاقطار الاشتراكية على امل ان يكون في مقدورها الحيلولة دون

نمو القوى الاشتراكية وحجب تأثيرها على العالم. ولقد كان التهجم على مؤتمر يالطا جزءا لا يتجزأ من هذه الحرب الباردة .

انه وقد اصبحت اقطار شرق وجنوب شرق القارة الاوروبية في عداد المنظومة الاشتراكية يمثل حقيقة لايستطيع ان يهزها او ينال منها اى نقد يوجه لقرارات يالطا، لقد جرى تأكيد هذه الحقيقة في مؤتمر بوتسدام وبعد ذلك في مؤتمر هلنسكي الذى عقد قبل عشر سنوات .

قرارات مؤتمر " يالطا " في ظل الواقع

لنعرض هنا بايجاز ما قاله بعض المنصفين حيال مؤتمر "يالطا" وقراراته. فقد اعلن الدكتور "هف ماكدونالد" ، المحاضر في كلية الاقتصاد بجامعة لندن، والاخصائي البريطاني البارز في الشؤون الدولية : ان انعقاد مؤتمر يالطا كان يهدف وضع حل لبعض القضايا العاجلة ذات السمة السياسية التي برزت في مجرى الحملة العسكرية الناجحة ضد دول المحور. ولقد اصبح انعقاد المؤتمر بدوره ممكنا فقط، بفضل الجبروت المتعاظم للجيش الأحمر ، وبفضل الجهود الهائلة التي بذلها لايقاف الزحف النازى والانتقال فور ذلك الى الهجوم في اتجاه الغرب. انه لولا البطولات التي اجترحها السوفييت لاصبح من المشكوك فيه ان يكون في قدرة الحلفاء الغربيين فتح الجبهة الثانية بنجاح مثل ذلك الذى صادفوه ومضى الدكتور ماكدونالد يقول: " لقد كان لقرارات مؤتمر يالطا تأثير هائل على مجرى العلاقات الدولية اللاحق في اوروبا ، ولقد مثل المؤتمر بداية التسويات للقضايا التي ستبرز في فترة ما بعد الحرب، واذا ما كان هنالك بعض المؤرخين الذين يقولون ان المؤتمر لم يتسم بالكمال فعليهم ان يتذكروا انه كان مجرد خطوة، ولكنها خطوة هامة جدا "

واستطرد د . ماكدونالد يقول : " اما فيما يتعلق بالاسباب التي تكمن وراء ما يبديه البعض من عدم الموافقة على ما اسفر عنه المؤتمر، فأن عدم الموافقة هذه قد ظهرت ايضا في اعقاب مؤتمر بوتسدام، صحيح ان الحلفاء الغربيين المشاركين في المؤتمر كانوا

Digitized by Birzeit University Library

قد اظهروا بعض التردد في استجاباتهم لبعض المقترحات التي طرحت في المؤتمر فيما يتعلق بحل بعض القضايا الاساسية المستعجلة التي ستبرز في اعقاب هزيمة المانيا، الا انني لا اوافق اطلاقا على ان مؤتمر يالطا كان قد شهد رضوخا غريبا للاتحاد السوفييتي، لقد عكس المؤتمر الاوضاع التي كانت عليها الامور في زمانه، والتي ما زالت عليه بشكل عام حتى الان، انه تعبير عن عملية معقدة، ولكنها ممكنه لاعادة بناء علاقات سياسية منسجمة بين الدول العظمى، انه يجرى استغلال قرارات يالطا بين الحين والاخر من اجل اثارة قضايا

قد تمت تسويتها ،ان مثل هذا الاسلوب يتجاهل حقيقة ان مؤتمر يالطا قد اسهم في استقرار القارة الاوروبية وضمن السلم لها خلال الاربعين سنة الماضية .ولقد عقدت مؤتمرات اخرى على غرار مؤتمر يالطا فيما بعد ولم يجر اى تحد عملي لها . ان ما اتخذ من قرارات في مؤتمر يالطا قد تم تثبيتها بعد ذلك في مؤتمر هلسنكي الذى عقد عام ١٩٧٥ ، ولو لم يكن مؤتمر يالطا قد عقد، لما كان من الممكن انعقاد مؤتمر هلسنكي"، واشار الدكتور ماكدونالد" ان السمات الايديولوجية للحرب الباردة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية، لم تكن باى شكل من الاشكال وليدة مؤتمر يالطا، وانا ارفض ايضا المحاولات التي تريد استغلال يالطا بغية خلق تصدع بين الاتحاد السوفييتي ودول شرق اوروبا ، ان هذه المحاولات تستهدف جعل الانظمة الاجتماعية في الشرق، موضوعا لبعض المراجعة من قبل الدول الغربية، هذا في الوقت الذى تشهد فيه ان العلاقات داخل حلف الفاتو ــ الاطلسي ــ وكذلك العلاقات بين دول اوروبا الغربية والولايات المتحدة الامريكية تنسجم بشكل ما مع مقررات مؤتمر يالطا . ان هذه المحاولات هي في رأيي قراءة احادية الجانب للتاريـــخ ".

واكد الدكتور ماكدونالد " على ان مؤتمر يالطا ، يعلمنا دروسا على النقيض من ذلك تماما ، فقد اظهر المؤتمر، امكانية بناء علاقات اكثر مرونة بين الشرق والغرب، وانني اعتبر ان هذا هو الامر الاساسي الذى افرزته قرارات يالطا والذى يجب ان يتذكره الساسة الاوروبيون عندما يجتمعون ".

قال "اندريه غروميكو" وزير الخارجية السوفييتية والذى كان ضمن الوفد السوفيتي في مؤتمر يالطا ،حيث كان يشغل منصب سفير الاتحاد السوفييتي في واشنطن ، قال : "انه فقط قصير النظر من يحاول تقويض الدعائم التي يرتكز عليها السلم في اوروبا والعالم اجمع منذ اربعين عاما . وانه فقط ذلك الذى اصيب بالعمى الذى يحاول ان يعيد النظر في الاتفاقيات التاريخية التي تم الوصول اليها في كل من مؤتمرى يالطا وبوتسدام. ان هذه الاتفاقيات تكبل ايدى كافة الاتفاقيين وتستبعدها من الحركة. ولقد كان هذا هو بالضبط الهدف من ورائها ." وقال غروميكو : " لقد اصبحت هذه الاتفاقيات اساسا للقانون الدولي بقوة التطورات اللاحقة" واضاف:" ان عشرين مليونا من مواطني الاتحاد السوفييتي قد ذرفوا حياتهم على مذبح الانتصار على الفاشية، كما سقط الملايين من ابناء البلاد المحالفة ضد الهتلرية في ميدان الوغى من اجل تحقيق السلام. وعلى ذلك فلن ينبت على الثرى الالماني اى تهديد بالحرب

Digitized by Birzeit University Library

مرة ثانية ابدا . وعلى كل متهور يحلم بالانتقام او في اعادة تخطيط الحدود الدولية في اوروبا ان يعلم ان الرايخ قد تطاير رمادا في لهيب الحرب العالمية الثانية ولن تقوم له قائمة لا في الحاضر ولا في المستقبـــل ".

وبعد فان الحقائق التاريخية التي تعرضنا لها في هذا المقال تتكشف عما يلي :ـ

ا) ان الاعتماد على التسلسل المنطقي والبرهان ليستا الوسيلة الناجعة في التعامل مع الامبرياليين ، وان اللغة الوحيدة التي من شانها ان تفرض عليهم الاعتراف والتسليم بالحق والحقائق هي رجحان ميزان القوة لصالح هذه الحقائـــق

ب) ان البوصلة التي يسترشد بها الامبرياليون في مواقفهم وسياساتهم هي مصلحتهم وحسب ، وانهم يضحون بكل ما تعارف عليه البشر من قيم ، وخلق وصداقات اذا ما تعارض مع مصلحتهـــم .

ج) ان حرية الشعوب ووحدتها ورفاهيتها ومستقبلها هي اشياء ليست واردة اطلاقا في قاموس الامبرياليين . وهم يلجأون الى الادعاء بحمايتها فقط حينما تتطلب مصلحتهم ذلك ، والا كيف يمكن التوفيق بين ما ينادى به ريجان الان من انه حامي حمى الشعب الالماني وبين ما نادى به اسلافه بتجزئة المانيا وبالتالي فرض الشتات على شعبها وتحويل ارضه الى مجرد حقل لزراعة البطاطا .

د) ان المواثيق والاتفاقيات والقرارات الدولية ، هي مجرد قصاصات من الورق في نظر الامبرياليين ، وانه اذا ما اريد لهذه المواثيق والاتفاقيات والقرارات ان تترجم ترجمة عادلة فلا بد ان يتم ذلك في ظل رجحان للقوة لمصلحتها بحيث يجرى فرضها عنـــوة .

ومن هنا فان اسلوب الفهلوة والتهالك لن يكون ذا فائدة في التعامل مع الامبرياليين الا اذا انعكست الآية وفرض عليهم التهالك كما حدث في بالطـــا .

مصادر البحـــث :

١) مجلة " الازمنة الحديثة ـ فبراير / شباط ١٩٨٥ عدد ٦

٢) ثلاثون عاما على النصر ـ جيربحورى ديبورين ـ دار التقدم ـ موسكو ١٩٧٥

٣) مجلة الاشتراكية في النظرية والتطبيق فبراير ـ ١٩٨٥ .

٤) الاركان العامة السوفييتية في اعوام الحرب ـ الكتاب الثاني ـ شتيمندو ' دار التقدم ـ موسكو .

٥) قصة حياتي ـ العارشال فاسيلفسكي ـ دار التقدم ـ موسكـــو .

Digitized by Birzeit University Library

(دعوة الى العربي والعصيين بقضايا التربية في الاراضي المحتلة للمساهمة في جعل التربية ملائمة لاوضاعنا واحتياجاتنا وتطلعاتنا) .

مقدمة :

اود ان ابدأ مقالي هذا بان اعترف باني قد اخترت عنوانا فيه روح المبالغة بهدف شد الذين ينوون ان يمروا مرور الكرام على هذا العدد الى قراءة المقال. لكن اقراري هذا لا يعني انني لا اقصد ما جاء في العنوان انني اعنيه ولكن بطريقة معدلة انني ارى ان التربيةعلى ما هي عليه الان في الاراضي المحتلة تؤدى الى مضار وسلبيات على صعيد مجتمعنا بقدر ما لها ، او ربما اكثر مما ينتج عنها ، من فوائد وايجابيات. ولذلك فاننا مدعوون الى البحث عن سبل لتحسين او لتغيير الوضع التربوي بشكل جذري. وقبل الخوض في الموضوع ، فانني اود ان اوضح بانني لست اشير الى الوضع السلبي الناجم عن الاحتلال فقط . فللاحتلال ، قطعا ، آثار سلبية وبعيدة المدى على التربية وعلى نواحي الحياة الاخرى في الاراضي المحتلة. ولكنني اريد ان اتطرق الى سلبيات النظام التربوي الذي ورثناه ، والى مضار وضعنا التربوي الحالي والى المخاطر الكامنة في سعينا الى التوسع الكمي في النظام الحالي بدون التريث للتفكير بنتائجه حتى الان او لتقويم مدى ملاءمته لواقعنا او لتوضيح اهدافنا من ورائه .

وهدفي من كل هذا هو ليس الدعوة الى

Digitized by Birzeit University Library

التخلي عن التربية وهجرها ولكن الدعوة الى اعادة بنائها او اعادة توجيهها بحيث تقلل من مردودها السلبي على مجتمعنا ،نجعل منها اداة لتنمية المجتمع بدل ان تكون وسيلة للحصول على الشهادات ولاعلاء المصلحة الشخصية فقـــــط .

وعند طرحي لملاحظاتي هذه حول وضعنا التربوي ،وعندما اقوم بابداء تحفظي من التوسع الهائل في مجال التربية بشكلها الحالي في الاراضي المحتلة، وخصوصا في مجال التعليم العالي، فانني أعي تماما بانني قد اثير معارضة الكثيرين لما سأكتب وانتقادات العديدين لماساعرض . فالمألوف حتى الان هما نوعان من الكتابات: الاول الذي يشير الى المضايقات والقيود التي يتعرض لها الفلسطينيون تحت الاحتلال في مجال التربية . (انظرمثلا ، ناصر ،١٩٧٦ ، نصر، ١٩٧٧ ، محشي وريحان، ١٩٨٠ ، ابو كشك ،١٩٨٣) . والثاني، هي المقالات والدراسات التي تشيد بانجازات الفلسطينيين التربوية وخصوصا فيما يتعلق بتحقيقهم لمستويات عالية من التعليم بالمقارنة مع شعوب الدول المتقدمة وخصوصا الغربية منها " انظر ، مثلا، شعث، ١٩٧٢، ناصر، ١٩٧٦ب، حلاج، ١٩٨٠) . وقد امتدح العديد من الكتاب، بمن فيهم كاتب هذا المقال، في تقاريرهم ودراستهم تغلب الفلسطينيين على العراقيل التي يواجهونها في جهودهم للحصول على المزيد من التعليم، بشكل عام، ومن التعليم العالي، بشكل خاص، وخصوصا تلك العراقيل الناتجة عن ظروف التشرد والتشتت والاحتلال (انظر محشي، ١٩٧٨) .

ومع ذلك، ومع امكانية اثارة حفيظة البعض مما سأكتب، فانني اجد لزاما علي ان اطرح ملاحظاتي واقتراحاتي هذه انطلاقا من مبدأ عدم التعامي عن الواقع هادفا اثارة الجدل حول واقعنا التربوي من اجل العمل على تصحيح مسيرتـــــه .

ومن الضروري قبل الخوض في الموضوع الاشارة الى ان ما سأكتب هنا هو بمثابة عجالة حول الموضوع وليس المقصود منه دراسة تفصيلية شاملة لأن المجال غير متوفر في هذا العـــدد .

سوف اقوم في سياق المقال بمعالجة الامور التالية : توضيح الهدف من التربية بالنسبة للمجتمع، استعراض سريع لجذور نظامنا التربوي الحالي، بعض ملامح نظامنا التربوي التي تدل على عدم ملاءمته ، بعض الانعكاسات السلبية لنظامنا التربوي على المجتمع، واقتراحات حول امكانيات التحسين او المعالجة ضمن الظروف الحالية ودور المعلمين والتربويين فيهـــــا .

هـــدف التربيـــة :

التربية نوعان : تلقائية وغير تلقائية. فالتربية التلقائية هي التربية غير المبرمجة (او غير المخطط لها) والتي تتم عادة بشكل عفوي عن طريق تفاعل الفرد مع محيطه المادي والاجتماعي . فما يتعلمه الفرد من والديه واقاربه ومن خلال تفاعله اليومي مع آخرين في بيئته ومجتمعه هي تربية تلقائية. ويعتبر البعض وسائل الاعلام بشتى انواعها والكتب والمجلات التي يطالعها الفرد جزءا من وسائل التربية التلقائيـــة.

Digitized by Birzeit University Library

اما التربية غير التلقائية فهي نوعان : نظامية وغير نظامية (او رسمية وغير رسمية) وهي تربية مبرمجة تتم عن طريق مؤسسات في المجتمع . والتربية النظامية هي التي تتم في المؤسسات المخصصة للتعليم مثل المدارس ومعاهد التعليم العالي والجامعات . اما التربية غير النظامية فهي التي تتم في مختلف المؤسسات الاجتماعية مثل دور العبادة، والنوادي، والجمعيات، وفي مواقع العمل والانتاج مثل التدريب قبل اوانثاء العمل لعمال المصانع، او للمزارعين، او للموظفين . وسوف اقصر ملاحظاتي في هذا المقال على دور التربية النظامية في الاراضي المحتلة بما تحويه من تعليم يتم في المدارس (الحكومية، الوكالة، والاهلية والخاصة)، والمعاهد، والجامعات .

ان اهداف التربية النظامية عديدة وتختلف بعض هذه الاهداف من مجتمع الى آخر . اما القاسم المشترك بين الاهداف في مختلف المجتمعات فيمكن صياغته على النحو التالي : ان هدف التربية الرئيسي هو تنمية المجتمع . واظن ان ما من احد الا ويقبل بهذا الهدف كهدف اساسي من اهداف التربية، ولكن المشكلة تكمن في عدم اتفاق الجميع في تعريف او تحديد معنى التنمية. فالبعض يميل في تعريفه للتنمية الى الجانب الاقتصادي الكمي البحت ويشدد على ان التنمية تقاس بمستوى الزيادة السنوية في الدخل القومي بينما يتجه البعض الاخر الى الاهتمام بالجانب النوعي المتعلق بالعدالة الاجتماعية اي العدل في توزيع الدخل القومي بين فئات وافراد المجتمع . وهذا الاختلاف هو احد الاختلافات الاساسية بين الفكر الاقتصادي التقليدي (الرأسمالي) والفكر الحديث واهمية الفكر الاشتراكي والفكر الذي تتبع من الدول النامية التي عانت من الاستعمار والتي ما زالت تعاني حتى الآن من الفقر والتبعية والاستغلال في علاقات التبادل التجاري مع الدول المتقدمة اقتصاديا (وخصوصا الدول الرأسمالية) . وهذا الفكر الذي هو اقرب الى واقعنا يشدد على جوانب هامة في عملية التنمية من ابرزها القضاء على الفقر وتحقيق الحد الادنى من شروط الحياة المقبولـــــــة .

وحسب الفكر الحديث في الاقتصاد فانه لا يمكن القول بنجاح عملية التنمية في مجتمع ما زال الناس فيه يعانون من الفقر او من عدم توفر الاحتياجات الاساسية لهم (التغذية، المأوى ، الصحة، الطمس، والامن) او في مجتمع لا يتسم بالعدل الاجتماعي او يتعايش فيه الفقر والغنى، او في مجتمع غير معتمد على ذاته او على امكانياته الذاتية او يعاني من اي نوع من انواع القهر والتبعية للغير، كما لا يمكن الحديث عن نجاح التنمية في مجتمع لا يتمتع افراده بشروط تقدير الذات والحياة الكريمة مثل توفر فرص العمل والانتاج، والحرية الفكرية والشخصية والقدرة على المساهمة في صنع القرار فيما يتعلق بحياتهم ومصيرهـــم .

والتربية الملائمة او الناجحة هي التربية التي تساعد المجتمع على تحقيق التنمية حسب هذا المفهوم الواسع والشامل هي تربية

Digitized by Birzeit University Library

لخدمة المجتمع في سعيه للقضاء على الفقر ولتوفير الاحتياجات الاساسية للجميع ، وفي جهوده لتحقيق العدل الاجتماعي وللتخلص من القهر والاستغلال والتبعية بجميع اشكالها ولتحقيق الاعتماد على الذات وشروط الحياة الكريمة. وهي تربية لخلق الوعي لدى الفرد حول واقع مجتمعة وخلق الشعور لديه بالانتماء لهذا المجتمع والاستعداد للمشاركة في حل مشكلاته وتنميته واذا ما اردنا ترجمة هذه الامور الى واقعنا المحلي ، فان هذا يعني ان على التربية ان تسعى الى تحقيق عدة امور اهمها :

١) مساعدة الفرد (الطالب) على معرفة قدراته الجسدية والذهنية، وعلى اكتشاف مواهبه ،وامكانياته ، وميوله، واهتمامه .

٢) مساعدة الفرد على اكتشاف وفهم محيطه وبيئته المادية والاجتماعية، وهذه تشمل البيت، المدرسة، محيطه المباشر، مجتمعه المحلي (او مكان سكنه) .

٣) مساعدة افراد المجتمع على اكتساب المعرفة حول واقع مجتمعهم في الاراضي المحتلة (كجزء من المجتمع الفلسطيني) بما في ذلك اكتساب المعرفة حول جغرافية تاريخ، اقتصاد ، والتركيبة الاجتماعية والسكانية للاراضي المحتلة .

٤) توجيه الفرد لادراك معوقات التنمية في الاراضي المحتلة بما في ذلك المعوقات الاجتماعية والطبقية، والمعوقات الناجمة عن الاحتلال، وتلك الناتجة عن علاقات المجتمع في الاراضي المحتلة بالمجتمعات الاخرى العربية وغيرها .

٥) تطوير موقف ايجابي لدى الفرد من العمل المنتج، الحرفي والزراعي، واهميته في تحقيق احتياجات الفرد والمجتمع الأساسية والضرورية للبقاء وتطوير الاحترام والتقدير للعمال المنتجين .

٦) تزويد الفرد بمهارات متنوعة ضرورية للحياة خارج المدرسة او خارج العالم الاكاديمي والتي تمكنه من المساهمة في عملية انتاج احتياجاته الاساسية ومن التفاعل مع محيطه ومجتمعه والنهوض بهما ، مثل : القدرة الابجدية والعددية المعرفة العلمية الاساسية وتطبيقاتها في الحياة اليومية، مهارات يدوية وفنية، القدرة على التخطيط وصنع القرار، مهارات البحث والاستفسار، التربية الصحية، التعاون والاستعداد للعمل الجماعي

٧) تعريف الفرد بسوق العمل وتزويده بمعلومات عن الوظائف المتوفرة في المجتمع ومتطلباتها وعلاقتها او اهميتها بالنسبة لتنمية المجتمع .

٨) مساعدة الفرد على اتخاذ قرار واع وواقعي يتعلق بمصيره بعد ترك المدرسة او التخرج منها .

٩) تطوير الاستعداد لدى الفرد للمساهمة والمشاركة في تنمية مجتمعه .

١٠) مساعدة الفرد وتحضيره للبقاء في الاراضي المحتلة او الصمود في وطنه وفي ارضه .

١١) المساهمة في التخلص من الاحتلال وجميع انواع الطبقية والاستغلال وتحقيق

Digitized by Birzeit University Library

العدل الاجتماعي والاعتماد على الذات.

١٢) تطوير الهوية والشخصية الفلسطينية غير المنعصبة والمتفتحة على نفسها والتي تؤمن بالمبادئ الانسانية والتقدمية وتشجيع الثقافة والفن الفلسطيني للتعبير عن هذه الهويـــــة .

وللحكم على مدى ملاءمة التربية النظامية للمجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية وعلى مدى مساهمتها في تنميته،لا بد من دراسة ما اذا كانت هذه التربية تعمل على تحقيق الامور الواردة اعلاه. وهذا ما ساحاول التعرض له في الاقسام التالية من المقـــــال .

جـذور نظامنـا التربـوى الرسمـي

لكي نتمكن من فهم واقع نظامنا التربوى الرسمي لا بد من القاء نظرة سريعة على جذوره او على خلفيته التاريخية. ففهم الواقع لا بد الا ان يبدأ بدراسة الماضـي .

ان نظامنا التربوى الرسمـي شبيـه بالانظمة التربوية في العديد من المجتمعات النامية الاخرى. وهو كذلك يتميزبسمات عديدة مطابقة لسمات الانظمة التربوية الرسمية في الدول الرأسمالية الغربية. وهذا ليس بالشيء المستغرب. فالتربية النظامية في العالم الثالث تم تطويرها اثناء فترة الاستعمار (او الانتداب) الاجنبي لهذه المجتمعات وقد كان الهدف الرئيسي الذى سعى اليه الاستعمار من وراء نشر التربية النظامية هو خلق شريحة او نخبة من المتعلمين لمساعدته في تطبيق سياسته وفي ادارة الشؤون المحلية من خلال ملء الوظائف في القطاع الحكومي وفي قطاع الخدمات. هذا عدا عن ضمان استمرار نفوذ الاستعمار عن طريق خلق فكر وثقافة هما السائدين بين الفئات او الطبقة المتنفذة في المجتمعات المحلية، وفتح الاسواق المحلية للمنتجات من الدول الاستعمارية عن طريق تشجيع نمط حياة يتميز بالطابع الاستهلاكي للسلـع المستـوردة .

وبالفعل، فاننا اذا نظرنا الى تاريخ التربية في فلسطين فاننا سنجد ان التربية النظامية العربية فيها قد بدأت او توسعت الى حد كبير بالشكل الذى نعرفه حاليا (التربية المدرسية او المؤسسات) اثناء فترة الانتداب البريطاني. فقد وضع الانتداب البريطاني السياسة التعليمية الرسمية للمدارس العربية في فلسطين عام ١٩٢٠ ، بدون مشاركة الفلسطينيين العرب ،وجعلها منسجمة مع سياسته الاستعمارية (بدران، ١٩٦٩، ص١٤٠) كما عمل الانتداب على انشاء المدارس العربية الحكومية بحيث تضاعف عددها في فترة الانتداب ما لا يقل عن ثلاث مرات وتضاعف عدد الطلبة فيها ما لا يقل عن عشر مرات (طيباوى، ١٩٥٦، من ٢٧٠).

واذا ما قيمنا وضع التربية النظامية العربية في فلسطين اثناء فترة الانتداب البريطاني فانه لا يسعنا الا ان نتوصل الى نفس الاستنتاجات التي توصل اليها عبد القادر يوسف (١٩٦٢، ص ٧٧ – ٨٠) وأهمها: ١) لم تساعد التربية النظامية على تحسين الزراعة،التي كان يعتمد عليها في معيشتهم اغلبية الفلسطينيين العرب، او

Digitized by Birzeit University Library

الى رفع مستوى وكفاءة المزارعين .

٢) لقد كانت التربية النظامية تربية نخبوية فلم يحصل على نصيب من التعليم غير نسبة بسيطة من الناس .

٣) ساهمت طبيعة مناهج المدارس الحكومية وطبيعة عملية التربية في خلق جيل اتكالي ، فقد كان التعليم كسبيا يعد للوظائف وينفر المتعلم من كل عمل يدوى او زراعـــي .

٤) ادت وسائل النظام التسلطية في الصفوف والادارة والتفتيش الى انعدام حرية التلميذ والى ايجاد معلمين ومتعلمين ينقصهم الخصائص الفيادية والابتكارية .

٥) كانت الادارة مركزية فحالت مركزيتها دون تقدم المدارس العامة او الحكوميـــة .

٦) ادى انعدام التعليم المهني والصناعي او نقصها الفاضح الى جعل البلاد في أمس الحاجة الى العمال الفنيين المدربين على الاعمال الفنية الضرورية لحياة السكان وتحسين مستواهم المعيشـــي .

٧) باعدت عملية التعليم والتعلم بين المتعلمين وشؤون الحيـــاة .

٨) ادت الطبيعة الجامدة للمناهج والكتب المدرسية الى جهل الطلاب التام لقضايا الساعة والمشاكل التي يعاني منها المجتمع كما اصبحت المناهج غاية بحد ذاتهـــا .

٩) فشلت التربية النظامية في تنمية احساس الناشئة بالاخطار المحدقة بالامة العربية .

اذا ، فانه يمكننا تلخيص ما جاء اعلاه على النحو التالي : لقد نشأت التربية النظامية العربية في فلسطين بشكل رئيسي اثناء فترة الانتداب البريطاني الذى وضع لها سياسة تعليمية منسجمة مع سياسته الاستعمارية وقد كانت هذه التربية باهدافها ومحتواها واساليبها - غير ملائمة لواقع واحتياجات الفلسطينيين العرب وتطلعاتهم في تلك الفترة. وقد شهدت فترة الانتداب توسعا هائلا في اعداد المدارس الحكومية والطلبة فيها . وقد ادت هذه التربية غير الملائمة الى مردود سلبي على المجتمع الفلسطيني في تلك الفترة الذى من الممكن ان تكون انعكاساته قد استمرت حتى يومنا هذا . ويلاحظ الدارس لتاريخ التربية في تلك الفترة اقبال الناس الكبير على التعليم النظامي من اجل الحصول على الوظائف المكتبية او الوظائف الحكومية .

اما خلال فترة الحكم الاردني للضفة الغربية ، فقد استمر التوسع الكمي في التربية النظامية ؛ ولم يرافق هذا التوسع تغييرا ملحوظا في السياسة التعليمية او في توجهات التربية النظامية او في مبادئها الاساسية. فلم تضع الحكومة الاردنية سياسة تربوية واضحة ومعتمدة على فلسفة معلنة الا مع حلول عام ١٩٦٤ بنشرها لقانون التربية والتعليم ، وهو اول قانون من نوعه ينشر في المملكة الاردنية الهاشمية . وخلال الفترة ما بين ١٩٦٤ و ١٩٧٤ بدأ العمل على اعادة النظر في المناهج المدرسية وتعديلها بغرض جعلها اكثر ارتباطا بالمجتمع ومستقبله . ولكن ، وبالرغم من كل الجهود في مجال التربية النظامية ، بقي التركيز منصبا على الناحية الشكلية في التحسين التربوى ولم يتعداه الى جوهر التربية واساليبها والى جعلها اكثر ارتباطا بواقع المجتمع واحتياجاته . فرأينا

Digitized by Birzeit University Library

تغيرا في الكتب المدرسية بحيث اصبحت باللغة العربية واكثر حداثة من قبل. ولكنها ظلت متأثرة بالمناهج البريطانية، خاصة، والعربية، عامة، وخصوصا فيما يتعلق بتدريس العلوم حتى ان بعضا منها يعتبر ترجمة وتجميع من كتب غربية. كذلك، بقي اسلوب التدريس والنظام الاداري ونظام التفتيش او التوجيه المتبع كما كان عليه سابقا: اسلوب مركزي، سلطوي، وحامد مما لم يفسح المجال لايجاد معلمين وطلبة مبدعين ومبتكرين ولتحسين الوضع التربوي جوهريا او نوعيا".

" وفي عام ١٩٦٧، وقعت الضفة الغربية تحت الاحتلال الاسرائيلي فزادت الامور تعقيدا بالنسبة للتربية النظامية". فاصبح نظامنا التربوي المدرسي نظاما اردنيا خاضعا لرقابة واشراف اسرائيليين. ولا مجال هنا لتذكير القراء بنتائج وقوع التربية في الضفة الغربية تحت النفوذ الاسرائيلي. ولكن على المهتمين بالموضوع مراجعة بعض الكتابات حوله (مثل ناصر، ١٩٧٦أ، نصرو، ١٩٧٧، محشي وريحان، ١٩٨٠، محشي، ١٩٨١ أبو كشك، ١٩٨٣، ابو ليل وعبد الفتاح، ١٩٨٣ جراهام – براون، ١٩٨٤). ومنذ عام ١٩٦٧ استمر التوسع الكمي في النظام التربوي الرسمي، وكان اهم توسع ذلك الذي حصل في مجال التعليم العالي وخصوصا الجامعي منه. فقد زاد عدد المدارس في الضفة الغربية في الفترة ما بين ١٩٦٨/٦٧ و ١٩٨٤/٨٣ بنسبة ٣٢٪ وعدد الطلبة فيها بنسبة ٩٦٪ (انظر الكتاب الاحصائي السنوي الاسرائيلي، ١٩٨٤، ص٧٨٨) اما التوسع في التعليم العالي وخاصة الجامعي فقد كان سريعا وكبيرا. فقد تطورت كلية تدريب الى جامعة واسست جامعة بيت لحم، والنجاح الوطنية، والخليل، وغزة الاسلامية، و"جامعة القدس". (للمزيد من التفاصيل حول نشأة الجامعات انظر محشي، ١٩٧٨).

بعض ملامح نظامنا التربوي الرسمي

مما جاء اعلاه نرى ان التربية النظامية في الضفة الغربية، وخصوصا التربية المدرسية، هي تربية وضعت جذورها او اسسها في فترة الانتداب البريطاني وعلى يد البريطانيين وقد عدّلت شكليا او بشكل سطحي زمن الحكم الاردني للضفة الغربية، وهي خاضعة حاليا للاشراف والنفوذ الاسرائيلي. ونسميها "فلسطينية". فهل هي فعلا فلسطينية، اي هل هي ملائمة لنا كفلسطينيين في الضفة الغربية؟ وللاجابة، لا بد من ايراد بعض الملاحظات حول واقعنا التربوي كما هو عليه الآن. وسوف اقصر ملاحظاتي على تلك التي لها علاقة بغاية هذا المقال، وعلى المعنيين بتفصيلات حول الموضوع الرجوع الى المراجع التي تم ذكرها حتى الآن.

من اهم ملامح نظامنا التربوي الرسمي في الضفة الغربية ما يلي:

١ – بسبب انعدام الاستقلال السياسي للضفة الغربية، فان المجتمع يفتقر لخطة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وبالتالي، فان التربية النظامية سائرة بقوة دفعها على النمط الذي ورثناه من الماضي. وهي تتوسع افقيا (في اعداد المدارس والطلبة) وعموديا (في

Digitized by Birzeit University Library

مستويات التعليم) بدون توجه واضح او اهداف واضحة وبدون تخطيط تراعي فيه حاجة المجتمع من الخريجين او من المتعلمين. ومثال على ذلك: هذا التوسع الهائل الذى شهدته الضفة الغربية في مجال التعليم الجامعـــي.

٢ـ ان مدارس الضفة الغربية تفتقر الى العديد من المرافق والتسهيلات الحيوية والضرورية لعملية التعليم والدراسة كما ان هنالك نقصا كبيرا فيها في اعداد المعلمين والاداريين المؤهلين وذوى الخبرة.

٣) ان المنهاج المدرسي في الضفة الغربية هو منهاج رسمي يتم وضعه او تطويره بشكل مركزى في الاردن. وهو عادة منقول عن او متأثر بالمناهج في الدول الغربية التي يختلف واقعها عن واقع مجتمعنا. وبالتالي فان المنهاج المقرر قلما يكون ذا صلة بواقع واحتياجات الطلبة وحياتهم اليومية. وبطبق المنهاج في المدارس باستعمال الكتب بطريقة حرفية وجامدة، مما لا يفسح المجال للابداع في التدريس. اما مناهج الجامعات وبرامجها فهي ايضا منقولة او متأثرة بشكل عميق ببرامج الجامعات العربية والاجنبية ولم توضع بناءا على احتياجاتنا ومتطلباتنا واقعنا او لملاءمته.

٤) يغلب على التربية المدرسية الطابع الكتبي، اى ان الكتاب يحتل المركز الأساسي والرئيسي فيها، وهي تجرى بطريقة مجردة نظرية وبعيدة عن الواقع وعن التطبيق العملي في الحياة اليومية. بالتالي، فان التربية لا تهتم الا بتطوير جانب من القدرة الذهنية للطلبة ـ قدرة الحفظ عن غيب ـ ولا تهتم بتطوير قدرات الطلبة التحليلية والمنطقية، وقدرتهم على صنع القرار او البحث او قدراتهم العملية والحركية بشكل عام. ومن الملاحظ، انه مع مرور الزمن فان التعليم الجامعي في الضفة الغربية اخذ يميل اكثر بهذا الاتجاه بدل ان يبقى محافظا على اختلافه النوعي من هذه الناحية عن التربية المدرسية. ولعل التوسع الكمي الملحوظ للطلبة في الجامعات المحلية بدون تطور موار ومتزامن في مصادرها المالية والبشرية هو السبب في ذلـــك.

٥) تتميز التربية النظامية في الضفة الغربية بكثرة الامتحانات فيها وبالاهمية الكبيرة المعطاة لهذه الامتحانات. حتى اصبح النجاح في الامتحانات والعلامات العالية هى الغاية بدل ان تكون وسيلة لتقويم الطلبة وتعلمهم. وقد ادى كل هذا الى تفشي المنافسة السلبية والنزعة الفردية لدى الطلبـــة.

٦) يغلب على التربية النظامية الطابع الاكاديمي. فهدف كل مرحلة دراسية هو التحضير للمرحلة التي تليها وليس اكساب الفرد مهارات محددة تعينه في حياته خارج اسوار المدرسة او المؤسسات التعليمية. فهدف المرحلة الابتدائية هو تحضير الطالب للمرحلة الاعدادية، وهدف هذه الاخيرة تحضيره للمرحلة الثانوية. وهدف المدرسة الرئيسي والاساسي هو تحضير الطلبة للالتحاق بالتعليم العالي، وخصوصا التعليم الجامعي كما يلاحظ ان احد اهم الاهداف الرئيسية للتعليم الجامعي في الضفة الغربية هو تحضير الطالب للدراسات العليا. لذلك فان التربية النظامية هي تربية نخبوية تخدم الاقلية، لان الاقلية هي التي تتمكن من انهاء جميع المراحل المدرسية والالتحاق بالتعليم الجامعي او الوصول الى مرحلة الدراسات الجامعية

Digitized by Birzeit University Library

العليا ، فمن تحليل الاحصائيات التربوية، يتبين ان من بين كل (١٠٠) طالب يلتحقون بالصف الاول الابتدائي ينهي اقل من (٦٠) طالبا تسع سنوات دراسية، وحوالي (٤٠) ينهون (١٢) سنة دراسية، وحوالي (٣٠) ينجحون في امتحان التوجيهي، وما لا يزيد عن (١٠) يلتحقون بالتعليم الجامعي (انظر محشي وريحان ، ١٩٨٠) فالتربية النظامية لا تهتم بتحضير الاغلبية، الذين يتسربون من المدرسة او الذين لا يلتحقون بالتعليم الجامعي بعد التخرج من المدرســـة .

٧) ان الطبيعة الاكاديمية للتربية النظامية تخلق افرادا ميالين للابتعاد عن الاعمال اليدوية المنتجة، كما تخلق فيهم نزعة الاستعلاء وتوقعات لا تتلاءم مع واقعهم المعيشي والاجتماعي. وهذا مرده الانحياز الواضح نحو التخصصات الاكاديمية وتقليل شأن واهمية التخصصات المهنية. فاذا نظرنا الى المرحلة الثانوية نرى ان ٩٧ ٪ من الطلبة على مستوى التوجيهي هم عادة في التخصصات الاكاديمية (العلمية والادبية) بينما ٣ ٪ فقط يلتحقون بالتخصص المهني (بما في ذلك التخصص الصناعي ، والتجاري ، والزراعي) . واذا تمعنا في طريقة توزيع الطلبة على التخصصات المختلفة، نجد ان التخصص العلمي مخصص للطلبة الذين يحصلون على اعلى المعدلات في الصف الاول الثانوي. اما التخصص الادبي فهو للذين لم يتمكنوا من الوصول الى مصاف " الدرجة الاولى" من الطلبة، ويبقى التخصص المهني " للفاشلين" وهذا التقسيم " الطبقي" في التخصصات نابع من تطلعات وتوقعات الطلبة وذويهم من التربية النظامية. فهم يرون في التربية النظامية وسيلة للحصول على الوظائف المكتبية، او الوظائف المعروفة: "بوظائف الياقة البيضاء"، وما ينتج عنها من دخل افضل ووضع مالي مستقر ومنزلة اجتماعية. اذا هذا التقسيم عائد الى الطلب الاجتماعي من التربية وليس بالضرورة نابعا من احتياجات المجتمع الفعلية او من واقع سوق العمل في الضفة الغربية، وليس أدل على ذلك من الاقبال الكبير على التعليم الجامعي في الضفة الغربية في الوقت الذى اصبحت فيه ظاهرة بطالة الخريجين الجامعيين منفشية في الضفة الغربية والاراضي المحتلة عامة، وفي نفس الوقت الذى نعاني فيه من نقص في الفنيين المدربين ومن هجرة الناس للأراضي الزراعية.

٨ ــ بسبب التوقعات التي تخلقها التربية النظامية ، كما جاء في النقطة السابقة، فاننا نجد ان التربية النظامية لها ارتباط او علاقة طردية مع الهجرة الداخلية (من الريف الى المدينة) او الخارجية (من الاراضي المحتلة الى الخارج.) فالطالب المتخرج من المدرسة او الجامعة يتطلع للحصول على وظيفة غير يدوية او على الاقل يتوقع ان لا يرجع الى العمل الزراعي او اليدوى، الذى يعمل به اهله، ويفضل عدم العمل في المناطق الريفية حتى لو توفر له عمل غير يدوى فيها، كالتعليم في قرية، مثلا. (للمزيد من التفاصيل حول علاقة التربية بالهجرة من الريف وبسوق العمل، انظر محشي، ١٩٨٢).

٩ ــ ان غالبية المدارس في الضفة الغربية هي مدارس حكومية (حوالي ٧٨ ٪) . وبالتالي، فهي تحت الاشراف والنفوذ المباشر للحكم العسكرى الاسرائيلي. وهذا يعني ان اى تغيير

Digitized by Birzeit University Library

في التربية النظامية المدرسية لا يمكن ان يتم الا في مدارس الوكالة (وهذا شبه مستحيل بسبب القوانين والانظمة التي تتقيد بها مدارس الوكالة) او المدارس الاهلية او عن طريق جهود المعلمين الفردية او الجماعية (النقابية) في مدارس الحكومة .

١٠ـ يلاحظ النفوذ الغربي في مجال التعليم الجامعي : فالتعليم الجامعي الغربي ما زال ينظر اليه من قبل الاساتذة والاداريين الجامعيين كمثال من المفيد ان يحتذى به . وهذا عائد بشكل رئيسي الى طبيعة الخلفية الاكاديمية للعاملين في مجال التعليم الجامعي. فيلاحظ ان نسبة كبيرة منهم تابعت دراستها العليا في الدول الغربية مما اثّر على مقاييسها او معاييرها للتعليم الجامعي الجيد . وبالتالي ،تلاحظ محاولة تقليد ما يجرى في الجامعات الغربية فيالبرامج الدراسية، والطرق الادارية ، وفي الابحاث، وخصوصا الابحاث في مجال العلوم الطبيعية .

بعض الانعكاسات السلبية للتربية النظامية

ان ما توصل اليه عبد القادر يوسف عام ١٩٦٢ من استنتاجات حول التربية النظامية العربية اثناء فترة الانتداب شبيه جدا بما جاء اعلاه حول ملامح نظامنا التربوى الرسمي في الفترة الحالية. فكما ذكر سابقا، ان النظام التربوى الرسمي في فلسطين، او في الضفة الغربية بالتحديد، قد تغير خلال الاربعين سنة الماضية في بعض جوانبه الشكلية فقط ولم يتغير في جوهره . وبرأيي فان السبب الرئيسي في ذلك هو عدم وجود فلسفة تنموية واضحة توجه عملنا التربوى، وتوجه عملنا في القطاعات الاخرى . واذا كان البعض سيقول هنا ان هنالك فلسفة تنموية توجه العمل التربوى ـ وهي الفلسفة ، او على الاقل الخطة التنموية المتبعة في الاردن ـ فانني سأرد بالقول بان هذه الفلسفة او الخطة لا تلائم واقعنا او لا تتجاوب مع اولوياتنا ولم تستفد من تجارب الشعوب الاخرى في العالم الثالث التي سعت الى القضاء على الفقر وعلى التبعية والى العدل الاجتماعي والاعتماد على الذات . وحتى لو تركنا هذه النقطة الاساسية جانبا، فانني على الاقل سأقول ان واقع الاردن حاليا واوضاع سوق العمل فيه وظروفه الاقتصادية والتغيرات التي حصلت فيه خلال العقدين الماضيين (وخصوصا العقد الاخير ـ بعد الحرب الاهلية في لبنان) غير شبيهه او بعيدة كل البعد عما حصل ويحصل في الاراضي المحتلة فالاردن شهد تحولا ، وما زال ، من نمط الانتاج ماقبل الرأسمالي الى نمط الانتاج الرأسمالي، اى الانتاج الذى يتميز بالانتاج لسد احتياجات العائلة الاساسية وعلى مستوى الكفاف الى الانتاج الموجه للسوق وللتبادل التجارى الخاضع للعرض والطلب. وبينما يسعى الاردن الى زيادة دخله القومي عن طريق تطوير الزراعة وانشاء المصانع وبينما يزداد فيه القطاع التجارى وقطاع الخدمات اتساعا، تتجه، او الاصح . توجه، الضفة الغربية، والاراضي المحتلة عامة، الى الالحاق بالاقتصاد الاسرائيلي وتفرض عليها الضغوط لتقليص مساحة الاراضي المزروعة فيها وتشهد منافسة اسرائيلية في مجال الصناعة والتجارة وقيود في مجال الخدمات مما يؤدى الى عدم تطور هذه القطاعات بل الى انحدارها . وبينما تشهد في الاردن توسعا في مجال

Digitized by Birzeit University Library

استصلاح الاراضي وفي مساحة الاراضي المستغلة زراعيا، نرى في الضفة الغربية مصادرة الاراضي وهجرانها . وبينما كنا نرى في الاردن استيرادا للعمال المهرة وغير المهرة من الخارج كنا نسجل هجرة من الضفة الغربية بمعدل ٢٠ الف نسمة سنويا . وبينما كنا نلحظ في الاردن توجها نحو بناء المؤسسات المختلفة كانت مؤسساتنا تتعرض للتدمير . وبينما جهود الاردن موجهة نحو النمو الاقتصادي فاننا معنيون ببقائنا وصمودنا فوق ترابنا وارضنا وبالحفاظ على هويتنا المستقلة وبالسعي لتحقيق وضع يسمح لنا بتقرير مصيرنا . ومع كل هذا الاختلاف بين الواقعين ، فانه يفرض علينا تطبيق او الاستمرار في تطبيق نفس النظام التربوي الرسمي المتبع في الاردن (وقد يشكل الامتحان الشامل لكليات المجتمع وامتحان المرحلة الاعدادية مثالين مناسبين، ولكن سطحيين ، لاثارة الجدال حول مدى ملاءمة النظام التربوي الاردني لواقعنا) . والاسوأ من تطبيق ما يفرض علينا هو ان نسعى الى توسيعه او طلب المزيد منه بدون التوقف او التريث للحظة واحدة لتقويم مدى ملاءمته لواقعنا واحتياجاتنا واهدافنا وتطلعاتنا . الاسوأ هو ان يصبح الموروث والمفروض خيارا طوعيا او مطلبا وهدفا بحد ذاتـــــه .

وهذا هو ، برأيي ، ما يحصل الان في مجال التربية النظامية. لقد اصبحت التربية النظامية غاية بحد ذاتها بدل ان تكون وسيلة لتعلم الفرد ولوصول المجتمع الى غاياته او لتحقيق احتياجاته. وعاما بعد عام يزيد الطلب على التربية النظامية وعلى كافة المستويات ، فيزيد تأثير التربية على المجتمع ويقل تأثير المجتمع عليها ، فتصبح التربية هي التي توجه المجتمع بدل ان يكون المجتمع موجها للتربية او بدل ان تكون العلاقة بين التربية والمجتمع علاقة جدلية. فتخلق التربية متطلبات وتوقعات وتظلمات واهتمامات تتطلب من المجتمع السعي لتحقيقها بدل ان تعمل هي على توفير احتياجات المجتمع وتحقيق تطلعاته. اى تخلف التربية النظامية واقعا جديدا على ان يتلاءم معه بدل ان تتلاءم هي مع واقع المجتمع واحيتاجاته . فنرى اليوم ان التربية تؤدى الى مشكلات على المجتمع بذل الجهود لحلها بدل ان تسهم هي في حل مشكلات المجتمع . ولعل ابرز مثال على كلامي هذا هو ما يسمى " مشكلة الخريجين الجامعيين" اى الخريجين العاطلين عن العمل، التي اصبحت تشغل بال المجتمع فكثرت الكتابات حولها والدعوات لمعالجتها (انظر ، مثلا، الفجر بتاريخ ١٩٨٣/١١/٥ ،الفجر٨٤/١/٣١ الفجر ١٩٨٤/٢/١٥، الفجر ١٩٨٤/٢/١٧، القدس ١٩٨٤/٥/٢٢) . (والطريف بالامر بان العديد من الدعوات لمعالجة المشكلة رأت ان بعض الحلول تكمن في تقديم او توفير المزيد من التعليم لهؤلاء الخريجين، اى تأسيس دراسات عليا في الاراضي المحتلة وارسال بعض الخريجين في بعثات دراسية لاستكمال دراساتهم العليا في الخارج)، ومع ان التربية النظامية اصبحت تخلق المزيد من المشكلات بسبب عدم ملاءمتها للواقع، الا ان الاقبال عليها مازال مرتفعا ولم يتمكن المجتمع من تخفيفه او تغيير مسيرته . وكان لا حول لنا ولا قوة في ذلك او كان التربية

Digitized by Birzeit University Library

النظامية اصبحت وباءا آخذا في الانتشار في مجتمعنا ولا يمكننا معالجتـــــه .

والحديث عن المردود العكسي او السلبيات الناتجة عن عدم ملاءمة التربية النظامية لواقعنا طويل ولا مجال لاعطائه حقه هنا . الا انه من المفيد ذكر بعض الانعكاسات السلبية للتربية النظامية في مجتمعنا هنا :

١ـ ان عدم وجود خطة لتطوير التربية النظامية يؤدى في كثير من الاحيان الى هدر المصادر المالية والبشرية النادرة في الضفة الغربية والى بذل الجهود بدون مردود او بمردود سلبي . وادل مثال على ذلك التوسع غيرالمنظم في مجال التعليم العالي الذى فيه الكثير من التكرار في البرامج، بدل ان يتميز بالتكامل، بين الجامعات المختلفة. بالتكامل، بين الجامعات المختلفة . ومن المصادر المالية بدأت تشح مما يهدد مسيرة التعليم الجامعي في الاراضي المحتلة وامكانيات تحسينه وتطويره نوعيـــا .

٢) ينتج عن الطبيعة الكتبية للتربية المدرسية تشديد زائد على الجانب المعرفي في العملية التعليمية ـ التعلمية مما لا يساعد على تطوير المقدرات الذهنية المنطقية والتحليلية والاستفسارية لدى الطلبة . وهذا يحد من قدرة الافراد على صنع القرار في حياتهم اليومية او في المجتمـــــع .

٣) يؤدى التشديد الزائد على الامتحانات ونتائجها الى حصر اهتمام الطلبة بتحقيق معدلات عالية اوالحصول على اعلى العلامات. ومن المضار الناجمة عن هذا الوضع ـ والتي ابتدات بالتفشي بين الطلبة وبالانتقال الى المستوى الجامعي ـ هو اقتصار اهتمام الطلبـــة بدراسة الحد الادنى المطلوب للامتحانات وعدم الاهتمام بالتعلم واستعمال كافة الوسائل للحصول على العلامات بما فيها الغش، الذى اصبح ظاهرة معروفة في اوقات تقديم الامتحان النوجيهي ! وهذه ظاهرة لها، قطعا ، آثار سلبية على مستوى المجتمع (فبدأت، مثلا، تبرز ظاهرة تزوير الشهادات والوثائق اللازمـة للالتحاق بالجامعـــات) .

٤) لقد اصبحت العلامات والشهادات هي المقياس الأساسي ، وربما الوحيد ، للتحصيل الاكاديمي او الدراسي. فهل الحصول على الشهادات مكان التعلم كهدف للتربية النظامية، وزاد الطلب على الشهادات الاعلى للحصول على الوظائف القليلة المتوفرة في المجتمع .فاصبح هنالك تضخم في متطلبات الوظائف المختلفة من الشهادات الجامعية مما زاد من السعي للحصول على الشهادات وهذا ما يعرف حاليا " بمرض الشهادات" (انظر دور ، ١٩٧٦)

٥ ـ اصبحت التربية النظامية وسيلة لغربلة افراد المجتمع او لتصنيفهم الى فئتين : الناجحين والفاشلين. فالناجحون هم الاقلية الذين يتمون التعليم المدرسي ويلتحقون بالتعليم الجامعي وبالدراسات العليا ويحصلون على الشهادات. اما الفاشلون فهم الذين يتسربون من المدرسة او يرسبون فيها او الذين ينجحون في المدرسة ولكن لا يتمكنون من الالتحاق بالتعليم الجامعي. وحسب ما ذكرت سابقا ، فان التربيةالنظامية لاتعد الغالبية (الفاشلين) لحياتهم اليومية و للوظائف او الاعمال المتوفرة لهم في المجتمع . بل هي، على العكس من ذلك، تزرع فيهم الشعور بالفشل في اهم المقاييس

Digitized by Birzeit University Library

(عدم الحصول على الشهادات العليا) مما يعزز لديهم الشعور بالعجز والنقص. فالتربية النظامية ، اذا ، اصبحت وسيلة لتقسيم " "طبقي" جديد في المجتمع : طبقة الناجحين وذوى الشهادات وذوى وظائف الياقة البيضاء،وطبقة الفاشلين والذين يعملون في الاعمال اليدوية الانتاجيـــة .

٦ ــ مما جاء اعلاه ، نجد ان التربية النظامية بشكلها الحالي، تخلق توقعات لدى الناجحين لا تتناسب مع واقع واحتياجات المجتمع. فهم يتوقعون ان يكافأوا على نجاحهم بالحصول على الوظائف المريحة، وبعدم العمل في الريف ، او حتى بتوفير دخل لهم اذا لم يجدوا عملا في وظيفة" ملائمة" لهم. (وهذا ما يحصل فعلا، فكما ورد في جريدة القدس بتاريخ ١٩٨٤/٥/٢٢، فانه قد تقرر صرف مبلغ شهرى يعادل ٢٠ ــ ٣٠ دينارا اردنيا لكل خريج جامعي عاطل عن العمـل) .

٧ ــ يظهر ان هنالك ارتباط بين التربية النظامية وهجرة العمل في الريف ، او العمل الزراعي والحرفي. كذلك هنالك ارتباط ايجابي بين مستوى التعليم والهجرة الداخلية والخارجية. وهذا عكس شعار الصمود الذى طرح وما زال يطرح عند الحديث عن اوضاع الاراضي المحتلة او عن متطلبات النضال الوطني فيهـــا .

٨ ــ ان المناهج المدرسية اكاديمية في طابعها وهي نظرية ولا تدرس بطريقة يراعى فيها تعويد الطلبة على تطبيق المفاهيم النظرية في الواقع او في حياتهم اليوم. ويلاحظ ، كذلك، ان المناهج بعيدة عن واقع المجتمع في الضفة الغربية ولا تمت لأوضاعه بأية صلة ــ ومما يزيد هذه المشكلة تفاقما الرقابة على المناهج (الاردنية) من قبل الحكم العسكرى الاسرائيلي التي تحذف القليل الموجود في المناهج الرسمية حول فلسطين والقضية الفلسطينية و" الصراع العربي ــ الاسرائيلي ". فيتخرج الطلبة من المدارس وهم جاهلون بابسط المعلومات عن الضفة الغربية وعن الاراضي المحتلة وعن الشعب الفلسطيني . واذا ما توفرت لديهم مثل هذه المعلومات فانها تكون نتيجة جهود فردية من المعلمين ومن تفاعل الطلبة مع بعضهم البعض ومن خلال النشاطات اللاصفية واللامدرسية (مثل لجان الطلبة المختلفـــة).

٩ ــ اما البرامج والمناهج الجامعية فقد كان، وما زال الى حد بعيد، النمط السائد في وضعها هو النقل عن مناهج الجامعات الغربية او العربية(وهذه الاخيرة تفتقر الى المناهج الاصيلة والنابعة من احتياجاتها وواقعها ، ومناهجها منقولة عن الجامعات الغربية). ومع ان جهودا قد بذلت في بعض جامعات الضفة الغربية لتغيير المناهج لتصبح اكثر ملاءمة مع الواقع (وخصوصا في مجال العلوم الاجتماعية الا ان هذه الجهود ما زالت مبعثرة وعائدة في الغالب الى جهد افراد وليست نابعة من قرار على مستوى المؤسسة او بهدف وتوجه واضحين . فنرى في نفس الجامعة، برامج منطلقة من فلسفة واسس تقدمية او يسارية وبرامج اخرى ترتكز على اسس تقليدية او محافظة او رأسمالية. والطابع الغالب على معظم البرامج (التخصصات) والمناهج الجامعية هو انها لم توضع نتيجة دراسة لواقعنا واحتياجاته ولكن لانها تدرس في الجامعات والدول التي درس فيها اساتذة واداريي جامعاتنا . وكثيرا ما يشعر الطلبة

Digitized by Birzeit University Library

نتيجة عدم ملاءمة هذه البرامج لواقعهم او عدم انطلاقها منه بالاغتراب اثناء الدراسة. فلا يرون، مثلا، ان الدراسة هي عملية منسجمة مع نشاطهم السياسي وعملهم لمصلحة قضيتهم بل يرون التعارض بينهما . (فظاهرة الاضراب عن الدراسة احتجاجا على ممارسات الاحتلال ، مثلاً ، ظاهرة غريبة . فالاحتلال عادة يلجأ الى تعطيل الدراسة كعقاب لنا). كذلك يؤدي عدم التلاءم هذا في كثير من الاحيان الى تبني مفاهيم نظرية غير مناسبة وفرضها قسرا لتفسير الواقع المحلي او لحل المشكلات المحلية مما قد يؤدي الى تفاقم او الى خلق مشاكل جديدة. كما يؤدي عدم التلاءم في خلفيات الاساتذة الجامعيين وفي البرامج الجامعية الى خلق اهتمامات لدى الاساتذة والطلبة في مجال الدراسات العليا وفي مجال الابحاث بعيدة كل البعد عن حل مشاكلنا او لا تتجاوب مع احتياجاتنا او مع اولوياتنا حسب متطلبات تنمية المجتمع. وتصرف على هذه الابحاث الاموال الطائلة والنادرة وتبذل فيها الجهود الكبيرة من قبل الاساتذة والباحثين والطلبة بدون مردود يذكر او بمردود قليل جدا على مستوى الواقع المحلي. وغالبا ما تكون هذه الاهتمامات (او الابحاث قريبة من اهتمامات الباحثين في المجتمعات الغربية (ما يقبل للنشر في الدوريات العلمية المعروفة في الغرب وعلى المستوى الدولي) ـ ما يطلق عليه البعض اسم "هجرة الاهتمامات" اما المبررات المقدمة للقيام بهذه الابحاث فانها عادة ما تكون اما "للمساهمة في تطوير المعرفة الانسانية" او "للمشاركة في الجهود العالمية في مجال الابحاث العلمية" او " لان نشر هذه الابحاث في المجلات العالمية (الغربية) يكسبنا السمعة العلمية الجيدة على المستوى العالمي" وقلما يكون المبرر (وخصوصا في العلوم الطبيعية) هو " معالجة مشكلة محلية تتعلق بالانتاج الزراعي ، او بالامراض السائدة، او بالانتاج الصناعي او بتوفير الطاقة الرخيصة للاستعمال الريفي ، او ما شابه ...".

١٠ ـ نتيجة للطبيعة التنافسية والنخبوية للتربية النظامية ، وبسبب عدم الوضوح في اهدافها وتوجهاتها ومنطلقاتها الفلسفية والاجتماعية، ونتيجة للتوقعات والاهتمامات التي تخلقها (وخصوصا الدراسة الجامعية في الخارج)، تتطور لدى المتعلمين النزعة الاستعلائية في التعامل مع قضايا مجتمعهم . فهم ، اضافة الى ميلهم لعدم العمل في المناطق الاكثر حاجة الى جهودهم ـ في الريف وبين الفئات الفقيرة في المدن ، يميلون الى اعلاء المصلحة الشخصية او الى الترفع عن الانخراط في حياة وقضايا مجتمعهم، والى التعامل الفوقي مع غير المتعلمين. ومن نتائج هذه النزعة الميل الى الهجرة اذا لم يتوفر لهم العمل الذي يشعرون انه يتلاءم مع منزلتهم او مع تخصصهم الجامعي الضيق بدل ان يبذلوا الجهد للتأقلم مع واقع المجتمع والانخراط في العمل على التجاوب مع احتياجاته . ويكون المجتمع قد بذل الجهود وصرف الاموال لايصال هؤلاء المتعلمين الى المستوى العلمي الذي وصلوا اليه بدون ان يجني الفائدة المرجوة منهم (تعرف هذه الظاهرة باسم " هجرة الادمغة " او " هجرة الكفاءات " التي تؤدي الى هدر الامكانيات المالية والبشرية في البلدان النامية).

Digitized by Birzeit University Library

الى جانب جميع هذه النقاط، هنالك نتائج سلبية اخرى للتربية النظامية مثل تشجيع الافراد على تبني نمط حياة استهلاكي والتبعية الثقافية لدول اخرى ، وتوسيع او تعزيز الهوة بين الفئات الاجتماعية وغيرها التي لا مجال لمعالجتها هنا . ومع عدم شمولية النقاط الواردة اعلاه، الا انه يتبين لنا ان عدم تلاءم التربية النظامية مع واقع مجتمعنا وعدم وجود اتفاق واضح حول منطلقاتها الاساسية واهدافها ودورها ومحتواها واساليبها قد يؤديان الى هدرنا لمصادرنا المالية والبشرية النادرة، وهدر جهودنا ، واهمال قطاعاتنا الانتاجية، وخلق الشعور لدى غالبية افراد مجتمعنا بالعجز والنقص ، واضعاف صمودنا وقدرتنا النضالية ، وعدم انخراط اغلبية شبابنا المتعلم في تنمية مجتمعنا وتحولهم الى عالة على غيرهم او الى هجرتهم من البلاد ، وهجرة اهتمامات متعلمينا بدل ان تسخر هذه الاهتمامات لتنمية مجتمعنـــــا .

والغريب في الامر انه بالرغم من ان اصواتا كثيرة قد علت وما زالت تتردد حول واقعنا التربوي المتردي، الا ان الجهود المبذولة لمعالجة الوضع ما زالت غير ملحوظة او غير جدية، ويعزى الكثيرون السبب في ذلك الى عدم قدرتنا على التغيير ضمن ظروف الاحتلال. ان هذا الموقف غير صحيح برأيي. فجزء من المشاكل التي عرضت اعلاه هي في مجال التعليم الجامعي وهو تماما ضمن حدود امكانياتنا ام الجزء المتعلق بالتربية المدرسية فهو ضمن امكانيات معلمينا الى حد كبير (اساليب التعليم و ـ حتى ـ المحتوى)

المشكلة الاساسية، برأيي ، تكمن في عدم الوضوح ، الذي اشرت اليه ، في منطلقات نظامنا التربوي وفي اهدافه . المشكلة هي ان فكرنا التربوي اما انه لا يستند الى فلسفة تنموية واضحة او انه يستند الى فلسفة غير مناسبة لمجتمعنا . (وهذا ما حاولت الاشارة اليه في بداية المقال عند حديثي عن هدف التربية بالنسبة للمجتمع). هنا تكمن العلة وهنا توجد بداية الحل او المعالجة" للوباء" المتفشي في مجتمعنـــا .

نحـو صياغـة فلسفـة تربويـة تنمويـة

عند الحديث عن الحل لا بد من ان ابدأ بالقول انه يجب علينا ان نستفيد من تجارب الشعوب الاخرى في محاولاتها لجعل التربية تخدم عملية التنمية، ومن الضروري التركيز على تجربة الشعوب التي عانت من الاستعمار والتي ربما ما زالت تعاني من التبعية الاقتصادية والثقافية والاستغلال الطبقي. فواقع هذه الشعوب اقرب الى واقعنا من الواقع في المجتمعات التي تحاول الآن التمثل بها وتقليدها في مجالات عديدة (واهمها مجال التربية) اى المجتمعات الغربية او الرأسمالية او الصناعية المتقدمـــة.

ومن دراسة تجارب الشعوب الاخرى في مجال التنمية والتربية تتضح لنا النقاط التالية:

١ ـ ان التربية، عكس الانطباع السائد لدى العديد من المتعلمين او العاملين في مجال التربية، هي ليست عملية حيادية او عملية منعزلة عن نواحي الحياة الاخرى في المجتمع

Digitized by Birzeit University Library

ان التربية هي في مركز او في صلب الحياة السياسية للمجتمع. فالتربية تؤثر على التركيب الاجتماعي (السياسي) للمجتمع بقدر ما تتأثر بـــه .

٢- ليست هنالك "تربية" جيدة او سيئة بشكل مطلق. فالنظام التربوي الجيد في مجتمع ما قد لا يناسب مجتمعا آخر. لذلك فان نقل نظام تربوي من مجتمع الى آخر قد تؤدي الى سلبيات اكثر مما قد تؤدي الى ايجابيـــات .

٣- ان الحكم على كون نظام تربوي ناجحاً او فاشلاً يستند على تقويم مدى تحقيق هذا النظام التربوي للاهداف التي وضعها المجتمع له، وعلى تقويم مدى ملاءمة هذه الاهداف لاحتياجات وواقع هذا المجتمـع

٤- ان التربية هي من العوامل الضرورية لاحداث تغيير في المجتمع ولكنها لا تستطيع ان تؤدي بمفردها الى تغيير المجتمع - اي انها عامل ضروري ولكن ليس بكافٍ .

٥- ان التغيير التربوي الناجح هو التغيير الذي يراعي الواقع ويأخذ بالحسبان ليس فقط احتياجات الناس ومتطلبات التنمية بل ايضا توقعات افراد المجتمع وتطلعاتهـم

٦- ان الحديث عن التنمية (الاقتصادية والاجتماعية) في ظل ظروف الاحتلال هو ضرب من اللاواقعية. ان الشرط الاساسي للتنمية هو الحرية: حرية البحث ودراسة الواقع، والتخطيط، والتنفيذ او العمل لمصلحة الكل وليس لمصلحة البعض في المجتمع او لمصلحة مجتمع آخـــر .

٧- ان الوعي هو شرط اساسي آخر في شروط احداث التنمية. ان خلق الوعي لدى افراد المجتمع حول معوقات التنمية او اسباب التخلف هو الخطوة الاولى نحو حفزهم للعمل الهادف. ان الوعي والواقع يغذيان بعضهما البعض اي ان العلاقة بينهما هي علاقة جدلية.

واذا نظرنا الى واقعنا في الضفة الغربية نلاحظ ما يلـــي :

١- لا يمكننا تغيير مناهجنا المدرسية الرسمية ولكن لدينا الامكانية لتغيير اساليب التعليم في المدرسة ولوضع المعلومات الكتبية النظرية موضع التطبيق العملي او لربطها بحيـاة الطالـب اليومية وواقعـه .

٢- يمكننا تغيير برامجنا ومناهجنا الجامعية

٣- قد لا يكون بامكاننا (لا يسمح لنا) بعقد دورات لمعلمي المدارس الحكومية على نطاق واسع ولكن يمكننا زيادة تثقيفهم من خلال العمل النقابي ومن خلال التفاعل المباشر الشخصي معهم ومن خلال الصحف والمجلات المحليـــة .

٤- لا يمكننا تغيير شكل نظامنا التربوي (هيكله التنظيمي والاداري) ولكن يمكننا العمل على وضع توجه واهداف واضحه له.

٥- لا يمكننا الحد من طلب الناس على التربية النظامية الاكاديمية لأبنائهم ولا تغيير توقعاتهم منها . ولكن يمكننا العمل على تطوير مواقف واتجاهات جديدة او ملائمة لدى الابناء من خلال عملية التربيـــة .

٦- يمكننا دراسة واقعنا وتحديد احتياجاتنا والاتفاق على اولوياتنا واهدافنا ووضع خطط واقعية للعمل في القطاعات المختلفة ضمن الظروف الحالية. وهذا يعني كذلك انه بمقدورنا الاتفاق على فلسفة تنموية تلائم ظروفنا الحالية وتطلعاتنـــا .

Digitized by Birzeit University Library

من كل ما جاء اعلاه ، ارى انه يجب على المعنيين بالتربية في الضفة الغربية العمل على جعل التربية النظامية ملائمة لمجتمعنا ولتنميته وهذا يتطلب :

١ ـ الاتفاق على فلسفة تنموية تستفيد من تجاربنا السابقة ومن دراستنا لواقعنا ومن تجارب الشعوب الاخرى وخصوصا تلك التي ناضلت وما زالت تناضل ضد مختلف انواع التبعية والاستغلال والتمييز .

٢) وضع فلسفة تربوية منسجمة مع الفلسفة التنموية المتفق عليها ومتلائمة مع واقعنا واحتياجاتنا وتطلعاتنا .

٣ ـ صياغة اهداف تربوية مبنية على الفلسفة التربوية تراعي ظروف المرحلة الحالية التي نعيشها .

٤ ـ ترجمة هذه الاهداف الى خطط عمل واقعية قابلة للتطبيق من قبل معلمي المدارس وفي الجامعات (مع مراعاة الفروقات بين القطاعات التربوية المختلفة) .

برنامج عمل للعاملين في قطاع التربية

ان صياغة فلسفة تربوية تنموية ملائمة لا تتم عن طريق النقاش والدراسة النظرية فقط وانما عن طريق العلاقة الجدلية والتفاعل بين النظرية والتطبيق العملي . لهذا فانني ارى ان من اللازم ان يبدأ العمل في المدارس والمعاهد والجامعات من قبل العاملين في مجال التعليم لجعل البرامج الدراسية والمناهج اكثر ملائمة للمجتمع ولواقع الطلبة واحتياجاتهم العملية. وهذا يعني :

١ ـ تزويد الطلبة بالمعرفة والمهارات والقيم اللازمة لتأقلمهم في الحياة خارج المؤسسة التعليمية .

٢ ـ مساعدة الطلبة على اتخاذ قرار واقعي حول مستقبلهم بعد ترك المؤسسة التعليمية او التخرج . وهذا يتطلب تزويدهم بالمعلومات حول سوق العمل ومتطلبات الوظائف المختلفة واهميتها بالنسبة للمجتمع .

٣ ـ خلق الوعي لدى الطلبة حول اوضاع مجتمعهم وحول معوقات تنميته (الداخلية والخارجية) .

٤ ـ خلق الاستعداد لدى الطلبة للمشاركة في تنمية مجتمعهم في كل مرحلة من مراحل حياتهم الدراسية والعملية .

ويمكن ترجمة كل هذا الى تبني شعار : "التربية من اجل الوعي والمشاركة" . اى التربية للوعي حول الذات، والمهنة المستقبلية، والمجتمع وللاستعداد للمشاركة في تنمية المجتمع .

خاتمة :

ان " التربية من اجل الوعي والمشاركة" ليست مجرد شعار اطرحه كي انهي مقالي هذا بطريقة خطابية. انها نتاج تفكير وبحث وتجربة اقوم بها كعضو في لجنة من العاملين في بعض مدارس الضفة الغربية الاهلية. وهي مثال حي على قيام العاملين في مجال التعليم ، الجامعي والمدرسي، بالبحث عن سبل لجعل التربية ملائمة لواقعنا وعلى محاولاتهم لصياغة فلسفة تربوية واهداف تربوية واضحة وواقعية وترجمتها الى برنامج

Digitized by Birzeit University Library

عمل يمكن تطبيقه في المؤسسات التعليمية المعنيين بقضايا التربية الفلسطينية في الضفة المختلفة. وهذا ما هو مدعو للقيام به كل الغربية وفي الاراضي المحتلة وخارجها ايضا .

المراجع :

- ابو كشك ، داعس (١٩٨٣) . الاوضاع التربوية والاكاديمية في الاراضي المحتلة. القدس منشورات الوحدة .
- ابو ليل، امين ، وعبد الفتاح، كمال (١٩٨٣) .مشكلات عضو هيئة التدريس في جامعات الوطن المحتل (فلسطين) . ورقة مقدمة لندوة " عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية" التي عقدت في جامعة الملك سعود في الرياض ، ٢٧ / ٢ – ٣/٢/ ١٩٨٣ .
- بدران ،نبيل (١٩٦٩) . التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني. بيروت : مركز الابحاث الفلسطيني .
- محشي ، خليل (١٩٧٨) . اوضاع التعليم العالي في الارض المحتلة واسس تطوره دعمه، بيرزيت : جامعة بيرزيت .
- محشي ، خليل (١٩٨١) . بعض ملامح الاوضاع التربوية في الاراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ . بيرزيت جامعة بيرزيت .
- ناصر ، حنا (١٩٧٦ ب) . " جامعة عربية في فلسطين : دراسة اولية ". شؤون فلسطينية، عدد ٥٥ ، ص ١٣٢ – ١٤٥ .
- يوسف ، عبد القادر (١٩٦٢) . مستقبل التربية في العالم العربي في ضوء التجربة الفلسطينية . القاهرة : مركز كتب الشرق الاوسط .

central Bureau of statistics (1984) statistical Abstract of Israel , 1984, no 35 . Jerusalem .

Dore, R (1976). The Diploma Disease . London ; Allen & Unwin.

Graham - Brown, S.)(1984). Educationn, Repression and Liberation - The Palistinnans . London: wold Univesity Services .

Hallaj, M. (1980) . "Mission of Palestinian Higher Education" In Nakhleh , E (Ed). A Palestinian Agenda for the West Bank and Gaza . Wawhington , D.C.: American Enterprise Institute , 1980 .

Mahshi , K.(1982) . A critical View of Pre - University Educattion in the West Bank . Paper presented at the symposium on the West Bank and Gaza sponsored by the

Digitized by Birzeit University Library

center for Mediterranean studies of the American University , Washington, D.C. Nov .22 - 23, 1982 .

Mahshi, K. Rihan,R.(1980). " Education : Elementary and Secondary ". In Nakhleh, E. op. cit .

Nasir ,H.(1976 A). Cultural Policies of the Israeli Occupation Towards Palestinians . Birzeit : Birzeit University .

Nasir , F .(1977). Education in the West Bank Government Schools. Birzeit : Birzeit University .

Shaath ,N .(1972). " High level Palestinian Manpower ". Vournal of Palestine Studies, Vol . I, no 2 PP. 3-20

Tibawi , A.L. (1956). Arab Education in Mandatory Palestine London : Luzac .

Digitized by Birzeit University Library

الخواصف الاجتماعية في منطقة الخليج العربي

بقلم : يوسف الحسن : عضو لجنة القيادة
المرشح لجبهة التحرير الوطني البحرانية

ان منطقة الشرق الاوسط والخليج العربي تحتل مكانا هاما في الاستراتيجية الاقتصادية والعسكرية للولايات المتحدة . فهي تسعى لتحقيق اهداف اساسية ثلاثة : ضرب حركة التحرر الوطني العربية وعرقلة العمليات الثورية في العالم العربي ، استعادة مواقعها المفقودة بعد اكتوبر ٧٣ (١) والثورة الايرانية والحصول على مواقع جديدة ، وتقويض التعاون القائم بين بعض دول المنطقة والدول الاشتراكية وخصوصا الاتحاد السوفيتي .

احتياطي الامبريالية

ان واشنطن في سعيها لتحقيق نياتها لجأ الى التهديد الصريح باستخدام القوة العسكرية والتدخل العسكرى المباشر في الشؤون الداخلية لبلدان منطقتنا . مع بداية اعلان كارتر الخليج " منطقة حيوية" لامريكا ، بدأت الولايات المتحدة تشكل الاداة لهذا التدخل ، اى قوات الانتشار السريع . وقد عنى ذلك اعداد خطط نقل قطعات عسكرية امريكية الى الخليج وزيادة القواعد العسكرية في كل من البحرين والسعودية وعُمان وزيادة القوة العسكرية الامريكية في المحيط الهندى . وبعد مجيء ريغان الى البيت الابيض ، اعلن صراحة عن انتقال مركز الثقل في استراتيجية واشنطن لجهة القوة العسكرية والارتداد عن سياسة الانفراج وتخفيض حدة التوتر الدولي . واقر البنتاغون " توجيهات حول الدفاع لسنوات ١٩٨٤ – ١٩٨٨" . وقد وضعت منطقة الشرق الاوسط بنفس اهمية اوروبا ، مؤكدة ان " الهدف الاول لاستراتيجية الحرب الاعتيادية

Digitized by Birzeit University Library

هي حماية اراضي الولايات المتحدة وبعدها اوروبا الغربية والموارد النفطية في الخليج" ولهذه المنطقة خصصت الولايات المتحدة ٤٨ في المئة من نفقاتها العسكرية خارج اراضيها خلال الفترة ذاتها . وهي تشجع بكل السبل اعمال اسرائيل العدوانية ابتداء من ضم القدس كاملة واعلانها " عاصمة ابدية" لها

الى توسيع المستعمرات في الاراضي المحتلة والعدوان المباشر على لبنان ، وتسعر الحرب العراقية ـ الايرانية التي تصرف هذين البلدين عن المساهمة في صد الضغط الامبريالـــــــي .

شكلت الحرب العراقية الايرانية ذريعة اضافية لزج الامبريالية الامريكية وحلفائها الاطلسيين بالمزيد من قواها لزيادة وجودها العسكري الكبير اصلا. وتتكامل القوة البحرية مع القوى والقواعد التي تبلغ حوالي الثلاثين على اليابسة والتي يجري توسيع وتحديث الكثير منها . ويجري تجهيز المطارات في دييغو غارسيا ومصيرة والبحرين لخدمة طائرات " ب ٥٢" الاستراتيجية وطائرات النقل الثقيلة ، وتسعى للحصول على قواعد جديدة في الباكستان ، وسرى لانكا وغيرها ، كما وجهت مذكرة لبلدان مجلس التعاون الخليجي (٢) تطلب فيها تسهيلات عسكرية في شمال الخليج، ولا يستثنى امكان مرابطة قواعد بحرية استراتيجية عائمة للولايات المتحدة وحلفائها . ولغرض التنسيق بين قواها البحرية وقواعد وقوات الانتشار السريع شكلت قيادة مركزية مشتركة " السنتكوم ".

وتحت ضغط واشنطن رمت السعودية وعُمان والبحرين جانبا بكل الاهداف " البريئة" التي جاءت في اعلان مجلس التعاون الخليجي في ايار (مايو) ١٩٨١ واخذت منذ زمن بطرح امور التنسيق العسكرية والامنية في المقدمة. وفي غضون الفترة الماضية دفعت بالمجلس ليتحول بتسارع الى حلف عسكري عدواني وعضو غير معلن في الناتو وخاضع لاعتبارات الاستراتيجية الامريكية في المنطقة والعالم وموجه ضد فصائل حركة التحرر الوطني في الخليج والجزيرة وجمهورية اليمن الديموقراطية ،ولقمع مواطني بلدان المنطقة.

ويتضح من حجم ونوع المشاريع العسكرية وصفقات التسلح التي تعقدها السعودية وبعض بلدان الخليج ،انها بعيدة جدا عن احتياجات الدفاع لهذه البلدان. وهي تركز على البنى الأساسية اللازمة للاعمال العسكرية للقوات المسلحة الامريكية او الاجهزة العسكرية البالغة التعقيد الصالحة للاستخدام من قبل الامريكان انفسهم لاغراضهم الخاصة . كذلك الحال مع طائرات الاواكس التي دفعت السعودية ٨ر٥ مليار دولار ثمنا لها ، بينما هي توفر للولايات المتحدة الامريكية المعلومات الاستطلاعية عن جيوش الدول العربيـــة.

وتنمو باطراد النفقات العسكرية لدول المنطقة فقد بلغت في العربية السعودية ٢١ في المئة من الميزانية و ٣٧ في المئة من الاستيراد . وبلغت اكثر من ذلك في عُمان ، حيث وصلت الى ٤٥ في المئة من موارد الميزانية (٣) . وبلغ حجم النفقات العسكرية المحققة المعلنة للدول الست ٣٥ مليار دولار لعام ١٩٨٣ (حصة السعودية ٧٧ في المئة).

Digitized by Birzeit University Library

كما مولت السعودية صفقات اسلحة امريكية مع كل من عُمان والبحرين في العام الماضي ، واثناء زيارة امير البحرين لبريطانيا في نيسان (ابريل) ١٩٨٣ عقدت صفقة اسلحة بقيمة ٧٠٠ مليون جنيه استرليني ستقوم بتمويلها دول مجلس التعاون الخليجي .

وليس من الصعب ملاحظة الترابط العضوي والتناغم بين فقعقة السلاح في الخليج (سواء في شكلها الكامن او في الحرب القائمة) وتصعيد العدوانية الامريكية ـ الصهيونية ، حيث رمت الولايات المتحدة بثقلها العسكري الى جانب اسرائيل (ومعها عصابات الكتائب) في غزو لبنان . وتشديد ضرباتها العسكرية الى منظمة التحرير الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية والقوات السورية .

وبعد هذا اطلقت الولايات المتحدة من حساباتها ان حركة التحرر الوطني العربية وخصوصا منظمة التحرير الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وسوريا اصبحت على درجة من الضعف لا تستطيع معها مقاومة الهيمنة الامريكية وبالتالي يمكن اجبارها على الاذعان لصيغها " السلمية" الجديدة لحل مشكلة الشرق الاوسط وفرض اتفاق ١٧ ايار (مايو) الاسرائيلي ـ اللبناني المذل . لكن المراهنة على ذلك وعلى النشتت العربي عامة بما فيه التشتت الفلسطيني لم تصمد ازاء الموقف السوري الوطني القوي المدعوم من قبل الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية في تصديه للامبريالية والصهيونية ، والمقاومة المسلحة الظافرة من قبل الحركة الوطنية اللبنانية المدعومة من قبل سوريا والاتحاد السوفييتي ضد الاحتلال الامبريالي الصهيوني والخيانة الوطنية الانعزالية وتمسك الشعب العربي الفلسطيني بوحدته وحقوقه.

سقطت مادرد ريغان واندحرت قوات المارينز الامريكية في لبنان والغي اتفاق ١٧ ايار (مايو) ولا تزال الارض تميد تحت اقدام المحتلين الاسرائيليين . وهزة اخرى اصابت التحالف السوري ـ السوفييتي . التحالف بين حركة التحرر الوطني العربية وبلدان المنظومة الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي ، فاعليته في احلك الظروف واقساها .

تعرجات التوجة الرأسمالي

كانت البلدان الستة ـ السعودية ، الكويت ، دولة الامارات ، عُمان ، قطر والبحرين ، التي تشكل حاليا مجلس التعاون لدول الخليج العربية جميعها تعيش حتى وقت قريب ، قبل اكتشاف واستخراج النفط، تخلف القرون الوسطى . وفي خلال العقود الاخيرة اقتحم التطور الرأسمالي تلك الاوضاع الاقتصادية ـ الاجتماعية . وازاح هذا التطور العاصف او وضع على طريق الاندثار قطاعات اقتصادية وحرفا تناجيه وطنيه ، كالزراعة واستخراج اللؤلؤ (البحرين) وصناعة السفن والصيد وغيرها ، محلا مكانها قطاعات اقتصاديه صناعية ـ استخراجيه وخدماتية جديدة ازداد معها نشاط التجارة .

وتبعا لذلك تتقلص طبقات وفئات اجتماعية كان لها دورها الفاعل في المجتمع

Digitized by Birzeit University Library

كالفلاحين والغواصين والصيادين وبقية الحرفيين الذين اما انتقلوا الى الصناعة النفطية والتابعة ليشكلوا نواة وقوام الطبقة العاملة او صبّوا في البرجوازية الصغيرة بتركيبها ومحتواها الجديدين . فقد انقطعت الاخيرة عن ارتباطها بالارض والبحر كوسائل للانتاج، وعن الانتاج المادى عموما لتنتقل الى العمل في مجالات التجارة والبنوك والتأمين والوظائف المكتبية والمضاربة بالاراضي والأسهم والنقل وغيرها .وقد ترسخ هذا التحول بترسخ الطابع الاستهلاكي والخدماتي للمجتمعات الخليجية مع عقد السبعينـــــات .

لقد ادى نهوض حركة التحرر الوطني العربية في الخمسينات والستينات الى تأميم شركة انتاج وتكرير النفط في عدد من البلدان العربية وارتفعت اسعارالنفط اربعة اضعاف بعد الحظر النفطي في حرب اكتوبر ١٩٧٣. وادى بدوره الى توطيد مواقع رأسمالية الدولة وتعاظم قدراتها المالية، ومن الجهة الاخرى، كان قطاع رأسمالية الدولة منذ وقت مبكر يدخل في صفقات كبيرة مع رأس المال الاجنبي والمحلي الخاص موكلا لهما تنفيذ المشاريع في مجال التشييد والبناء والخدمات وغيرها . وعلى مدى عشرين عاما كان نصيب شركات المقاولات الاجنبية يشكل ٧٥ في المئة من ضمن اجمالي الصفقاتالتي انجزت في منطقة الخليج والبالغ قيمتها ٦٠٠ مليار دولار (٤) . وذلك بالرغم من ان الشركات الاجنبية – والكلام لوزير التجارة السعودى – تبالغ بصورة غير عادية في الاسعار التي تقدمها للمشاريع المماثلة في الدول الاخرى" (٥).

ومع ذلك فان انتفاع القطاع الخاص المحلي من الـ ٢٥ في المئة من هذه الصفقات كان كبيرا ايضا . وبهذا يمكن القول ان عملية التطور الرأسمالي جرت على اساس التفاعل المتبادل بين قطاع الدولة ورأس المال المحلي الخاص وبين الشركات الاجنبية والمتعـــددة الجنسيـــــة .

وادى الاغتناء المالي المتسارع لفئات البرجوازية المحلية الكبيرة، المالية والكمبرادورية والعقارية، وتزايد ثقلها الاقتصادى وتراكم الخبرات الادارية السياسية. وادى هذا الى تشكيل البرجوازية البيروقراطية وجرى في الوقت نفسه تبرجز الطغمة الاقطاعية وعبر آلية الدولة تتقوى باطراد مواقع القطاع الخاص الذى يتراجع امامه قطاع الدولة محيلا الى ملكيته كثيرا من المشروعات الكبيرة بما فيها الصناعية التي تحمل قطاع الدولة اعباء تشييدها وتجهيزها وتشغيلها . وتبعا لذلك تتجمع لدىالافراد والمؤسسات الخاصة الى جانب الامراء والشيوخ فوائض ضخمة من المداخيل المتراكمة والمنهوبة التي لا تستطيع اقتصادات هذه البلدان ولا حتى الاستهلاك الطفيلي " هضمها" . ويحتفظ اغنياء المنطقة باموالهم الفائضة اساسا في بنوك سويسرا وجزر الكاريبي وغيرها ، بعيدا عن بلدانها الاصلية حيث تضمن سريتها تحسبا للمستقبل . وقد اشارت احصاءات صندوق النقد الدولي الى ان ودائع الافراد والمؤسسات غير المصرفية من الامارات في المصارف الدولية في العالم بلغ في منتصف عام ١٩٨٣ مبلغ ٤٫٧٤ مليار دولار ،ومن الكويت ٣٫٧٥ مليار دولار .

وبتوافر الاموال الطائلة يدخل رأسمال

Digitized by Birzeit University Library

الخليجي الخاص في شراكة واستثمارات مالية كبيرة مع كبار المؤسسات المالية والعقارية والصناعية في الولايات المتحدة الامريكية والبلدان الرأسمالية الاخرى . وبهذا يشكل ركائز اقتصادية واجتماعية سياسية للدول الامبريالية واحتكاراتها ، حيث يساعدها في تذليل التناقضات الداخلية والتغلب على الازمة . وفي الوقت نفسه تصدر الدول الرأسمالية الصناعية جزءاً من رؤوس اموالها الى منطقة الخليج العربي ، اذ تنقل اليها حتى بعض فروع الصناعة . وتشابك مصالح البرجوازية المحلية مع مصالح الاوليجاركية المالية العالمية انعكس في السياسات الخارجية والداخلية للدول الخليجية . بيد ان الاخيرة تسعى الان لتحول تبعيتها الى " تبعية مشاركة " في كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والايديولوجية والعسكرية .

ان تركيز رؤوس الاموال الاجنبية والمحلية على خلق صناعات ثقيلة تصدر انتاجها شبه المصنع لتلبية احتياجات الصناعة في البلدان الرأسمالية المتقدمة ، اضافة الى مكانة دول الخليج في التقسيم الرأسمالي الدولي للعمل كمصدر للنفط جعل من اقتصاديات بلدان الخليج المتشابهة متنافرة ، بينما يتكامل كل منهامع الاقتصاد الرأسمالي العالمي .

ظل رأس المال الخاص حتى وقت قريب محجما عن الاستثمار في المجالات الانتاجية المادية او يشارك فيها بحذر شديد . وبنتيجة التطورات الاقتصادية ـ الاجتماعية تلك اصبحت بلدان الخليج مجهزة لاستهلاك كل ما يصدر اليها من الدول الرأسمالية بدرجة اولى ، ويترافق استيراد البضائع وتنامي الاستهلاك مع استيراد نمط الحياة الامريكية والغربية وامراض تلك المجتمعات وقيم الرأسمال الخاضعة لشريعة الربح . ويفتح نشاط الخدمات الواسعة مع غزارة السيولة النقدية مجالات متعددة للاستثمارات الخفيفة ، السهلة والسريعة المردود امام ممثلي مختلف الطبقات الكادحة وصغار المالكين . وعلى اساس ذلك يجرى الترويج لما يسميه الايديولوجيون البرجوازيون " بالرأسمالية الشعبية " حيث يصل عدد صغار ومتوسطي وكبار حملة اسهم المؤسسة الاقتصادية الواحدة الى الاف الاشخاص . ان ذلك يخلق عالما من الوهم يلف في دوامته مئات الآلاف من المواطنين والمقيمين في منطقة الخليج .

ولكن الوقائع تشير الى العكس . ففي الامارات تم اشهار افلاس عدد من البنوك والمؤسسات والافراد بسبب فضائح وأزمات مالية . ويتحدث تقرير وزارة التجارة والزراعة البحرانية الصادر في بداية ايار (مايو) ١٩٨٤ عن استمرار انهيار سوق الاوراق المالية في البحرين وتراجع اسعار اسهم الشركات المساهمة المعفاة بنسبة فاقت ٧٠ بنطا من مستهل عام ١٩٨٣ الى شباط (فبراير) عام ١٩٨٤ (٦) .

ان مثل هذه الهزائم تلقي في العادة بظلها على اعداد كبيرة من الكادحين وصغار المالكين ، محملة بتبعات الأزمة ، لتصطدم من جديد بواقعها المرير حيث يقابل كلفة المعيشة المتزايدة بنسبة ١٢ في المئة في بعض القطاعات الحياتية زيادة سنوية في الاجور لا

Digitized by Birzeit University Library

تتخطى ٢ في المئة ورغم الرخاء الظاهري الذي تبدو به المجتمعات الخليجية النفطية فانها تحمل في احشائها ازمات وهزات اقتصادية عنيفة اضرت بمصالح فئات اجتماعية واسعة . ان من شأن ذلك ان يخلق تذمرا شعبيا واسعا ضد السياسات الاقتصادية الفاشلة للانظمة الخليجيةوالبنوك التجارية والشركات المتعددة الجنسية وكبار المضاربين الطفيليين.

لقد انخفضت ايرادات البترودولار لهذه البلدان الى نصفها تقريبا مقارنة بعام ١٩٨١ وبدت ميزانياتها تعاني للسنوات الثلاث الاخيرة من عجز متزايد يستنزف من احتياطياتها المعرضة للتآكل اصلا في امريكا والغرب - وبلغ العجز في ميزانية السعودية ١٣ مليار دولار في عام ١٩٨٤ .

لقد ادت حالة الركود المتسعة الى الغاء كثير من المشاريع الاقتصادية الجديدة وبعض المشاريع المقررة سابقا . فانكمشت من حيث القيمة من ٧٤ مليار عام ١٩٨١ الى ٢٣٫٧ مليار دولار في منتصف عام ١٩٨٣ اى بمقدار ٦٨ في المئة (٧) .

ومن الطبيعي أن تتأثر من جراء ذلك الفئات التي كان يتدفق اليها البترودولار عبر مقاولات تنفيذ المشاريع المتوسطة والصغيرة وهي فئات واسعة نسبيا من بين السكان المحليين . واضافة الى كون المقاولين وصغار متعهدي الاعمال يعانون كثيرامنذ السابق من منافسة شركات المقاولات الاجنبية فان الوضع الجديد يضع الكثير منهم على حافة التدهور ويثير لديهم التذمر ازاء النظام والشركات الاجنبية .

ذودا عن الحقوق

ان بروز ظواهر مرضية جديدة في المجتمع كالاغراق في السلفية او الادمان على المخدرات او امتهان الجريمة او عودة النزعة الطائفية الذى يشكل افرازا طبيعيا لواقع مجتمعات البترودولار المشوهة، هو بحد ذاته احتجاج سلبي ضد هذا الواقع، كما جاء بروز التنظيمات السلفية ـ الدينية في اعقاب الثورة الايرانية، واستقطابها لاعداد وفئات من الجماهير وتحريكها، لبعض الوقت، لعدد من الهبات الاجتماعية في السعودية والبحرين والكويت ليعكس جوانب من الطاقات الجماهيرية العملاقة التي لا تزال كامنة تختزنها مجتمعات الخليج " النفطية" والتي لم تستطع بعد ولاسباب موضوعية وذاتية احزاب وقوى الحركة التحررية الوطنية ان تستقطبها وتنظمها ، بينما هي تختمر وتطفو على السطح عند اول منفـــذ .

الا ان الاحتجاج الاشد فعلا والابعد اثرا هو اشكال النضال التي تخوضها الطبقة العاملة والجماهير المنظمة في صفوف الحركة التحررية الوطنية في منطقة الخليج والجزيرةالعربية بقيادة احزابها الشيوعية والعمالية واحزابها ومنظماتها التقدمية والديموقراطية ، وباسهام المجموعات والهيئات والشخصيات الوطنية والديموقراطيـــة .

وبمقدار تفاوت التطور الاقتصادى - الاجتماعي بين بلدان الخليج النفطية الستة فقد كان هناك تفاوت نسبي كبير في تنامي

Digitized by Birzeit University Library

الحركة الوطنية والعمالية. الا ان شعوب جميع بلدان المنطقة خاضت جولات نضالية هامة من اجل قضية الحريات الديموقراطية، التي حققت فيها الحركة الوطنية في الكويت نجاحات هامة منذ بداية الستينـــــات .

منذ منتصف السبعينات اى بعد الارتفاع الكبير في اسعار النفط وكميات استخراجه تجمعت لدى بلدان المنطقة موارد مالية ضخمة ساهم قسم منها في احداث تطور عاصف في مجالات اقتصادية عدة، بما فيها البناء والتشييد وصناعات بتروكيماوية وثقيلة . وبحكم قلة عدد السكان عموما وابعاد المرأة خصوصا عن ميادين العمل، وتضخم الاجهزة الحكومية فقد فتحت ابواب هذه البلدان واسعة امام شركات المقاولات الاجنبية والايدى العاملة الوافدة بغزارة محدثة تغييرات ديموقراطية سريعة جدا وفي تركيب القوى البشرية العاملة والقوى الاجتماعية الاخـرى .

ان التأثيرات التي تحدثها الايدى العاملة الوافدة تتفاوت من بلد خليجي لاخر . فهي اكثر حدة في الامارات وقطر والكويت حسب الترتيب ثم البحرين فالسعودية فعُمان واجمالا : ففي خلال عقد من الزمان (١٩٧٥ - ١٩٨٥) ستهبط نسبة المواطنين بين سكان البلدان الستة، حسب التقديرات من ٧٤ الى ٥٦ في المئة ،وبين قوة العمل من ٥٥ الى ٤١ في المئة . اما اجمالي عدد السكان فسوف يتضاعف تقريبا ، اى من ١٠٫٢ مليون الى ١٦٫٨ مليون نسمة. وسيرتفع تعداد القوى البشرية العاملة من ٢٫٩ مليون الى ٤٫٨ مليون شخص في خلال العقـــد .(٨) .

بالرغم من ان تلك التقديرات بنيت على اساس افتراض معدلات نمو اقتصادية مرتفعة، فانها جاءت حاطئة . ومن الجدير ملاحظته ان اعداد العاملين الوافدين المتوقعة في عام ١٩٨٥ قد تحققت بالفعل في البحرين وتم تجاوزها في الكويت في عام ١٩٨٠ ، وفي السنة نفسها بلغت في دولة الامارات ٧٥ في المئة مما كان متوقعـــا (٩) .

وبالرجوع الى طبيعة نظم الاقتصاد "الحر" الخليجية المتميزة بالفوضى ، بما في ذلك سوق العمل، فان توظيف العمالة سيظل يعتمد على كونها اقل اجرا واقل تمكنا من ممارسة حقوق المواطنة او الحقوق النقابية . ويضاعف من " افضلية" توظيف اليد العاملة الاجنبية بالنسبة لارباب الاعمال كون العمال الوافدين يتعرضون لضغط حكومات بلدانهم الاصلية لابقائهم " في حالة طاعة" لارباب العمل خشية منافسة زملائهم من الدول الاخرى.

واذ يكابد العمال الاجانب اضطهادا مزدوجا: "طبقيا" و " عنصريا " ، فانهم يستخدمون كتهديد لاشقائهم العمال المحليين ،كعامل ضغط على الاجور وظروف العمل ، ولاستمرار مصادرة الحقوق النقابية والديموقراطية .

ففي البحرين برزت منذ السنوات الاخيرة ظاهرة هجرة المحليين من العمال والعمال المهرة،اضافة الى ذوى الياقات البيضاء،الى دول الخليج الاخرى في مقابل تزايد وفود العمال الاجنبية . وفي المحصلة فان ذلك يؤدى الى لجم تطور الحركة العمالية واضعاف وزن الطبقة العاملة المحلية ودورها في المجتمـــــع .

Digitized by Birzeit University Library

وعلى اية حال فان الثقل العددى للطبقة العاملة المحلية في المجتمع يبقى كبيرا بالقياس الى الدول العربية والنامية الاخرى (البحرين) . وهي باعدادها المطلقة اخذت في التصاعد (السعودية وعُمان والبحرين) . وتحتفظ الطبقة العاملة بدورها القيادى او بتأثيرها الفعال في نضالات الحركة الوطنية (البحرين ، الكويت وبعض مناطق السعودية) ويتطور باضطراد النشاط العلني للنقابات ودورها المباشر في حياة المجتمع (الكويت) ، وبشكليه السرى وشبه العلني (البحرين) . وتتصاعد المطالب العمالية والنشاط العمالي السرى في السعودية وعُمان . وهناك حالات غير قليلة حيث يتضامن العمال المحليون والوافدون للدفاع عن مصالحهم المشتركة ، ويدافع فيها العمال المحليون عن مصالح اخوانهم الوافدين .

وبغض النظر عن التغييرات الديموقراطية في المنطقة من خلال العشرين عاما الاخيرة ، فان الحركة التحررية الوطنية شهدت في خلال الفترة ذاتها تغيرا في تركيب قاعدتها الاجتماعية باحتوائها على الطبقة العاملة والمثقفين الثوريين . وفي عشر السنوات الاخيرة تم انتقال عدد هام من فصائل الحركة التحررية الوطنية الى تبني الافكار الماركسية ـ اللينينية . وتطورت علاقات بعضها بالاحزاب الشيوعية والعمالية الى درجة كبيرة . كما تشكلت ، اوتم اعلان احزاب اشتراكية علمية ومنظمات عمالية وشبابية ونسائية وطلابية تقدمية جديدة في عدد من بلدان الخليج والجزيرة العربية . وسرعان ما وجدت تربة خصبة لنشاطها الحزبي والجماهيرى . وقد ادت الصحافة السرية للاحزاب والمنظمات السياسية والجماهيرية دورا كبيرا في التوعية والتحريض (البحرين ، الكويت ، السعودية وعُمان) ، وامتد تأثيرها الى الاندية الثقافية والرياضية والجمعيات النسائية العلنية (البحرين ، الكويت ، الامارات) ، وانعكس على الصحافة العلنية (الامارات ، الكويت ، البحرين ، وجزئيا قطر) ، واصبح لها تأثيرها المخصوص في الحركة الادبية والفنية (البحرين ، الامارات ، الكويت والسعودية) في مواجهة الغزو الايديولوجي التحريبي والنشاط المحموم لخبراء وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية والدوائر الغربيـــة .

وضع التطور الذى مرت به الحركة التحررية الوطنية في المنطقة اساسا لتعاون ثنائي وجماعي اكثر تقدما بين فصائلها . وقد قدمت الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في منطقة الخليج والجزيرة العربية لشعوبها تشخيصا مشتركا لأوضاع المنطقة وتصورا مشتركا للنضال من اجل تحقيق الاهداف العامة لشعوب بلدان المنطقة والتي اهمها النضال ضد الهيمنة الامبريالية ، بما فيها العسكرية ومن اجل وقف الحرب العراقية الايرانية وضد مجلس التعاون الخليجي كحلف عسكرى امني ، من اجل تنظيم حملة اقليمية وعالمية لاقرار السلم في المنطقة من اجل الحريات الديموقراطيـــة .

كما ساعد هذا التقارب على خلق ظروف افضل للعمل الوطني المشترك في داخل بعض بلدان المنطقة . ويتيح هذا التطور امام فصائل الحركة التحررية الوطنية في كل بلد وفي

Digitized by Birzeit University Library

المنطقة امكانية اجتذاب الشخصيات الوطنية الديموقراطيـــة والمنظمـــات والتيـــارات والشخصيات الدينية المعادية للانظمة الرجعية للنضال على اساس برامج الحركة الوطنية وتعبئة جماهير اوسع في هذا النضال .

وفي المقابل تثير هذه النجاحات ذعر القوى الرجعية في المنطقة فتستنفر كل قواها من اجل مواجهة التحركات الوطنية وتأثيرها المتزايد على مختلف الاصعدة، وهذا ما يفسر استعار نشاط الاخوان المسلمين التخريبي خصوصا في شمال اليمن والكويت. واستخدام الرجعية السعودية كل وسائل الضغط ، بما فيها العنف ، من اجل مصادرة الحريات الديموقراطية النسبية والدستور ،حين حل المجلس الوطني وجمّد العمل بالدستور في عام ١٩٧٥ ، بهدف جعل الحياة في كل بلدان الخليج على شاكلة السعودية ومثلها . كما تهدر انظمة الخليج ، وخصوصا البحرين ، اموالا طائلة على خلق بدائل المنظمات واتحادات العمال والشباب والنساء والطلاب وعلى استخدام خبراء دوائر الاستخبارات المركزية الامريكية والغربية والعربية لمكافحة نشاط الحركة الوطنية . لكن الرجعيات الشرسة في كل من السعودية والبحرين وعُمان وقطر الى حد ماء تعتمد الارهاب الاسود والتصفيات الجسدية والتضييق في لقمة العيش والنفي ، اسلوبا رئيسيا دائما في مواجهة الحركة الوطنية والمواطنيـــــن .

وعلى الرغم من كل التعقيدات والصعوبات التي تواجهها حركة التحرر الوطني العربية ، ورغم ما استطاع الهجوم الامبريالي ـ الصهيوني ـ الرجعي تحقيقه من تقدم في خلال العقد الماضي، الا ان هذه الحركة برهنت وفي مرات عديدة على الامكانيات الكامنة التي تمتلكها، وهي امكانيات عملاقة قادرة ليس فقط على الصمود بوجه الهجوم المضاد وانما احباطه وتحقيق النجاحـــات .

فلقد استطاع شعب لبنان الصغير بارادته وتضحياته، وباستناده لدعم سوريا والاتحاد السوفييتي وحركة التحرر الوطني العربيـــة والعالمية ان يحرز نجاحات حاسمة كاسقاط اتفاق ١٧ ايار (مايو) الاستسلامي واجبار المارينز والقوات المتعددة الجنسية على الجلاء عن اراضيـــــه .

كما يعطي صمود وتعزز التجربة الثورية الناجحة في اليمن الديموقراطي، التي تتجسد اهميتها الاساسية في كونها اضافة نوعية في حركة التحرر الوطني العربية، برهانا آخر على مثل هذه الامكانيات الكبيرة، حيث تشيد في هذا البلد اول سلطة ثورية للعمال والفلاحين في العالم العربي، رغم الحصار الاقتصادي والموارد الشحيحـــــة .

ان التجربة الغنية لحركة التحرر الوطني العربية كشفت مرارا ان العمل الجبهوي بين القوى الوطنية والتقدمية المختلفة في كل بلد يمكن ان يعطي مردودا ايجابيا هاما، فهو السبيل الممكن للتصدي للامبريالية والصهيونية والرجعية. غير ان التجربة هذه نفسها كشفت ايضا ان هذا العمل الجبهوي معرض للانتكاس والسقوط اذا ما قام على اسس وقواعد غير سليمة وتملكته رغبة في الاستئثار بقيادة العمل الوطني واحتواء القرار المستقل للاحزاب والقوى المؤتلفة من قبل احداها

Digitized by Birzeit University Library

او اكثر . وعدم احترام الاستقلالية التنظيمية والسياسية للاطراف المؤتلفة . واليوم تبدو الحاجة ماسة لاقامة جبهات وطنية في الاقطار العربية على اساس برامج واضحة ، وعلى قاعدة التكافؤ والاحترام المتبادل لاستقلالية كل طـــــرف .

غير ان هذا لا ينفي من الجانب الاخر ان اطرافا وطنية قومية، برجوازية صغيرة، لا تزال في فكرها وممارستها ، محكومة بعقدة العداء للشيوعية ، وتظهر حذرا وريبة غير مبررتين تجاه الاحزاب الشيوعية وتتردد في التعاون معها . ولا يمكن تصور عمل جبهوى ناجح بين الشيوعيين وبين القوى الوطنية والقومية الاخرى في ظل سيادة مثل هذا التفكير.

ان المهمة الاساسية للحركات الوطنية في هذه الظروف هي ـ في رأينا ـ التكاتف على اساس النضال من اجل الديموقراطية والتقدم الاجتماعي والتطور المستقل والذى يجب ان تشترك فيه كل القوى الاجتماعية . تلكم هي اهم مقدمة من اجل الصد الناجح للمساعي المتعاظمة للامبريالية واعوانهـــا .

المراجـــــــع

١) المقصود الحرب العربية ـ الاسرائيلية عام ١٩٧٣ التي تبددت في خلالها اسطورة الجيش الاسرائيلي " الذى لا يقهر " ـ المحـــرر .

٢) يضم العربية السعودية والكويت والامارات العربية المتحدة وعُمان وقطر والبحرين ـ المحـــرر .

٣) راجع " الجبهة الشعبية لتحرير عُمان " . " صوت الثورة" ، ايار (مايو)، ١٩٨٤.

٤) راجع الاهرام الاقتصادى، القاهرة،اذار (مارس) ١٩٨٤.

٥) "الجزيرة" ، المملكة العربية السعودية، ٢ ايـــار (مايـو) ١٩٨٤.

٦) راجع " الشرق الاوسط" ، لندن، ٧ ايار (مايـو) ١٩٨٤ .

٧) راجع " الاهرام الاقتصادى"، القاهرة، نيسان (ابريل) ١٩٨٤.

٨) راجع "الاهرام الاقتصادى" ،اذار (مارس) ، ١٩٨٤ .

٩) المصـــدر الســابـــق .

Digitized by Birzeit University Library

دراسة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي
لإحدى قرى منطقة يافا

قرية كفر عانا

بقلم : حسين جميل البرغوثي

كانت كفر عانا في زمن الاستعمار الانجليزي تتبع للواء يافا، وتقع في السهل الساحلي للبحر الابيض المتوسط . وتحيط بها اراضي سهلية زراعية تنقسم لشماليه حمراء طينية وجنوبية مطعمة بالرمل ويشكل القسمان الاراضي الرئيسية للقرية التي بلغ عدد سكانها من ثلاثة الى خمسة الاف نسمة . ولما دمرت مئات القرى الفلسطينية الاخرى ومن جملتها كفر عانا هاجر سكانها، ويقدر عددهم حاليا باكثر من عشرة الاف نسمة. بعض البيوت تسكنها الآن عائلات يهودية، والقرية القديمة مهدمة وتلقى فيها النفايات، وبنيت بيوت للمستوطنين اليهود على بعض اراضيها . وكفر

Digitized by Birzeit University Library

عانا نموذجية على قرى اخرى منطقتها مثل يازور والعباسية من ناحية الخطوط العامة للتطور الرأسمالي فيهـــــا .

ملكيـــة الاراضـي فـي كفـر عانـا حتى سنـة ١٨٥٨ والبنيـة الحمائليـــة

==========

سنة ١٥٥٢م انشأت السلطات العثمانية بمبادرة زوجة السلطان سليم القانوني وقف خاصكي سلطان في القدس، وهو من اكبر الأوقاف في فلسطين . كان يضم (٥٥) غرفة ومطبخا للعرق وخانا للمسافرين الخ . وللانفاق عليه كوقف غير منتج حولت اليه كمية الريع الذى يُسلب من الفلاحين في اراضي شاسعة تضم اكثر من (٢٥) قرية . من هذه القرى كفر عانا ويازور وبيت دجن وقاقون وحتى قرى في جنوب لبنان . هناك رواية شفوية تقول بأن صالح خلف الشمرى ، واصلة من قبيلة من نجد في الجزيرة العربية، حصل على تخويل من الباب العالي حدد بموجبه اراضي كفر عانا التي سيذهب ريعها للوقف . هكذا كانت الحمولة التي تنتسب لصالح اى " دار صالح" اقدم حمولة في القرية حسب هذه الرواية. هنا يجب ان نلاحظ ان كلمة دار تعني عائلة ممتدة واسعة او مكان سكنهـا ،او مجموعـة عائـلات مـن هـذا النـوع تشكـل معـا دارا ، او مجموعـة دور مـن هـذا النـوع تشكـل معـا حمولـة . بالمعنـى الاخيـر دار صالـح حمولـة . مهمـا تكـن مصداقيـة الروايـة فان لها جذورهـا في علاقات الانتاج : اغنـى عائلـة في دار صالح كانت مسؤولـة عن ما تبقى من املاك الوقف في زمن الانجليز ، ونفس العائلة كانت الوحيدة التي تملك بيّارات ترجع للفترة العثمانية اى قبل سنة ١٩١٧ ، وبالتالي نرجح ان هذه العائلة كانت ذات نفوذ واسع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وانها كانت تلعب دور الوسيط بين الاوقاف والسلطة ككل وبين اهالي القرية في اواخر النصف الاول من نفس القرن على اقل تعديـــــــل

على كل حال قبل سنة ١٨٣٠ كان يوجد في القرية ثلاثة حمائل اخرى هي الشرايعة واصلها من الخليل، والملكة واصلها من غزة، وعبدالله ، وهناك من يضيف حمولة رابعة هي العمرة (لم استطع معرفة اصولها). واخيرا وصلت مجموعة من المصريين مع حملة ابراهيم باشا في ثلاثينات القرن التاسع عشر . اسماء البعض تدل على انهم قدموا من الفيوم ولا دليل على اصول البقية . هؤلاء لم يشكلوا حمولة بالمعنى السياسي اى لم ينتظموا في اطار تمثيلي مستقل . حاولوا فتح ديوان لهم وتعيين مختار يمثلهم سنة ١٩٢٥ ولكنهم منعوا من ذلك . وسجلوا اسمائهم معا كحمولة مستقلة سنة ١٩٤٢ لاستلام البوءن الانجليزية . عين القائمقام مختارا لهم بعد ان اجرى احصاءا لهم فوجد انهم " ٧٥ حامل تبوّت" اى مقاتل تقليدى ذكر يزيد عمره عن الستة عشر عاما . هذا دليل في حد ذاته على العلاقة بين القوة العددية الذكورية وتنظيم هذه القوة في جهاز تمثيلي حمائلي بديوان ومختار الخ، وبين البنية الاجتماعية الحمائلية التي تظهر بالتالي ككقوة متحدة وفعّالة ومستقلة اى كحمولة بالمعنى الكامل . وباختصار لم يشكل " المصاروة" كما يسمونهم حمولة، وسوف نرى علاقات الانتاج التي قادت لذلـــك .

Digitized by Birzeit University Library

نستطيع استنتاج المميزات الاساسية للحمائل في كفر عانا من نظام البناء وملكية الاراضي . قلنا بأن الاراضي كانت ملكية للاوقاف حتى سنة ١٨٥٨ على اقل تعديل (اى تاريخ صدور قانون الاراضي لعام ١٨٥٨) . حقوقيا كانت الملكية تنقسم الى حق انتفاع (استغلال الارض) وحق رقبة الارض (ملكيتها) . الاخير للوقف بينما الاول للفلاحين المنتظمين في حمائل وللمصاروة . من هنا كانت الحمولة ككل متساوية حقوقيا ، فالارض ليست لها . من المهم هنا ان العائلة الممتدة الواسعة كعائلة مفردة تقيم علاقاتها بالارض بتوسط الحمولة وليس كعائلة فردية . لهذا سوف نرى ان توزيع الاراضي فيما بعد قسم على اساس الحمائل وبعدها العائلات الفردية (على عكس قرى اخرى تم فيها التوزيع بالعكس) . فوق ذلك كان في القرية نظام المشاع ولكننا لم نستطع معرفة ماهيته في تلك الفترة هل هو تقسيم دورى للارض ام استعمال مشترك لبعض الاراضي ام شكل آخر . مهما يكن الامر فان المشاع كان يربط الحمولة معا ولا توجد فيه امكانية لاستقلالية العائلة الفردية عن الحمولة .

اما نظام البناء في القرية القديمة فيدل على انها كانت مكونة من "احواش" مترابطة الى حد كبير (حتما كانت هناك فواصل تعكس البنية التحتية كأزقة تفصل بين الحارات الخ ولكن لا اهمية لهذا هنا) . والاحواش مصنوعة من الطين والقش على شكل قوالب قوية جدا صمدت للزلازل ، على عكس المنطقة الجبلية حيث الحجر هو السائد . في هذه الاحواش كانت تسكن عائلات ممتدة واسعة والبناء بالتالي لا يسمح مرة اخرى باستقلالية العائلة الممتدة الواسعة فان بنائها كان بعمل جماعوى منظم على اسس القرابة والدم الخ . من الصعب تقدير متوسط عدد الافراد في الحوش في تلك الفترة ، لكن اكبر حوش في زمن الاستعمار الانجليزى كان يضم (٥٣) فردا هم (٤٨) اخ واخت ، والاب ، وثلاثة زوجات ، و " عبد " كان يعمل راعيا للعائلة . المهم بأننا نجد تعدد الزوجات وفئة من " العبيد " في داخل عائلة ممتدة واسعة وملاكه هنا . العبد ليس في الحقيقة عبدا بل رقيقا ابويا وهو آخر رقيق من فئة قليلة في القرن التاسع عشر تتبع للعائلات الغنية فقط . كان يعمل ولكن لا يتزوج ولا يرث ، وينام ويلبس ويأكل في حوش العائلة ، ويخاطب البقية بكلمة " سيدى " اى يستثنى من لغة روابط الدم (عم ، خال ، أخ الخ) ويستعمل لغة مستمدة من علاقات الانتاج مباشرة (التبعية) . لكن لونه كان اسودا من هنا عبرت اللغة الحمائلية عن علاقات الانتاج بشكل " الوعي المطلق " حيث اندمجت علاقات الانتاج باللون اى بصفات جسدية لا دخل لها في حد ذاتها في الانتاج . فلنلاحظ هنا ان كلمة أخ وعم ليست بالضرورة دليل على رابطة بيولوجية فقد كانت ولم تزل في القرى الفلسطينية تستعمل لكبار السن والاقرباء الخ . الاستعمال اللغوى يعكس البنية التحتية هنا فالعائلة لم تكن مستقلة في الانتاج واعادة الانتاج كالمشاع والعمل الجماعوى في البناء وسأتي لعلاقات انتاج اخرى كثيرة من هذا الطراز) عن الحمولة . من هنا لغة روابط القرابة والدم ليست عائلية فقط . وكلمة " عبد " و " سيدى " اشارة الى الخضوع الذى تنتجه علاقات الانتاج نفسها . ما هي البنية التحتية للعائلة الممتدة الواسعة في تلك الفترة ؟ . اولا : الارض ليست ملكية عائلية حقوقيا بل للوقف . وحتى الانتفاع ليس حقا للعائلة الا بتوسط الحمولة كما قلنا . ولكن مجرد الحديث عن " الحقوق " ليس له اهمية . خلف الحقوق توجد علاقات انتاج (

Digitized by Birzeit University Library

الملكية) وخلف الملكية تقسيم عمل محدد. تقسيم العمل العائلي كان تقسيما جنسيا فيه المرأة تنتج اطفالا وتقوم بالعمل المنزلي من طبخ وتكنيس وخَبْز الخ. والرجل يعمل في الزراعة (العامل الرأسمالية (زراعة الحبوب والخضرة والزيتون والذرة البيضاء الخ). الاول عمل المرأة اساسا وربما فقط والثاني للرجال . ولا نعرف عن مدى مشاركة المرأة في الزراعة ايامها. لكن مشاركتها كانت واسعة على الاقل منذ سنة ١٩١٧ وحتى سنة ١٩٤٨ . البقر والمحاريث الخشبية هي ادوات الانتاج السائدة (يبدو بأن الجمال استعملت في فترة ما كما يدل المثل الشعبي " مثل حرات الجمال" وهو معروف في الريف الفلسطيني ككل وليس فقط في كفر عانا) . العمل في داخل العائلة ، بشقيه كان عملا جماعويا ، والادوات - باستثناء الارض - كانت ملكا جماعويا ، والمنتوج يستهلك جماعويا ما يتبقى منه بعد سلب الريع ، من هنا كانت اقوى شبكة من علاقات الانتاج في داخل العائلة . قد يفيد ذكر العمل البيتي عند الحوش الذي ذكرناه سابقا : في زمن الانجليز كانت جميع الاناث القادرات على العمل يجدون مهمات العمل المنزلي على اساس " الدور" . واحدة مثلا تطبخ اليوم للجميع واخرى تنظف للجميع الخ ثم في اليوم التالي ينقلب الدور . ويأكل الجميع من " نفس الطبخة" اى معاً . هذا تؤكده ايضا عادات الاكل الريفية ككل : في الولائم والاعراس مثلا حتى الان ما زالت بقايا الاكل الجماعوي حيث لم يكن هناك صحن منفصل لاحد . الصناعة الرأسمالية فقط هي التي قدمتما يكفي من " الصحون" " والملاعق" للسماح بامكانية " اكل فردي" و" ساندوتـــش" !

ثانيا ، في داخل هذه الجماعوية توجد تناقضات هامة جدا ، لذلك قلنا " جماعوية" وليس جماعية" . الذكور ككل هم الذين يملكون النساء ، والاب بالاخص. هكذا يوجد تراتب هرمي على اساس الجنس والعمر . هذه العائلة اذن ككل ملكية خاصة للاب والذكور بعامه . هكذا لا يشارك الذكور مثلا في عمل اجتماعي يضم القرية ككل ، اى لا يوجد تنظيم ذكوري مستقل للعمل يتعدى نطاق العائلة الابوية (كما نجد في قرى افريقية معينة) ولا تنظيم للكبار (الاباء) مستقل ايضا عن عائلة الاب (للمقارنة فقط نذكر تنظيمات الاجيال عند قبائل افريقية كثيرة فيها جيل محدد يشكل تنظيما يتعدى نطاق العائلة الذكورية) . وباختصار، سيطرة الكبار على الصغار والذكور على الاناث والاب على الجميع ، والاباء (كممثلين للعائلات) على الحمولة، كل هذا مستوعب في العائلة الابوية نفسها ، الانتماء الاول للعائلة بالتالي، وكل عمل جماعوي يشارك فيه اعضاء العائلة كاعضاء عائلة ابوية قبـل كـل شـيء .

وثالثا ، المرأة لا ترث في العادة بل تتنازل عن ميراثها لاخوتها ، وفي افضل الاحوال كل ما يحدث هو عملية نقل ملكية من الاب للزوج والابن. ليس لها حقل خاص كقطعة ارض منفصلة مثلا تعمل فيها وانتاجها لها . ما دامت مع الزوج فان ميراثها يندمج تماما مع ملكية الزوج ان ورثت شيئا اصلا (العادة القديمة هي تبادل الاخوات وبالتالي الحساب جاهز" ولا ترث المرأة ولا تملك) من هنا ليس عبثا ان الاتصاف بصفات " العبد " يلتقي موضوعيا مع الاتصاف بصفات المرأة :

Digitized by Birzeit University Library

كلاهما اهانة فعلية للقيمة الذكورية. وعلاقات الانتاج هنا في داخل العائلة نفسها تظهر في الوعي الحمائلي المغلق كتفرقة بين " الرجل " و " المرأة" و" الذكر" و" الانثى"، اى تندمج بالفروق البيولوجية تماما كاللون والدم ولكن بشكل فروق جنسية (بين الجنسين) هذه المرة .

العائلة يجب ان تنتج وتعيد انتاج نفسها بالتناسل لكي تستمر كعائلة . التناسل انتاج)طبعا اى " انتاج حياة جديدة عن طريق التناسل" بتعبير ماركس . كلية علاقات الانتاج التي يقيمها الافراد بينهم وبين انفسهم في عملية انتاج واعادة انتاج انفسهم بالتناسل سنسميها مجازا بعلاقات الانتاج الجنسية كتمييز لها عن علاقات الانتاج المادية الاخرى (انتاج واعادة انتاج الطبيعة) كالزراعة والبناء وتربية المواشي.ما يهمنا هنا من علاقات الانتاج الجنسية هو العلاقات الانتاجية التي يعبر عنها قانون الزواج من ابن العم . في كفر عانا في طوال مرحلة الاستعمار الانجليزي كان

لم يزل التزاوج في داخل الحمولة وداخل القرية في الاغلبية الساحقة من الحالات . في هذه المرحلة سنركز على الشكل الاقدم ، الما قبل رأسمالي ، للتزاوج وهو التزاوج المغلق اى الذى في داخل الحمولة وأهم تعبيراته الزواج من ابن العم ، بينما سنرجع لتطور علاقات الانتاج الجنسية فيما بعد . اساس هذا الزواج هو انه في داخل العائلة الممتدة الواسعة نفسها ممنوع عرفيا (ودينيا) الزواج بين الاعضاء الاقربين وهم الاخوة والاخوات، والاباء والامهات من جهة واولادهم وبناتهم من جهة اخرى. هكذا لا توجد الا علاقة انتاج جنسية واحدةهي بين الاب والام والامهات . لهذا دائما لا تستطيع العائلةانتاج واعادة انتاج نفسها ذاتيا ، الام الامهات باستمرار من عائلة اخرى .

في كفر عانا والريف الفلسطيني عامة يطرح السؤال التالي نفسه : اية عائلة ستقدم بناتها ولاية عائلة ولماذا ؟. هذا ما يجيب عليه اساسا قانون الزواج من ابن العم . فالام باستمرار تأتي منالخارج اى يجب باستمرار اخراج البنات من عائلة ابوية هي عائلة الاب لعائلة ابوية اخرى هي عائلة العم (الذى هو في نفس الوقت اخ للاب من جهة الاب والام معا اى عم كامل ، وهذه مسألة مهمة لأن هناك تعدد زوجات وبالتالي ابن العم الكامل يستبعد ابن العم غير الكامل). عائلة الخال مستبعدة دائما من "حق الاولوية" هذا ، اى خط الام ثانوى. هكذا تترابط العائلات الابوية بعلاقات انتاججنسية يبنى على اساسها ايضا نظام قرابة ودم ابوى ـ ذكورى . محاولة تجاوز علاقات الانتاج هذه تقود لاعتراض وهو حق يشكل الوجه الاخر لحق ابن العم في الاولوية*. مثلا في زمن الاستعمار الانجليزى كان لم يزل يعلن في ديوان القرية (وهو ديوان احمد ابو خالد عطيا ـ دار صالح) ان فلانة ستتزوج منفلان "ومنله حق فليعترض ". وبما ان علاقات الانتاج الجنسية

* في قرية الراشدية (العراق) حق الاعتراض انذار للزوج المقبل بترك ابنة العم وان تزوج يحق لهم قتله عرفيا .

Digitized by Birzeit University Library

ثانوية ولكنها مترابطة ديالكتيكيا مع علاقات الانتاج الاخرى فانها تقود الى تغير هيكلي في علاقات الانتاج ككل : الارث مثلا (نقل ملكية الاب) يرتبط بالنسب (الابن يرث امه وابيه اى من العائلتين معا ومبدئيا على الاقل له حق في ذلك) ، وهنا تبرز العائلة كملكية فالذكر له ضعف الانثى (في حالات اخرى لا ترث المرأة مطلقا بالقانون العرفي كقرية بتير ــ بيت لحم) . والمهر (يتطور عادة بتطوير الملكية المنقولة واهمها النقود) نقل للملكية معاكس لاإرث إلام (نقل من ملكية الاب الى ملكية اب البنت) . وهكذا دواليك حتى نصل الى شبكة معقدة من علاقات الانتاج تربط العائلتين معا عبر ربط البنية التحتية لهما . المهم هنا هو ان التزاوج في الحمولة تزاوج مغلق اى ان علاقات الانتاج مغلقة بمقدار ما يسمح تطور مستوى قوى الانتاج بذلك ، وفي العادة تتحجر علاقات الانتاج رغم تطور قوى الانتاج . لهذا تنغلق مجموعة من العائلات (ضمن الدار) كنقيض للعائلات الاخرى (البنية التحتية للدار متناقضة باختصار) والدار تنغلق بدورها على بقية الدور ، والدور كحمولة على بقية الحمائل والقرية بالتالي على بقية القرى . هذا ما يجد التعبير عنه في المثلين الشعبيين : " انا واخوى عابن عمي ، وانا وابن عمي عالغريب " ، و" وابن العم يِنزّل عن الفرس " (اى يحق له الحصول على ابنه عمه حتى آخر لحظة) . هذا النظام ككل تزاوج "عمودى" اذا جاز التعبير ، وبما ان العائلات الابوية (كملكية ليست متساوية فاننا سنسمي الاتجاه لتزاوج العائلات الاعلى طبقيا في نفس الحمولة معا بالتزاوج الافقي . الاتجاه العام للرأسمالية في كفر عانا هو تشديد التزاوج الأفقي واخيرا خرق الحمولة للتزاوج مع بقية الحمائل على اساس طبقي بحيث تنشق الحمولة نفسها ، اى باختصار تبرز تشكيلة طبقية هي من صنع الرأسمالية من الرأس حتى القدمين . معدل المهور بين العائلات الغنية كان يساوى مجموع اجور حراث مأجور في عشرة سنوات بدون تعطيل يوم واحد عن العمل (اواخر الاستعمار الانجليزى) ، واعلى مهر في داخل حمولة واحدة (لاحظ . نفس الحمولة) وصل الى الف جنيه فلسطيني اى الى مئة وعشرين الف دولار بالاسعار الحالية . والمهور في كفر عانا وصلت اعلى مستوى في المنطقة ككل . وباختصار هنا يصبح الجسد سلعة اى ملكية نقدية تحديدا وبالتالي انقرض اكثر فاكثر نظام تبادل الاخوات .

هذا النظام الحمائلي ليس قائما على روابط الدم والنسب والاصل (الخليل ، الجزيرة العربية الفيوم الخ) . والمنطقة الجغرافية واللون والجنس والعمر الخ هبل على علاقات انتاج تعبر عن نفسها في الوعي الحمائلي بشكل مغلق . هكذا نجد ان استعمال كلمة 'دار' ليس مجرد استعمال لغوى صرف . الحمولة تنحدر من عائلة (صالح ، عبدالله الخ) معينة وتتكون من عائلات تنتسب الى جد واحد اى الى عائلة ابوية واحدة . ان لم يكن هذا الانتساب ممكنا فانه يجب ان يخترع للتعبير عن علاقات الانتاج الفعلية ، شجرة العائلة بالتالي قد تكون حقيقية وقد تكون خيالية وهذا لا يغير شيئا من طبيعة المسألة . لهذا ايضا تعبّر علاقات الانتاج عن نفسها بأى شكل آخر : الاصل الجغرافي (المصاورة) ، او عبر الوعي الديني (الملكة نسبة الى انس بن مالك) او فيزيولوجي (عبد كنقيض لعلاقات القرابة والدم) او الجنس (امرأة ، رجل ، ذكر ، انثى) . من هنا ايضا الانتساب الى قيس ويمن في العصر التركي (الحصول على الريع هو المسألة الحاسمة في الصراع بين قيسرويمن) .

Digitized by Birzeit University Library

كانت كفر عانا منقسمة الى قيس ويمن ، والتزاوج بين القسمين كان مغلقا في السابق)ولكن انفتح تحت تأثير علاقات الانتاج الرأسمالية التي زادت من التناقضات الطبقية في داخل الحمائل كلها . هكذا صار التزاوج الافقي ضرورة لأن الفئات العليا من الحمولة بازدياد ملكيتها صارت تريد انتاج واعادة انتاج نفسها كفئات عليا وليس كحمولة * . هنا صار الزواج من ابن العم زواجا يأخذ طابعا طبقيا افقيا ، والوجه الاخر هوالتزاوج بين الفئات العليا من الحمائل مما يجبر الفئات الدنيا على التزاوج الافقي ايضا . هكذا ظهر شكل جديد لانتاج واعادة انتاج القرية فلم يعد مجموعة مغلقة من الزواج الحمائلي (تزاوج مغلق في كل حمولة) . من هنا بقيت الحساسيات القديمة بين قيس ويمن من جهة وتجاوزتها علاقات الانتاج من جهة اخرى . هذا يظهر في ممارسة طريفة : التزاوج الافقي بين القسمين كان يحدث بأن تلبس العروس اللون الابيض في نصف الطريق لبيت الزوج والاحمر في النصف الاخر او بالعكس (الابيض والاحمر رموز قيس ويمن كما هو معروف) . اما الشذوذ الوحيد الذى دمر جزءاً من علاقات الانتاج الجنسية المغلقة فجاء من البنية الفوقية الحقوقية. سنت تركيا قانونا للتجنيد الاجباري (الحرب العالمية الاولى) يعفى من يتزوج من غريبة من خارج القرية من التجنيد . هكذا تزاوجت القرية مع قرى اخرى على نطاق واسع (هذا ايضا حدث في قرية بتير ــ بيت لحم) . وعادت الامور لمجاريها بعد ذلك . المهم بان الزواج من خارج القرية في زمن الانجليز استمر على نطاق ضيق : زواج من قبرص ومصر مثلا . وسيأتي الحديث عن علاقات قبرص بكفر عانا . ككل بقيت علاقات الانتاج الجنسية في داخل القرية والحمولة اساسا ولكن مع تغير عميق باتجاه الزواج الافقي ، وسنرى الترابط بين هذا الاتجاه وملكية الحمائل (رأس المال) فيما بعد .

تطور العلاقات الرأسمالية من سنة ١٨٥٨ الى سنة ١٩١٧

لا نعرف الكثير عن تطور العلاقات الرأسمالية في هذه الفترة . لكن ضمن ما نعرفه ، تعتبر قوانين الاراضي العثمانية هي اول منعطف حاسم فتح الطريق للرأسمال في القرية . ونرجح ان تسجيل الاراضي كملكية خاصة للافراد ابتدأ في فترة ما بعد سنة ١٨٥٨ . في هذا التسجيل الذى هو تطبيق لقانون الاراضي صار المالك يمتلك حق الانتفاع وحتى رقبة الارض معا اى حق التصرف بالارض ايضا . قسّمت الارض على عدد الحمائل وقسمت في داخل كل حمولة على عدد العائلات حسب حجم كل عائلة (ذكورا واناثا) . اما المصاروة فقد جردوا ككل من الارض ولم يحصلوا الا على حصة في المسقفات (البيوت) . التسجيل الاخر للاراضي كان سنة ١٩٢٢ حسب الروايات . جاء الانجليز بقيادة مستر حسب (؟) فمسحوها وسجلوها ووضعوا خوازيقا من الحديد حول الملكيات ورسمت خرائط لها ، ولكنهم لم يغيروا شيئا من نظام الملكية كما ورثته القرية من العهد العثماني . لهذا فان اشكال

* الحديث هنا عن الفترة بين ١٩١٧ ــ ١٩٤٨ ككل .

Digitized by Birzeit University Library

توزيع الملكيات في زمن الانجليز كان يحمل سمات الملكية السابقة :

١) ملكية كل حمولة متقاربة الى هذا الحد او ذاك .

٢) كل حمولة تملك في الاراضي الشمالية والجنوبية معـــــا .

المهم بأن الارض تحولت الى ملكية خاصة من طراز جديد يفتح امكانية تحويلها التدريجي الى سلعة، وثانيا، صار الاب والذكور بعامة يملكون الارض وبالتالي ازدادت سيطرتهم والتناقضات في داخل العائلة. وثالثا، جردت فئة كاملة من الارض عليها التحول للعمل المأجور (المصاروة) وتزايدت بتجريد عائلات من الحمائل نفسها من الملكية ، فمثلا لم يستطع البعض دفع ضريبة الاملاك (الويركو التي سنت سنة ١٨٨٦ في شهر آب) وفقدت ملكيتها لمن يدفع الضريبة ، والاقربون اولى بالمعروف كما يقال. ورابعا ، انتهى المشاع مهما كان شكله السابق بحيث ان الاراضي سنة ١٩٢٢ اذا كان هذا هوتاريخ التسجيل الانجليزى كانت مملوكة ملكية خاصة. وخامسا ، انتهت ملكية الوقف ولم يبق منها الا كمية قليلة وها مشية وبعض الدكاكين التي افتتحت بعد سنة ١٩٢٢ فقط ، وكانت الارض والدكاكين نوءجر بمبالغ سنوية قليلة. وسادسا ، ازداد التفاوت الطبقي داخل الحمولة لأن الحمائل الاكثر عددا والعائلات الاكبر حجما كانت تملك اكثر، وربما حازت العائلات الاكثر نفوذا على ملكيات اضافية بينما جرد المصاروة ككل من اية ملكية. هكذا كان المصاروة حمولة من ناحية موقعهم الفعلي في علاقات الانتاج ولكنهم لم ينتظموا معا كحمولة كما رأينا . من هنا لم يشكلوا حمولة بالمعنى الكامل الا في فترة متأخرة (هذا هو ايضا وضع المصاروة في قرية الطيبة ــ معلومات عنها من عزيز حيدر . دائرة السوسيولوجيا . جامعة بيرزيت . موضوع رسالة دكتوراه لم تنشر بعد) . هذا يرجع جزئيا الى قوة الحمائل الاخرى والى كونهم قادمين جدد ومن السهل حرمانهم كغرباء والى قلة عددهم النسبية التي لم تكن تسمح بالاستيلاء على الارض بالقوة (كالقادميـن الى قرية دورة ــ الخليـــل) .

ان تقسيم العمل هو الذى يقف خلف مجمل هذه التغيرات . تقسيم العمل حتى سنة ١٩١٧ كان لم يزل كالسابق من ناحية فروعه الاساسية : الزراعة والعمل البيتي وكلاهما يقومان على عمل العائلة اساسا (تقسيم عمل جنسي حيث الذكور في الزراعة والمرأة في العمل المنزلي وانجاب الاطفال ، بشكل عام) . اما الرأس مال التجارى فلم يتبلور كقطاع مستقل الا بعد سنة ١٩١٧ وقبل هذا التاريخ لم استطع التأكد الا من وجود دكانه واحدة فقط رغم بعض التأكيدات على اكثر من ذلك. والحِرف لم تتبلور في قطاع مستقل ايضا حتى تدمير القرية وتشريد سكانها . اما الرعي فلم نستطع جمع اية معلومات عنه في الفترة الممتدة حتى سنة ١٩١٧ ولكنه كان متبلورا في زمن الانجليز ككل . من هنا فان تقسيم العمل الزراعي هو الاساس . لقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر-واستمر هذا الاتجاه العام حتى سنة ١٩٤٨-الحاق الزراعة بتقسيم العمل الرأسمالي (التوجه للسوق بشكل عام والسوق الرأسمالية المحلية والعالمية بشكل خاص) . من هنا وبالتدريج تحولت الزراعة الى انتاج القيم التبادليـــــة .

Digitized by Birzeit University Library

اهم تطور في علاقات الانتاج حتى سنة ١٩١٧ كان تطور المحاصصة. هذا النظام كان موجودا في طوال مرحلة الاستعمار الانجليزى (محاصصة في الخضار بشكل اساسي) . اما في المرحلة التركية فكانت المحاصصة تندمج مع اشكال مختلفة من القنانة : كان الفلاح يقدم لمالك الارض مقابل حق الانتفاع كمية من انتاجه (حصة ـ محاصصة) وهذا عمل مأجور رأسمالي صرف ، ويقدم خدمات اخرى نظريا تصل الى حد السخرة والقنانة الكاملة (حالة قرية الطيبة حيث تحول المصاروة هناك الى اقنان ـ عزيز حيدر . المصدر السابق) . وباختصار تطور شكل المحاصصة ـ القن . لكننا لم نعثر على مؤشرات على القنانة الكاملة كما تطورت في الطيبة ، وفوق ذلك ليست هناك معلومات عن الاشكال العينية للقنانة في كفر عانا . لكن مع ذلك بالامكان الاشارة الى بعض البقايا القنية . يذكر رجل في الثالثة والسبعين عن ابيه ان الحراثين المأجورين كانوا يقيمون مع العائلة التي تشترى قوة عملهم كل سنة مرة واحدة (مبلغ يدفع كل سنة فقط) . يأكلون وينامون في حوش العائلة ولا يحرثون فقط بل يعملون حيث توجد حاجة اليهم . هذا الشكل كان لم يزل موجودا حتى سنة ١٩٤٨ . ونطاق العمل المأجور سنة ١٩١٧ كان ضيقا او على حد تعبيره " لما جاء الانجليز كثرت الأشغال" . ويذكر البعض ان احدى العادات في زمن الانجليز كانت بعث الحبوب لمن تجدب ارضه (انظر مثلا محمود الرمحي ١٩٨٥/١/٣ ، جريدة الفجر) ويؤكد البعض صحة ذلك . واغنى عائلة في دار صالح تلقت حبوبا بهذه الطريقة . بينما ينفي آخرون انهم هم انفسهم كانوا يمارسون ذلك ، وآخرون يقولون بأن " هذا زكاة للفقراء" . ربما ان هذه العادة ترجع الى خدمات قنية سابقة . ايضا وجدنا ان اغنى عائلات دار عبدالله كانت تملك ارضا واسعة من الحبوب ، والعائلات الاقل ملكية بكثير تساعدهم في الزراعة مما يجعل المساعده ذات اتجاه واحد . على كل حال لا توجد معلومات كافية لتشكل برهانا غير قابل للجدل . لكن مجرد ضيق نطاق العمل المأجور حتى في فترة متأخرة (بداية الاستعمار الانجليزى) ، والتجريد المبكر للمصاروة وغيرهم من الارض لم يكن من الممكن الا ان يقود لعمل مأجور مثقل بالاف الاربطة بالعلاقات الحمائلية والخدمات القنية . هذا احتمال اكثر منطقية من غيره ولكنه ليس برهانا بالطبع في حد ذاتـــــه .

مهما يكن الامر ، كان انتاج الزراعة يتحول بالتدريج الى القيم التبادلية . هذا ما كان يؤدى الى تراكم ثروة نقدية كافية لشراء وبيع الارض اى لاعادة توزيع الملكية . هل نشأ رأس مال ربوى ايضا بهذه الطريقة ؟ هذا ما لا نستطيع نفيه او تأكيده . الاهم من ذلك هو ظهور فرع جديد في الزراعة هو قطاع الحمضيات فقد ابتدأت اول بيارتين في القرية (لدار موسى ـ اغنى عائلات دار صالح) وافتتح اول دكان لنفس الـــدار . رأس المال التجارى (الدكان) لا يمكن ان يؤدى الى توفير رأس مال يكفي للتوظيف في بيارتين ولا حتى في واحدة ، ان كانت الدكان قبل البيارات اصلا . مثل هذه الفرضية لا يمكن دعمها الا بفرضية رأس مال تجارى ـ ربوى ولا برهان عيني على الاخيره رغم انها ممكنة . رأس المال البيارة الثانية ربما جاء من الاولى . لكن من اين جاء رأس مال البيارة هذه ؟ والدكان ؟ . يبدو ان هذا مصدره في نهاية المطاف التحول للمحاصصة ـ القنية اى الزراعة في القطاع الاسبق . ولكن لماذا لم تستطع اية دار اخرى افتتاح بيارات ؟ .

Digitized by Birzeit University Library

هذه اسئلة مهما قلبناها تبقى بلا اجابة ، ولكن فترة الاستعمار الانجليزى توضح الصورة الكلية، الاتجاه العام منذ سنة ١٩١٧ الى ١٩٤٨ كان تراجع رأس مال الحبوب والزيتون والذرة والخضار لمصلحة رأس مال البيارات او الشجرة الذهبيـــة .

يتبـــــع

" تنويـــــه :

* نرجـو من اهالي كفر عانا ان يبعثوا لمجلة الكاتب بأية معلومات تعدل او تضيف او تناقض المعلومات الواردة هنا للمساعدة في اعادة تركيب تاريخ القرية الاقتصادى والاجتماعي. ونرحب بأيـة تعليقـات اخـرى من المهتمين بالموضوع ككـــل .

Digitized by Birzeit University Library

الصندوق القومي اليهودي
أساليب شراء الأراضي والأدوار التي
١٩٠٤ - ١٩٣٩

بقلم : كينيث ستاين
ترجمة : سمير حليلة ـ جامعة بيرزيت

في ايلول ١٩٣٧ ، وفي اجتماع بعثة الانتداب الدائمة لعصبة الامم ، ناقش اعضاء البعثة الكيفية والامكانية التي يمكن بها تطبيق نظام الانتداب على فلسطين. وقد أكد ميموثو العصبة ان الهدف الاصلي والرئيسي للانتداب ـ كما هو موضح في نصوصه ـ كان اقامة الوطن القومي اليهودي، دون التأثير على الحقوق الدينية والمدنية للمجموعات غير اليهودية في فلسطين وكان هذا هو الالتزام المزدوج المقدم عبر تصريح بلفور ، وفي التوضيحات والتصريحات العلنية للسياسة البريطانية في فلسطين. الا انه مع قدوم عام ١٩٣٧،اصبح هذا الالتزام المزدوج غير عملي وغير عادل للطرفين. فكان على بريطانيا ان تقرر : اما ان تعطي هذا الالتزام الثنائي اوزانا متساوية ، اوأن تحل نفسها من عقد الانتداب، وحتى من فلسطين نفسها نهائيا. وقد

---

* نشرت هذه المقالة في مجلة (Middle Eastren Studres) في عدد ابريل ١٩٨٤ تحت اسم :

The Jewish National Fund : Land Purchase Methods and Priorities, 1924 - 1939

للكاتب ..... Kenneth W.Stein استند الكاتب في مصادره الى ارشيف الوكالة اليهودية ، الصندوق القومي ، والمؤسسات اليهودية الاخرى المهتمة بموضوع شراء الاراضي في فلسطين خلال فترة الانتداب ، الذى عكس نفسه في احيان كثيرة، على موضوعية البحث وعلميته. الا ان المقالة تبقى واحدة من الدراسات القليلة التي تناولت موضوع الاراضي في فلسطين ، بتفاصيلة. وحددت وجهة نظر المؤسسات اليهودية المختصة في تلك الفترة من هذه القضية الحساسة، صراعاتها فيما بينها، ثم مع سلطات الانتداب ، ووسائل الالتفاف المختلفة التي اتبعتها لخداع الانتداب ، العرب ، وحتى البائعين منهم .

Digitized by Birzeit University Library

اعلنت بعثة " بيل" الملكية ـ والتي بحثت في اسباب ارتفاع حدة التوتر والاضطراب المدني في فلسطين ـ ان نظام الانتداب اصبح غير عملي . وقد اقترح اعضاء البعثة انشاء دولة عربية واخرى يهودية، ثم منطقة بريطانية في فلسطيـــن .

الا ان القبول بهذا الاقتراح ، كان يعني ان سياسة حكومة جلالتها في فلسطين، قد فشلت. وبدلا من الانسحاب من فلسطين، رفض البريطانيون فكرة التقسيم ، واستمروا في نظام الانتداب، الا انهم اعطوا معنى مختلفا للالتزام الثنائي المزدوج . وفي ايار ١٩٣٩، اعلن الانجليز عن سياسة جديدة في فلسطين، ولكن في هذه المرة، بفرض عراقيل امام انشاء الوطن القومي اليهودي. وبدلا من استخدام كل طاقاتهم في تسهيل تنفيذ هذا الهدف ،وضعوا العراقيل امام الهجرة اليهودية وشراء الاراضي . وفي اعادتهم لصياغة الالتزام الثنائي، فرضوا تضييقات اكبر على التجمع اليهودي، وفرضوا قوانين "ابوية" على المجتمع العربي بفرض قوانين ادارية جديـــــــــدة .

وفي الحقيقة، فان حكومة صاحبة الجلالة ،اعترفت ان سياستها الثنائية قد فشلت . حيث افترضت هذه السياسة بسذاجة :

١) انه كانت هناك حالة من المساواة بين التجمعات الموجودة تدفع باتجاه التأقلم والتجانس المتبـادل .

٢) انه يمكن تغيير وتعديل اهداف التجمعين العربي واليهـودي .

٣) ان سلوك كلا التجمعين، سيكون مدنيا وحضاريـــا .

وبقدوم عام ١٩٣٩، ادرك الانجليز ان هذه الاهداف ، مهما كانت نبيلة في نواياها . لا يمكن تحقيقها . فاليهود في فلسطين، كانوا يشترون الاراضي لاقامة الدولة ،بينما معظم السكان العرب غير منظمين سياسيا ، ومنقسمين اجتماعيا بشدة. ويعانون من وطأة الوضع الاقتصـــادي .

ان هدف هذه المقالة ، هو وصف كيف استطاع اليهود الحصول على الاراضي لاقامة الدولة، وخاصة الدورالذي لعبه الصندوق القوميالييهودي في انشاء " ارض" قومية. فبدون هذه الارض، لم يكن ممكنا، لا لعصبة الامم ، ولا لبعثة " بيل"، ان يأخذوا باعتبارهم خيار اقامة دولة عربية واخرى يهودية عام ١٩٣٧ . هذه النواة الجغرافية للدولة اليهودية التي وجدت مع عام ١٩٣٧، لأن بعض اليهود كانوا يريدون ان يقدموا بعض الوقت، الجهد والمال في عملية بناء القومية اليهودية فبعد منتصف الثلاثينات، لعب الصندوق القومي اليهودي دورا تنظيميا مميزا في تجميع الجهود الفردية للمهاجرين الاوائل وتنظيمها ،وان فحص العمليـــة ،الاساليب، واولويات احتلال الاراضي، تسمح بفهم كيف ولماذا جاءت الدولة اليهودية الى الوجود عام ١٩٤٨ .

فمع ايار ١٩٤٨، امتلك اليهود ما يقارب مليوني دونم من اصل ٢٦ مليون دونم في فلسطين.

Digitized by Birzeit University Library

وقد تكون هذه النسبة قليلة مقارنة باجمالي مساحة فلسطين، الا ان المليوني دونم هذه، كانت من اخصب اراضي فلسطين. فلم تكن في المناطق الجبلية من الضفة الغربية، ولا في المناطق الجنوبية من بئر السبع. بل ركّزت سياسة شراء الاراضي على المناطق المنخفضة والساحلية من فلسطين خاصة في الفترة بين ١٩٢٠ وحتى ١٩٣٦. اما قبل وبعد هذه الفترة، فقد تم شراء بعض الاراضي في الجليل، والمناطق الجنوبية من فلسطين ما بين بئر السبع وغـــزة.

وحتى عام ١٩٣٩، كان اكثر من ثلثي الاراضي التي بحوزة اليهود، قد تم شراؤها عبر افراد وشركات يهودية، وليس عبر مؤسسات الوكالة اليهودية. ولم يتم تسجيل عمليات الشراء هذه في مكاتب التسجيل الاقليمية وذلك عبر اتفاقات غير رسمية مع الانجليز. والاحصائيات في الجدول رقم (١) تبين ان الصندوق القومي اليهودي، كان مشتريا صغيرا من بين مجمل الاراضي اليهودية المشتراة في فترة توصية التقسيم في تقرير بعثة "بيل". ومن الجدير بالاهتمام هنا، ان الاقتراح المقدم بانشاء دولة يهودية، كان بسبب ان الاراضي اليهودية قد تم شراؤها عبر مستثمرين افراد، مستوطنين، شركات خاصة، وليس عن طريق الصندوق القومـــي اليهـــــودي.

جـــدول رقـــم ــ ١ ــ

ملكيـات اليهـود للارض حسب السنـــة

والنسبـــة المئويـــة للصنـــدوق القومـي من الاجمالـي

في نهاية سنـــة :	مجموع مساحة الارض من جميع المصادر	مجموع مساحة الارض لدى الصندوق القومي	السنبة المئوية مـن الاجمالـــــي
١٩١٤	٠٠ ر ٤١٨	٣٨٠ ر ١٦	٩ ر ٣
١٩٢٢	١٤٧ ر ٥٨٥	٣٦٠ ر ٧٢	٣ ر ١٢
١٩٢٧	٥٠٢ ر ٨٨٨	٦٦٠ ر ١٩٦	٢ ر ٢٢
١٩٣٢	٠٧٩ ر ٠٢٥ ر ١	٩١٠ ر ٢٩٦	٩ ر ٢٨
١٩٣٧	٦٠٤ ر ٢٨١ ر ١	٨٦٠ ر ٣٩٦	٧ ر ٢٩
١٩٤٠	٨٥٧ ر ٣٥٩ ر ١	٥٤٤ ر ٥٠٥	١ ر ٣٧
١٥ ايار ١٩٤٨	(تقدير) ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٢	٢٤٠ ر ٩٢٨	٤ ر ٤٦

المصـــدر :

ب. جورفيتش وكيرتس. الاستيطان الزراعي ليهودي في فلسطين، القدس، ١٩٣٦، ص ٣٦ (بالانجليزية) ومحاضر اجتماعات مدراء الصندوق القومي اليهودي من ١٩٢٤ وحتى ١٩٤٨.

Digitized by Birzeit University Library

ان انخفاض اهمية الصندوق القومي اليهودى في سنوات العشرينات كان لعدة اسبـــاب :

اولا : لقد تم تأسيس الصندوق القومي فقط عام ١٩٠١، على ان يكون الجزء المهتم بالاستيطان في المنظمة الصهيونية العالمية، بينما كان المستثمرون اليهود الافراد ، قد قطعوا شوطا طويلا في عملية شراء الارض والاستيطان مع مطلع القرن العشرين . وفي سنواته الاولى في فلسطين، لم يكن له ـــ موظفوه اوشخصيته الاعتبارية في مجال شراء الاراضي . وكان عليه في سنوات العشرينات ان يعمل مع شركة تطوير اراضي فلسطـــن (PLDC) ـ لتكون المسؤولة عن شراء الاراضي، ومع الكيرن هاييسود لتكون الجهة الممولة. وفي بعض الاوقات ،قامت شركة تطوير اراضي فلسطين بشراء اراضٍ واجبار الصندوق القومي على الموافقة عليها ، مع علم الأخير ان هذه الاراضي غير صالحة تماما ، وان سعرها ليس هو افضل سعر يمكن الاتفاق عليه .

ثانيا : لم يكن المكتب الرئيسي للصندوق القومي موجودا في فلسطين، بل تم نقله اليها فقط مع اوائل العشرينات. وهكذا ،أثر هذا البعد على النشاطات التي تجرى في فلسطين ،وعلى درجة تأثير ودور الصندوق القومي في مجال شراء الاراضـــي .

ثالثا : كان هناك خلاف بين مدراء الصندوق القومي حول اهداف المنظمة. وكان الانقسام بالاساس حول اولويات شراء الاراضي : ريفية ام مدنـية مثلا. وكذلك كان هناك خلاف حول اتجاه صرف الاموال . هل على شراء الاراضي فقط، ام ايضا حول تجفيف المستنقعات ، بناء الطرق، تطوير الجوانب الصحية، ومنح القروض للمهاجرين الجـــدد .

رابعـا : لم يكن للصندوق القومي اليهودى، في اطار المنظمات اليهودية في فلسطين بعد الحرب العالمية الاولى، مركزا مستقلا او مقررا، ولهذا كانت مصادرة المالية محدودة، فبالمقارنة مع المنظمات اليهودية الاخرى المهتمة بشراء الاراضي في فلسطين، كان الاعتبار دائما ، ان الصندوق القومي هو فقط ابن صغير للجنة التنفيذية الصهيونية لفلسطين، وذراعها المالي * الكيرن هاييسود (٤) * ففي قضايا الدعم المالي، كانت بعثات الصندوق، الى اوروبا الشرقية والغربية وامريكا ، يقابلون بالاهمال من قبل الاعضاء المحليين للمنظمـــــة الصهيونيـــــة .

خامسـا : لم يعط الصندوق القومي اى اولويـة ،في التنافس الداخلي بين المنظمات اليهودية على المصادر المالية القليلة . ففي العشرينات، لم يكن لدى الصندوق اى مبالغ كافية لشراء الاراضي التي يريدها ، او حتى لتغطية عمليات شراء اراضي، تم عرضها عليه من قبل البائعين العرب . وظلت المؤسسة ، خلال معظم هذه الفترة مثقلة بالديون، والرهونات، والالتزامات السابقـــــة .

وعلى نفس هذا المنوال، من الحسد بين المؤسسات اليهودية انشأت هناك اختلافات عملية بين مدرستين في النشاط الصهيوني، ووقع الصدام بين " مناحم اوسيشكين"، احد المدراء الاثنا عشر للصندوق القومي عام ١٩٢١، ورئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية لفلسطين ـ " الكولونيل فريدريك كيبسن". وقد مثل الخلاف بينهما الفجوة التي تفصل الصهيونيين من غرب اوروبا او من

Digitized by Birzeit University Library

ترقها . فلم يكن " او سيشكين " يتمتع بالدبلوماسية وروح المساومة السياسية عندما تعلق الموضوع بالخلاص القومي اليهودى. وقد آمن " اوسيشكين" ان اى تغيير في الحقوق الثابتة لليهود في فلسطين، انما هو ضار ، وغير منسجم ايديولوجيا مع اقامة الوطن القومي، فقد خالف " اوسيشكين بقوة مثلا، " لويس براندیه"، الذى رفض عام ١٩٢٠ التركيز على العناصر القومية في الصهيونية. بينما رغب كيش في الجهة المقابلة ، في استخدام جوانب براغماتيه في صنع السياسة وفي التعامل مع الانجليز . وبما ان " اوسيشكين"، كان يرغب دائما في توسيع استقلالية الصندوق القومي، فقدوجد نفسه في خلاف دائم مع " كيش" ، في اللجنة التنفيذية الصهيونية لفلسطين، ومنظمتها اللاحقة ، الوكالة اليهودية .

الآن الخلاف بينهما ، لم يكن فقط على الشكل والطريقة، بل وصل الى صلب القضايا الاساسية . فرئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية لفلسطين تمتع بحق " الفيتو" ـ النقض فيما يتعلق بمقترحات شراء الارض . وقداستخدم هذا الحق اما بشكل شخصي، او عبر المؤيدين له من مدراء الصندوق القومي . ففيما يخص قضايا الاستيطان وشراء الاراضي، فضل " كيش" امتلاك الاراضي القريبة من المستوطنات اليهودية، بينما فضل " اوسيشكين" امتلاك الاراضي لبناء مستوطنات عمالية بالاساس. ومع ان هذا لا يعني بالضرورة انهما اولويات متناقضة، الا انه من المؤكد ان " اوسيشكين" كان مدفوعا بايديولوجية اعادة اليهود الى الارض، بينما كان " كيش" اقل اندفاعا للفكر الاشتراكي . وقد تم بعض التقارب بين هاتين المدرستين مع نهاية عام ١٩٢٩ ، جزئيا بسبب المخاطر المادية الفعلية التي تعرض لها اليهود بفعل الاضرابات الحادة في آب ١٩٢٩ ومن جهة اخرى، بفعل جهود الوساطة التي قام بها " ارثر روست "، خبير الاراضي والاستيطان اليهـــــودى .

ومما لا شك فيه، ان كلا من " كيش" و" اوسيشكين" قد هدفا الى التطوير المادى للوطن القومي اليهودى. الا انه في العشرينات، ومع بداية ظهور المنظمات اليهودية، وبداية تطور العلاقات مع الاداريين البريطانيين، نجحت سياسة " كيش" العطية، والاقل تشددا ، في خلق اجواء من الثقة والترابط بين اللجنة التنفيذية الصهيونية لفلسطين والوكالة اليهودية ، وبين البريطانيين. وقد افادت هذه العلاقات الادارية والشخصية لاحقا ، الصندوق القومي اليهودى، وغيره من المنظمات اليهودية العاملة في بناء الدولة وقد حصد الاستيطان اليهودى، على الاخص نتائج اسلوب " كيش"، عندما تعرّض الوطن القومي لبعض المخاطر السياسية من قبل موظفين بريطانيين . وقد جلس اندفاع " اوسيشكين " نحو استقلالية الصندوق القومي من بدايات عام ١٩٢٤ (٨) ، بعض الفوائد للصندوق . فمثلا، طوّر الصندوق القومي ارشيفه الخاص المتعلق بملكية الاراضي. وخصوبتها ، وأنشأ نظام لتجميع المعلومات ، ووظف موظفين خاصين بشراء الاراضي ويتكلمون العربية، وعين هؤلاء الموظفين لمناطق محددة في فلسطين. وهكذا ،امتلكت الوكالة اليهودية مصدرا آخر للمعلومات حول قضايا شراء الاراضي ، بالاضافة للمعلومات المقدمة من دائرة

Digitized by Birzeit University Library

الاستيطان الزراعي التابعة للوكالة اليهودية، ومؤسسة بارون روتشيلد لاستعمار فلسطين، وشركة تطوير اراضي فلسطين . وقد استطاعت هذه المؤسسات مجتمعة ، ان تناقش وتهزم علنيا ـ في اواخر العشرينات واول الثلاثينات ـ الدعايات المضادة للاستيطان اليهودي المحتواه في تقرير "شو"، وتقرير " هوب سمبسون"، والورقة البيضاء (باسيفيلد)، ولجنة التحقيق في العرب المجردين من الملكية .

وفقط، في نهايات العشرينات وأول الثلاثينات، ومع ازدياد الاضطرابات في فلسطين، استطاع الصندوق القومي ان يكتسب اهميته، وليصبح مؤسسة مركزية في عملية انشاء الوطن القومي . ولم يتهدد الصندوق كمؤسسة، سياسيا او ماديا ،بالسياسات البريطانية، او العداء العربي. فقد تظل دائما باللجنة التنفيذية الصهيونية لفلسطين ـ الوكالة اليهودية، مع ان هذا هوما لم يفضله " مناحيم اوسيشكين" ابدا . وبدأ الصندوق ببطء في بناء البنية التحتية، وميكانيزماته العملية، واجراءاته، في ظل اوضاع مالية محدودة. ومع ظهور مشكلة وادى الحوارث عام ١٩٢٩ ، اظهر الصندوق القومي دراية سياسية، عبر مساومته مع الانجليزعلى اعادة توطين بدو وادى الحوارث. هذا بالاضافة الى ان التصور العام داخل المجتمع اليهودى في فلسطين حول الصندوق القومي، اصبح ايجابيا بعد امتلاك اراضي الحولة عام ١٩٣٤عبر شركة تطوير اراضي فلسطين .اما داخليا، فقد ازدادتماسكا ،مع اوائل الثلاثينات، بعد استخدام الوكالة اليهودية

فلسطين . اما داخليا، فقد ازداد تماسكه ، مع اوائل الثلاثينات ، بعد استخدام الوكالة اليهودية لخبرائه القانونيين، ووكلائه في شراء الأراضي، في نقض الدعايات حول ان شراء اليهود للاراضي يؤدي الى تجريد السكان العرب من اراضيهم ، وقد تحسن ايضا الوضع المالي للصندوق مع اوائل الثلاثينات ، خاصة بعد الوصول لاتفاق مع الكيون هاييسود عام ١٩٣٥ ، بتنسيق نشاطاتهم ومشاريعهم في مختلف البلاد، مما ساعد الصندوق القومي على وضع استراتيجية قومية لشراء الاراضي في فلسطين .

ومع مجيء عام ١٩٣٧، وبدء الحديث عن مشروع التقسيم ، كثّف الصندوق القومي اعماله ونشاطاته، وانتهى خلاف "كيش"و"اوسيشكين" مع تولّي " دافيد بن غوريون"و "موشيه شرتوك" قيادة الوكالة اليهودية في منتصف الثلاثينات. لقد ركزت نقاشات مدراء الصندوق في العشرينات على القضايا اليومية مثل عضوية هذا الوفد اوذاك الى امريكا ،اوروبا اوالى الكونجرس الصهيوني علاقةالصندوق بالوكالة اليهودية والكيرن هاييسود ، دستور الصندوق، او نقل مقره الى القدس ... الخ ، ونادرا ما اشار المدراء الى التجمع العربي او السياسات البريطانية في نقاشاتهم الرسمية. ويعكس فترة العشرينات، بدأ الصندوق القومي في منتصف الثلاثينات، يعمل على اساس الهدف الصهيوني الواضح تماما : البناء الفعلي للوطن القومي اليهودى في فلسطين . ومع ان الفترات السابقة لم تشهد تنازلا عن هذا الهدف، الا ان الثقة زادت بامكانية تحقيق هذاالهدف بعد عام ١٩٣٦ ، بعد اقتراح الانجليز لمشروع التقسيم ، واستمرار عرب فلسطين في بيع اراضيهم

Digitized by Birzeit University Library

ومما ساعد ايضا على ازدياد مركزية دور الصندوق القومي اليهودي، بعد عام ١٩٣٦ ، هو انخفاض حدة التنافس مع المشترين الافراد والمؤسسات اليهودية الصغيرة. فقد كان لاضطرابات ١٩٣٦ دورا في ازدياد صعوبة وخطورة تفاوض الافراد والمؤسسات الصغيرة على شراء الاراضي العربية وقد ادى هذا لازدياد حالات نقض الاتفاقات ، او العجز عن الايفاء بالشروط ، وازدياد حالات فقدان الدفعات المسبقة. ومما لا شك فيه، فان تأثير ثورة العرب في ٣٦ – ١٩٣٩ ، كان هاما على تطور الصندوق القومي مثلما كان لاضطرابات ١٩٢٩ تأثيرا على تطوير الاستيطان اليهودي بشكل عام . فمثلما دفعت اضطرابات ١٩٢٩ الانجليز لأخذ اعتبارات وسياسات جديدة، وبالتالي ، لرد فعل قومي، جماعي يهودي منظم ، كان لعنف ٣٦ – ١٩٣٩ اثرا في دفع الصندوق القومي ليصبح المؤسسة الاولى في قيادة الاستيطان اليهودي في فلسطيـــن .

ان تأخر دخول الصندوق القومي كمنظمة مركزية، تقوم بشراء الاراضي بمساحات كبيرة، اثر على اولويات الشراء من عام ١٩٢٤ وحتىَ ١٩٣٩ . وكان غياب وكلاء مختلفين لشراء الاراضي ، انما يعني الاعتماد على تجربة وحكم شركة تطوير اراضي فلسطين وخبرائها امثال "د. ثون" ، " يهوشوا هانكين" ، " مائير فيلكانسكي" ، و"أشبل" ، وآخرون. وقد تأثرت قرارات الشراء ، بمدراء يعيشون خارج البلاد، متبنين لفلسفة شراء اراضي مدنية بدل الاراضي الريفية. ومعان اساليب شراء الاراضي اختلفت قليلا مع تبدل الظروف السياسية، الا ان عملية الشراء ونقل الملكيات بقيت ثابتة ومستمـــــرة .

وقبل ان تدخل اى قطعة ارض في اعتبار الصندوق لشرائها، كان لا بد ان يتم دراستها ومسحها جغرافيا ، طبوغرافيا وهيدروليكيا من قبل خبراء دائرة الاستيطان الزراعي التابعة للوكالة اليهودية، هذا بالاضافة الى مجموعة توصيات حول صلاحية الارض لزراعة اى الانواع من المحاصيل، وتقديرات حول الاموال والوقت اللازم لتحضير الارض للاستعمال الفعلي لاغراض الزراعة والاستيطان ومع ان الوقت وسرعة التنفيذ كان مهما جدا، الا ان الاهتمام تركز ايضا على وجود مياه الشرب، امكانيات بناء الطرق السريعة وخطوط القطارات، امكانيات تجفيف المستنقعات، والتكاليف الاخرى المرافقة، وامكانية بناء الموشاف والكيبوتس في حالة الاراضي الريفية. وفي حال ان كانت الحاجة واضحة تماما لبعض الاراضي ، فانهم يبدأون في عملية شرائها ، بينما يتم تحضير الخطط الخاصة لتحسينها وتطويرها . وقداستغرقت عملية شراء اى قطعة ارض ما بين شهر وستة اشهر او اكثر، بينما استغرقت عمليات التقدير والتقييم ، المفاوضات ونقل الملكية، سنين في كثير من الاحيان، بل وحتى اجيال في قضايا مثل اراضي سرسق ، اراضي الحولة ،ووادى الحوارث .

ولم تمتد مفاوضات الشراء فقط الى سنوات طويلة، بل كذلك امتدت فترة الدفعات المالية ثمن قطع الاراضي المشتراة. ففي معظم الحالات ، كان ثمن الارض يقسم على دفعات. فتدفع مبالغ اولية لتثير شهية البائع . اما وجهاء القرية، المخاتير، الفلاحون الذين يزرعون الارض، الوسطاء

Digitized by Birzeit University Library

وموظفو تسجيل الاراضي، فقد كانوا يستلمون مبالغ محددة بطريقة او بأخرى . اما مالك او مالكو الارض ، فكانوا يستلمون بعض المبالغ قبل توقيع الاتفاق، وهذا يعني احتمال توزيع هذه المبالغ على عدد من افراد العائلة الذين يملكون حصصا في هذه الارض . وهناك دفعة اخرى عندما يتم تجميع اوراق الملكية في حصة كبيرة من الارض او الارض كلها بيد بائع واحد . ودفعة اخرى عندما تنتقل ملكية جزء من الارض، او ان يتم اخلاؤها من فلاحيها ومستغليها . ودفعة اخرى عندما تنتقل حيازتها قانونيا . واخيرا ، الدفعات اللاحقة بعد انتقال الملكية . اما مهمة هذه العلاقة الطويلة بين الصندوق والمالك او المالكين، فكانت تأمين وضمان وفاء المالك ببعض الالتزامات قبل التسجيل، دفع الضرائب، تعويض الفلاحين، وضمان تسليم الارض دون فلاحيها للصندوق القومي.

وقد برزت عدة عوامل في تقرير الارض المراد شراؤها ، ومنها : موقع الارض، خصوبتها، وجود الماء في حالة الاراضي الزراعية، السعر للدونم ، عدد المالكين للقطعة الواحدة ، وقربها من المواقع العربية او المراكز السكانية اليهودية . وقد اختلفت اهمية الموقع من العشرينات وحتى الثلاثينات . ففي اول العشرينات، كان تركيز عمليات الشراء على الاراضي ذات المساحات الكبيرة والتي يملكها عدد قليل من المالكين. وفي حال توافر العوامل الاخرى، فلم يكن للموقع اهمية خاصة بهذا الصدد . وهكذا كان غياب مراكز سكانية يهودية مجاورة، لا يعني شيئا بالنسبة لقطعة الارض . الا انه بعد احداث ١٩٢٩ ، وعندما دمرت ممتلكات واحيا ء لليهود ، بدأ اهتمام الصندوق، الافراد والمؤسسات اليهودية الاخرى، بشراء قطع اراضي مجاورة للمستوطنات المتجاورة، اصبح الاكثر اهمية في تحديد قطعة الارض المراد شروؤها . الا ان هذا بالطبع لم يمنع من شراء بعض قطع الاراضي خارج هذا المخـــطط .

وكمؤشر على التعاون الوثيق بين الصندوق القومي والوكالة اليهودية في اوائل الثلاثينات، صدر قرار مشترك باقامة مناطق ملكيات يهودية كاملة ــ غير مقطعة . وقد عبر عن ذلك قرار ان إداريان هامـــــان :

الاول : ان الوكالة اليهودية والمنظمات الخاصة والعامة المتصلة بشراء الاراضي، يجب ان تأخذ بالاعتبار ان السكان العرب الذين استلموا تعويضاتهم المالية عن الاراضي التي كانوا يشغلونها ،يجب ان لا يعاد اسكانهم في المناطق اليهودية او بين المستوطنات اليهودية.

الثاني : عندما ظهرت قضية تأثير عملية شراء اليهود للاراضي على ظهور فئة الفلاحين العرب فاقدى الملكية، في اواخر العشرينات واول الثلاثينات، بدأت الوكالة والمنظمات الاخرى المتصلة بعمليات شراء الاراضي ،بالتأثير على حكومة الانتداب، ونجحوا في اقناعهم بعدم اسكان اونقل الفلاحين العرب من المناطق الجبلية في فلسطين الى المناطق المنخفضة والسهلية ــ حيث تمركز عمليات شراء الاراضي اليهودية . وقد دعم " ناحوم سوكولوف" ــ الرئيس الجديد المنتخب للمنظمة الصهيونية العالمية ــ بقوة عام ١٩٣١ ، عدم اسكان العرب فاقدى الملكية، في المقاطعات اليهودية، بينما احتج عوني عبد الهادى ــ المحامي العربي

Digitized by Birzeit University Library

ورئيس حزب الاستقلال في فلسطين ـ احتج على اعتبار السهل الساحلي منطقة يهودية محظورة.

وكان من الواضح تماما، انه مع مسيرة الانتداب، كانت قضايا الموقع، الاضطراب الذى يمكن ان تسببه الارض، او حاجة الارض للحماية، اصبحت من القضايا الاساسية في اقرار الصندوق لأولويات الشراء. اما بعد احداث ١٩٣٦، وتقرير "بيل"، فقد بنى مدراء الصندوق القومي قراراتهم، على الحاجات الاستراتيجية للدولة اليهودية. وان مقارنة بسيطة بين اجتماعات مدراء الصندوق في اواسط العشرينات، وبينها في منتصف الثلاثينات توضح بما لا يقبل الشك، الاعتبارات الجيوـ سياسية في الاجتماعات الاخيـــرة.

ان النقاش الداخلي في اجتماعات الصندوق القومي في الفترة ما بين ٣٧ ـ ١٩٣٩، قلما وصفت بالاجماع الكامل. فالنقاشات كانت ساخنة، وطويلة. الا انه كان هناك دائما اجماع حول الاولويات. وقد هدفت كل القرارات المتعلقة بامتلاك اراضي، الى تحقيق الهدف الاساسي بتجميع السكان اليهود في مناطق خاصة بهم في السهول والمناطق المنخفضة. هذا بالاضافة، الى اهتمام خاص بالمناطق الجبلية الشمالية من فلسطين. اما منطقة النقب الجنوبية، فلم تكن احدى الاولويات حتى منتصف الثلاثينات. وفي المناطق الساحلية والسهلية المنخفضة، كانت الاراضي الزراعية تفضل على اراضي المدينية بسبب ان الاولى كانت اقل سعرا. ومع ان الجليل الاعلى كان خارج اقتراح "لجنة بيل" لحدود الدولة اليهودية، الا ان الصندوق القومي دعم زيادة الشراء في هذه المنطقة لزيادة الامن للحدود الشمالية للمستوطنات اليهودية. وقد لاقى اقتراح "بن غوريون" عام ١٩٣٧، القبول من الصندوق، وذلك لاعتبارات جيوـ سياسية. هذا الاقتراح الذى دعم شراء الاراضي على خط القدس ـ تل ابيب، وفي منطقة حيفا لتحقيق العمق اليهودى، والسيطرة على مناطق محددة هامة لمستقبل الدولة اليهوديـــــة.

وخلال فترة الانتداب، لم تختلف اساليب شراء الاراضي كاختلاف اولويات الشراء. الا ان تزايد الدقة والفحص الادارى للانتداب، نظم عملية انتقال الارض. ومنذ عام ١٩٢٠، قلت احتمالات تعرض هذه العملية، لسوء الاستعمال التقليدى. وسوى ذلك، استمرت عملية الاتفاق المسبق، والدفعات المالية المسبقة، والفحص الدقيق للارض، في وسم عمليات الانتقال هذه. وقد اثرت قوانين الانتداب ونظمه الادارية على اساليب شراء الاراضي بطريقتيـــن:

الاولى: ثبتت اسس محددة لعملية انتقال ملكية الارض، وارفقتها بالوسائل والسبل لغرض عدم خرق الاتفاقات والعقـــــود.

الثانية. لقد عنـى التدخل الانجليزى تزايدا مستمرا في عدد ونوعية القوانين والانظمة المتعلقة بانتقال حيازة الاراضـــــي.

وقد صدر عدد من الانظمة ومشاريع القوانين، المتعلقة بالحجم، الموقع الجغرافي، ومساحة الارض المعرضة لنقل ملكيتها، وتدريجيا، زاد الانجليز من اهتمامهم بحماية المزارعين الصغار. ان هذه

Digitized by Birzeit University Library

الطبيعة التنظيمية للتدخل الانجليزي في عمليات انتقال الاراضي، اجبرت بعض المؤسسات مثل الصندوق القومي والبائعين العرب ان يجدوا بدائل اخرى. ومع ازدياد توتر وشحن الجو السياسي في فلسطين، ومع ازدياد قوة التجمع اليهودي، زاد دعم الانجليز وحمايتهم للعرب في فلسطين* وهذا بدوره، اجبر الصندوق القومي، والمنظمات اليهودية الاخرى، على استخدام طرق واساليب اكثر تعقيدا والتفافا في شراء الاراضي الملائمة لتحقيق هدف اقامة الوطن القومي اليهودي.

وبالتأكيد، فان العامل الاكثر اهمية في تحديد اولويات الصندوق القومي في شراء الاراضي، كان انقسام البنية الاجتماعية للمجتمع الفلسطيني. فبسبب ضعف الحكومة العثمانية المركزية، وتطور قوة العائلات والحمائل المحلية تراكمت مساحات شاسعة من الارض، تزيد عن خمسة الاف دونم، في يد الملاك الكبار، نتيجة للدين الفلاحي، هذا الدين الذي جاء نتيجة للانتاج القليل للمحاصيل، والطرق غير المنتجة لاستخدام الاراضي. وتدريجيا استخدم التجار، شيوخ القرى، والوجهاء، وموظفو المدن هذه المساحات الواسعة من الارض كمجال للاستثمار المالي. وفي حالات كثيرة، تحول كثير من الفلاحين من فلاحين مالكين لاراضيهم. الى فلاحين محاصصين، يعملون لدى كبار الملاك. وقد سيطر كثير من هؤلاء الملاك على جوانب الحياة السياسية المحلية في مقاطعاتهم، وكونوا لاحقا "انوية" سياسية ضمن الحركة القومية الفلسطينية.

ان الاعتبار الاساسي في شراء الاراضي، كان امتلاك احسن واكبر مساحة من الارض من وجهة نظر زراعية، مع اقل عدد من المالكين يمكن التفاوض معهم. وقد كان امتلاك الارض بأقل عدد من الفلاحين المزارعين، هو واحد من الاولويات، بما ان ذلك كان يعني تقليل عدد اللقاءات والاتصال بالبائعين العرب. ونظرا للديون التي ارهقت الفلاحين، كان لمالك الارض، في كثير من الاحيان، ديون كثيرة على الفلاح، الحراث، والعامل الزراعي. فكان في صالح المشترى اليهودي ان يدفع ملاك الارض العربي او وكيله للتعامل مباشرة مع هؤلاء الفلاحين. وفي العادة، كانت تأتي التعويضات التي تدفع لهؤلاء الفلاحين، اما من مالك الارض العربي او من الصندوق القومي اليهودي. وفي هذه الحالات، فان مسؤولية اخراج الفلاحين من اراضيهم، كانت مسؤولية

---

* ترى "الكاتب" ان قول المؤلف بزيادة دعم الانجليز وحمايتهم للعرب في فلسطين مما اجبر الصندوق القومي، والمنظمات اليهودية الاخرى، على استخدام طرق واساليب اكثر تعقيدا والتفافا في شراء الاراضي الملائمة لتحقيق هدف واقامة الوطن القومي اليهودي ـ ينطوي على مغالطة تاريخية واضحة، وان قيام "الصندوق القومي والمنظمات اليهودية باستخدام طرق واساليب اكثر تعقيدا والتفافا ..." يرجع بالدرجة الاولى الى الحاجة الدائمة لتجديد اساليب خداع الفلاحين الفلسطينيين.

الكاتب

Digitized by Birzeit University Library

مشركة بين البائع العربي والمشترى اليهودى . ولو ان الصندوق القومي ، قام بعطيات شراء الارض في حصص صغيرة ، ومن عدد كبير من الملاكين ، وبعدد كبير من الفلاحين الذين يستغلونها في العشرينات ، لتحولت قضية الارض الى قضية سياسية ذات ضجة اعلامية ، كما حصل في قضية الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وعلى هذا ، شهدت الثلاثينات فقط ، عمليات شراء قطع الاراضي الصغيرة بعدد كبير من الملاكين ، وأخذت حينها قضية الارض اهتماما سياسيا واعلاميا كبيـــرا .

في اوائل العشرينات ، وعندما توفرت فقط ، مساحات واسعة من الاراضي ، المستغلة جزئيا من الفلاحين ، فضّل الصندوق القومي شراءها . وكان من اهمها عمليات شراء اراضٍ "سرسق" في الاعوام من ٢١ – ١٩٢٥ ، "وادى الحوارث" عام ١٩٢٩ ، وأراضي "الحولة" عام ١٩٣٤ . الا انه في نهاية العشرينات وفي الثلاثينات ، زادت عملية شراء الاراضي ذات المساحة الصغيرة وأراضي المشاع ، واراضي الملاكين الفلسطينيين المقيمين . ومن الواضح انه ليس اقل من ٦٥ ٪ من الاراضي التي انتقلت الى اليهود بين اعوام ١٩٣٢ – ١٩٤٨ جاءت من فلسطينيين عرب ، وليس من ملاك غائبين يعيشون في بيروت ، القاهرة ، دمشق او الاسكندرية ، وكان من النادر ان يمنع وجود فلاحين عرب ، على اى قطعة ارض يمكن شراؤها ، ان يمنع الصندوق القومي من شرائها او الاستيطـــان فيهـــــا .

وكان هناك فوائد اخرى للصندوق القومي في تعامله مع عدد محدود من المالكين او خاصة منهم ملاكي الارض الكبار . فالارض كانت وسيلة للسلطة الاقتصادية الاجتماعية والسياسية في فلسطين . وكان الصندوق القومي اليهودى ، يعلم جيدا ان عددا من بائعي الاراضي هؤلاء ، كانوا منخرطين في العمل السياسي المحلي ، او على مستوى فلسطين ككل . ومع علمهم بهذه العلاقة اختار الصندوق القومي ، بشكل متعمد ، ان يحمي سمعة هؤلاء الملاكين العرب لعدة اسباب : فالمالك العربي قد ينوى او يستطيع بيع اراضٍ اخرى له لليهود مستقبلا . والملاّك ايضا قد يحوّل ويعدّل من درجة عدائه العلني للصهيونية اذا تمت حماية سمعتة من قبلهم . وبنفس الاهمية ، كانت هناك الاساليب . عملية بيع وشراء الارض ، والمبنية على الثقة المتبادلة ، والسرية التامة . وبما انه كان هناك فقط عدد قليل من وكلاء الصندوق القومي ، المختصين بعملية الشراء واساليبها وطرقها المختلفة ، فالسرية كانت دائما محفوظة ، والاستثناءات كانت نادرة . هذا بالاضافة الى ان النقاشات على مستوى الصندوق القومي او الوكالة اليهودية حول عملية شراء ارض محددة ، او تورط عرب في عمليات البيع والشراء ، لم تكن في متناول يد الجميع او عامة الناس . وفي الحقيقة فان الوكالة اليهودية عام ١٩٢٩ ، استطاعت ان تحصل على قائمة كاملة بأسماء الفلسطينيين والعرب غير الفلسطينيين الذين باعوا ارضهم الى الصندوق القومي ومشترين يهود آخرين . الا ان الوكالة اليهودية اختارت ان تُبقي على سرية هذه القائمة ، حتى عن موظفي بعثة " ثو " وبعثة " جون هوب سمبسون " اللتان بحثتا في مسألة الارض في فلسطيـــن .

Digitized by Birzeit University Library

وبالاضافة الى البنية الاجتماعية للعرب، اثرت عوامل اخرى على قدرة الصندوق القومي على امتلاك الارض. فالاراضي الصالحة للزراعة في فلسطين لم تكن كلها مأهولة بالفلاحين. اما تلك الاجزاء المستغلة بشكل كامل من الفلاحين، فقد كانت تستغل بطرق بدائية، وفي غياب المكننة الزراعية. بل ان اعدادا كبيرة من الفلاحين الفلسطينيين كان باستطاعتهم ان ينتجوا فقط ما يكفيهم للبقاء على الحياة. وعندما جاءت اعوام متتالية من الموسم الزراعي السيء، مثل تلك التي جاءت في سنوات ١٩١١ — ١٩٢٠، ومن ١٩٣٠ — ١٩٣٥، جعلت الفلاحين الفلسطينيين يقارنون بين ضعف انتاجية الارض، وتوفر الاعمال التي لا تتطلب مهارات محددة، في سوق العمل في المناطق المدنية المختلفة. وللمصادفة، كان لموجات رأس المال اليهودي القادم الى فلسطين، دور في جذب فلاحي العرب الفقراء بعيدا عن ارضهم التي يفلحونها. هذا مما سهل على الصندوق القومي ان يشترى الاراضي خالية نسبيا من فلاحيهـــــا.

اما العامل الثالث، الذى ساعد في عملية امتلاك الاراضي في فلسطين فقد كانت الفوضى الادارية للتسجيلات المتعلقة بحقوق ملكية الارض. ففي العهد العثماني، كانت مساحة الارض وحدودها، نادرا ما تكون دقيقة، هذا ان وجدت اصلا. فكيف اذا اضفنا الى ذلك، الدمار الذى لحق بتسجيلات الضرائب، الزراعية، البنوك والاراضي، خلال الحرب العالمية الاولى. وجاءت عملية اعادة بناء وتنظيم حقوق الارض في فترة الانتداب، لتفتح مجالا للمشترين اليهود بأن يدعوا وجود وثائق في الفترة العثمانية، تثبت ملكيتهم لقطع الاراضي، دون وجود تسجيل رسمي لها. وجاء تعديل قانون تسجيل الاراضي عام ١٩٢٦، ليعطي شرعية قانونية لوثائق الاراضي غير الرسمية، التي ابرزتها المستوطنات اليهودية في تلك الفتـــــرة.

ومن الناحية العملية، فان المشترين اليهود، وخاصة الصندوق القومي استخدموا الفساد العثماني فيما يتعلق بالاراضي — قيد التسجيل، او الاراضي — غير المسجلة، خلال فترة الانتداب، ليتلاعبوا في حجم ملكياتهم، وليقللوا من حجم الضرائب المفروضة عليها. فمثلا، كان شراء الصندوق القومي لـ ٣٠ ألف دونم في وادى الحوارث في نيسان ١٩٢٩، مسجلا في الطابو العثماني على انها خمسة الاف دونم. وفي المزاد العلني، حيث اشترى الصندوق القومي هذه الاراضي، ودفع "يهوشوا هانكن" — ممثل الصندوق — جنيها "واحدا للدونم، مع انه كان قد اتفق مسبقا مع عائلة "الطيان" على دفع اربع جنيهات للدونم الواحد. وبهذه الطريقة، دفع الصندوق القومي ضريبة انتقال الملكية، مبلغا اقل بكثير من المستحق عليها. الا ان عدم دقة نظام الاراضي العثماني بعدم وضوح حدود الارض، تسببت بمصاريف اضافية للصندوق القومي. فقد خاف عدد من العرب المجاورين للأرض المنوى شرائها، ان يصل مسح الاراضي البريطاني الى اراضيهم، مما اجبر الصندوق القومي على ان يدفع لهؤلاء الجيران بعض الأموال، حتى يوافقوا او يشهدوا على حدود الارض ودقتها، لدى انتقالها الى الصندوق القومـــــي.

بالاضافة الى ذلك، فان للصندوق القومي اليهودى ميزة اخرى هامة على كل من الانجليز

Digitized by Birzeit University Library

الذين اداروا نظام الانتداب ، وأغلبية السكان العرب ، الا وهي ميزة القدرة على الحصول على المعلومات واستخدامها ، فمحامي الصندوق القومي ووكلائه لشراء الاراضي ، راكموا الخبرة القانونية، الطلاقة في استخدام اللغة العربية ، وحصلوا على كميات كبيرة من المعلومات والاحصائيات لم يستطع الانجليز الحصول عليها .وقد استطاع الصندوق القومي ، بمساعدة منظمات الوكالة اليهودية الاخرى، ان يفهم المحركات الاجتماعية الداخلية للمجتمع العربي في فلسطين. وفي الحقيقة، فان الصندوق القومي ، عبر خبرائه القانونيين ، وأرشيفه ، اصبح مرجعا للاداريين الانجليز في دائرة اراضي فلسطين ودائرة تسجيل الاراضي . وهكذا عندما قدم المندوب السامي البريطاني " " تشانسلر " اقتراحاته حول موانع نقل ملكية الارض ، او عندما اصبح هناك حاجة لتوضيح تعريف محدد لمفهوم " الفلاح العربي المجرد من الملكية" عام ١٩٣٩ ، عندها ، لم يؤخذ رأى الصندوق القومي والوكالة اليهودية فقط ، بل استخدمت تعريفاتهم ، وتم تبني كلماتهم الحرفية بهذا الخصوص . وبالعكس تماما ، لم يتمتع التجمع العربي بأى رأى استشارى ، ولم يتم اخذ آرائهم في قضايا القوانين والانظمة المقترحـــــة .

وأخيرا يأتي العامل الاكثر وضوحا في مساهمته في عملية شراء الصندوق القومي للاراضي ، الا وهو عروض البيع المستمرة من قبل العرب . فان رغبة العرب في بيع اراضيهم الموروثة ، كان وقودا حيويا للقيادة الصهيونية التي كانت تشكك اصلا في امكانية تشكل قومية فلسطينية عربية . وكان من الواضح . ان الوضع الاقتصادى السيئ ، هو ما يدفع العرب الى البيع . وقد قال " يهوشوا هانكن" لـ " جون هوب سمبسون " في مكتب الصندوق القومي في حزيران ١٩٣٩ ، ان ٩٠٪ من البائعين كانوا غارقين في ديونهم ، ويحاولون سدادها عن طريق بيع اراضيهم . ان الظروف الاقتصادية لاغلبية السكان العرب الريفيين ، لم تتحسن منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، بل ان ظروفهم الاقتصادية قد ازدادت سوءا مع قدوم الثلاثينات . الا ان هذا لا يمنع وجود عوامل اخرى ، سببت في بيع بعض العرب لأراضيهم . ان المقترحات المقدمة في خريف ١٩٣٩ ، حول موانع انتقال الاراضي ، كما اوصى بها " تشانسلر " ، قد اغرقت الصندوق القومي بعدد اضافي من العروض ، اكثر مما يستطيع شراءه . فان الاضطرابات ، ونتائج توصيات تقرير " بيل" في فلسطين منذ عام ١٩٣٦ وحتى ١٩٣٩ ، خلق وضعا محرجا لملاك الارض العرب ، بما ان ارضهم لم تكن تستغل بشكل دائم ومنتظم ، بينما لم يتوفر عند البعض الاخر منهم المال الكافي ، نتيجة لطول فترة الاضراب . وفي نفس الوقت ، فقد اراد عدد من العرب بيع اراضيهم التي تقع جغرافيا في مناطق " الدولة اليهودية " المقترحة . وقد لاحظ السيد " فيتس " ، ان عدد العروض العربية لبيع الاراضي ، التي تقدمت للصندوق القومي عام ١٩٣٨ ، كانت كبيرة بصورة لا يمكن مقارنتها بأى فترة اخرى منذ الحرب العالميـة الاولـــى .

ان حجم وتنوع هذه العروض سمح للصندوق القومي بأن يحقق ـ دون صعوبة ـ اهداف الاستيطان الجيو ـ استراتيجية ، خاصة في شمال فلسطين . وقد جاء ظهور " الورقة البيضاء " عام

Digitized by Birzeit University Library

١٩٣٩ ، لتدفع الصندوق القومي نحو اعادة ترتيب عقود الملكية، وزيادة تجميع وتماسك ما يملك من اراضي. وقد تحولت هذه لتصبح سياسة عملية للصندوق القومي، بعد فرض قوانين تنظيم انتقال الاراضي في شباط ١٩٤٠ . وقد طبقت نفس هذه السياسة قبل ذلك، في الاعوام ٣٠ ـ ١٩٣١ في الفترة ما بين اصدار " باسيفيلد " "للورقة البيضاء" ، وبين إبطال مفعولها عبر رسالة" مكدونالد (. ومن الجدير بالملاحظة هنا ، ان الاراضي التي تم شروءها قبل تطبيق قوانين تنظيم انتقال الاراضي عام ١٩٤٠ ، قد فتحت الفرص امام الصندوق القومي لتوسيع ملكياته بعد تطبيق هذه القوانيـــــــــن .

اذن ، فقد كان هناك خمس اعتبارات هامة في عقود شراء الاراضي بالنسبة للصندوق القومي المال، الوقت ، حدود الارض الواضحة ، امكانية الاستفادة من التدرج الاجتماعي للمجتمع العربي ومن نظام تسجيل الاراضي ، في عملية انتقال الملكية . وبالتأكيد ، فان اكثر الميكانيزمات شيوعا في ربط والزام العربي لبيع ارضه ، كان قوة جذب النقود . وفي بعض الحالات، كان على الوكالة اليهودية، ان ترضى جيران الارض المحيطين بها مثل الشيوخ، المخاتير ،الفلاحين وحتى الرعاة، باعطائهم الزيت، البذور ،الحيوانات وطعامها والمحاريث الجديدة. الا ان الهبات الاكثر شيوعا، كانت دائما النقود . وكان اعطاء القروض والمنح، وغيرها من الهبات ، اكثر الطرق شيوعا لخلق دين شخصي للصندوق القومي على السكـان العـــرب .

وفي معظم الاحيان ، خطط البائع العربي، والمشترى اليهودي، مسبقا لعملية خلق الدين هذه اما السيناريو فيمكن ان يكون كالتالي : اقترض البائع العربي مبلغا من النقود من الصندوق القومي ولم يستطع ردها في موعدها ، ضمن اتفاق مسبق . وكان على محاكم الاراضي في فلسطين ان تفرض على البائع العربي ان يعرض ارضه في المزاد العلني للايفاء بدينه . عندها يقوم الصندوق القومي بشراء الارض . وفي هذه الحالة ، فان لوم البائع العربي يقع على الانجليز الذين اجبروه عبر المحاكم ، على بيع ارضه للصهاينة . وفي مثل هذه الحالة ،يأخذ البائع العربي نقوده من المحكمة ، ويدفع للصندوق القومي دينه، ثم يستلم حصة اضافية من الصندوق القومي لمشاركته في هذه التمثيلية . وباستخدام هذه الطريقة ، دفع الصندوق القومي عمليا اكثر من المبلغ المدفوع في المزاد العلني، الا انه دفع الضريبة على مبلغ اقل ، بما ان الضريبة تستند الى مساحة الارض قيد التسجيل حسب سعرها في المحكمة . وبما ان هذا البيع كان عن طريق المحكمة، فلم يكن هناك اي اجبار قانوني على الصندوق لدفع تعويضات للفلاحين الذين يستغلون الارض حتى اوائل الثلاثينات. وهكذا كانت حقوق الفلاحين في هذه الحالة ، غير محمية قانونيا .

وبما ان عامل الوقت للصندوق كان هاما في عملية الانتقال، فقد احتوت العقود بالعادة، عقوبات او برنامج زمني محدد لانجاز العقد . هذه الفترة التي تحتوى جدولا لتعويض الفلاحين

Digitized by Birzeit University Library

الحقيمين على الارض، قياس حدودها ، نقل ملكيتها قانونيا في مكاتب تسجيل الاراضي، ثم منح الحيازة الكاملة للارض . وكان لهذا الجدول المحدد ، دورا هاما في التقليل من الغاء احتمال ان يقوم بائع الارض ببيعها لمشتر آخر في نفس الوقت . وقد احتوت مواد العقد ، في عدد من العقود على بند يحدد عقوبة على البائع في حالة فشله في تسليم الارض، في الوقت المحدد ، او ضمن الشروط المحددة مسبقا . وقد تصل هذه العقوبة الى مبلغ يعادل عشرة اضعاف قيمة الارض .

وقد اتضح للمندوب السامي البريطاني عام ١٩٣٥ ، شيوع واستخدام هذه الاساليب في تقييد البائع العربي ، وخوفا من المخاطرة برد فعل سياسي عنيف في حال ايقاف عملية انتقال الارض بشكل نهائي، تقدمت مسودة مشروع قرار بريطاني لمنع استعمال بنود العقوبات في العقود ، والسلطة التي لا يمكن التراجع عنها لممثلي المتعاقدين. ومثل " لجنة التحقيق في العرب المجردين الملكية " ، "قانون حماية المزارعين" ، وقانون حيازة اراضي المتنازع عليها ، واخيرا مشروع قانون حماية الملاك الصغار في اوائل عام ١٩٣٦ وبالطبع ، فان الصندوق القومي والوكالة اليهودية ، قد احتجتا على مسودة مشروع القانون المقترح، من حيث انه سيشجع على عدم الوفاء بالالتزامات التعاقدية بين البائع والمشترى. وعلى هذا لم يتم تنفيذ هذا القانون وذلك جزئيا بسبب ضغط الصندوق القومي والوكالة اليهودية على المندوب السامي البريطانـــــي .

ان مساحة الاراضي المشتراة ، قد اثر ايضا على الاساليب المستخدمة لامتلاك الارض. ففي العشرينات ، لم يمتلك الصندوق القومي الاحوال اللازمة لشراء الارض من ملاك صغار. هذا بالاضافة الى انهم فضلوا شراء مساحات زراعية واسعة، حيث يمكن اقامة مستوطنات يهودية بسرعة . الا انه في نهاية العشرينات وأوائل الثلاثينات، كانت معظم فئات الاراضي المنتقلة الى اليهود ،هي من فئة القطع الصغيرة. الا ان الذى لم يظهر في احصائيات الوكالة اليهودية عن طبيعة المالكين السابقين، كان الوجود النشيط للوسطاء والسماسرة، الذين راكموا قطع صغيرة من اراضي الفلاحين، وباعوها لاحقا بقطع كبيرة للصندوق القومي . ولم يكن خارج نطاق العادة، على اى وكيل للصندوق القومي مثل " يهوشوا هانكن" في الثلاثينات، ان يدخل في عقد مع الفلاحين لشراء اراضيهم ، وان يفرض عليهم تعيين احدهم ، او غيرهم من العرب، كوكيل عنهم . وبهذه الطريقة، استطاع الصندوق القومي ان يتعامل مع ممثل واحد عنهم ، بدلا من مجموعة كبيرة من الفلاحين المنقسمين حمائليا وعشائريا تصل الى ما بين ١٠٠ ـ ١٥٠٠ شخص او اكثر . وفي العادة، فان بنود العقوبات كانت توجد في العقود ، عندما يكون هناك وسطاء . وفي بعض الاحيان، كانت تدفع مبالغ نقدية غير محددة، اضافية على سعر الشراء ، الى شيوخ القرية ومخاتيرها . اما الفلاحون ، فحصلوا على تعويضاتهم بالاستناد الى معيار المساحة المزروعة سابقا ، مقاسة بأيام حراثتها او بتقدير انتاجها .

لقد توافرت عدة اسباب لنجاح اليهود في امتلاك الاراضي في فلسطين ومنها :

Digitized by Birzeit University Library

١) المعرفة بأنظمة تسجيل وتصنيف الاراضي العثماني .
٢) ادراك ومعرفة المحركات الداخلية للمجتمع العربي الفلسطينـــي .
٣) معرفة اللغة العربيـــــة .
٤) المعرفة المسبقة بمسودات القوانين والملاحظات البريطانية والاتصالات السرية بين المندوب السامي ومكتب المستعمرات البريطاني .
٥) المعرفة المتراكمة عن ملكية الارض وطرق استغلالها ، عبر اجيال من التجربة، قبل فرض نظام الانتداب على فلسطين .

وقد اثرت المعيقات في وجه شراء الصندوق القومي للارض على عمليات شراء اليهود للاراضي بشكل عام ، حتى اعوام ٣٦ ــ ١٩٣٧ . الا ان الصندوق القومي استطاع بعد ذلك ، ان يقوم لوحده بهذه المهمـة، عبر تجديد قوته المالية ، ودون منافسة المشترين اليهود الاخرين ، كما كان يحدث في العشرينات ، والذى كان يؤدى الى رفع اسعار الارض .

اما العوامل التي اعاقت شراء الصندوق القومي اليهودى للاراضي ، فقد كانت : الاموال غير الكافية لشراء كل الاراضي المعروضة للبيع ، الغيرة والتنافس بين المؤسسات والمنظمات اليهودية، ارتفاع وتضخم اسعار الارض ، المعيقات البريطانية السياسية بين اعوام ٢٩ ــ ١٩٣١ مع ظهور تقارير " شو" و" هوب سمبسون" و" الورقة البيضاء " ، ثم " لجنة التحقيق في العرب مجردى الملكية" ، ثم الحاجة الى الاموال للتعويض عن الفلاحين المجاورين للأرض، والوسطاء ، والمخاتير وغيرهم ... والمصادفة ، فان هذه المعيقات، كان لها بعض الفوائد للصندوق القومي . ومن اهمها كانت اضطرابات العرب عام ١٩٢٩ ، والخطر السياسي الذى حاولت بريطانيا فرضه على مشروع الوطن القومي اليهودى منذ عام ١٩٢٩ وحتى ١٩٣١ ، هذا الذى شجع وأنشأ التنسيق التنظيمي اليهودى كرد على هذا الخطر. فالوكالة اليهودية والصندوق القومي ، اثبتا عدم الخبرة وحتى السذاجة، عندما اشركوا " هوب سمبسون " بمعلوماتهم حول الاستيطان اليهودى. الا انه وبعد ظهور التقرير السلبي " لهوب سمبسون" حول الاستيطان اليهودى ودور الصندوق القومي، تم البدء باتخاذ سياسة براجماتية في مجال التعامل وتبادل المعلومات مع الموظفين البريطانيين وخاصة عندما تتعلق هذه المعلومات بسياسة شراء الاراضي . ان تقرير جون هوب سمبسون " ساهم بقوة في ازدياد التعاون بين الوكالة اليهودية، الصندوق القومي، شركة تطوير اراضي فلسطين ومؤسسة استعمار فلسطين. حيث تعاونوا من اجل دفن مقولة مسؤولية اليهود في تجريد العرب من ملكياتهم على الصعيد الاعلامي . وعندما اراد البريطانيون ان يقوموا بحماية الفلاح العربي والبائع العربي عبر اصدار قوانين وانظمة جديدة في الثلاثينات ، بدأ التعاون اليهودى على صعيد الاستيطان وشراء الاراضي ــ الذى بدأ في الاعوام ١٩٢٩و ١٩٣٠ــ بدأ يعطي ثماره، حيث تم ايجاد السبل القانونية لمنع محاولة الانجليز من تخفيض درجة التوسع الجغرافي والديموغرافي اليهودى . ان نجاحات الثلاثينات ، اعطت دفعة قوية لاعضاء الوكالة اليهودية والصندوق القومي في الاربعينات ، في مواجهتهم للعقبات البريطانية الجديدة التي تم فرضها في الورقة البيضاء

Digitized by Birzeit University Library

عام ١٩٣٩ بخصوص الهجرة وانتقال الاراضـــي .

وبالرغم من ان الصندوق القومي اصبح مؤسسة مركزية في مجال شراء الاراضي في الثلاثينات فقط، الا انه لعب دورا حساسا في تلك الفترة فصاعدا. فعندما فرضت انظمة انتقال الاراضي في شباط ١٩٤٠، لم يفاجأ الصندوق القومي . وفي الاربعينات ، اشترى الصندوق القومي معظم الاراضي التي امتلكها اليهود في فلسطين في تلك الفترة . وبهذا ، كانت ميكانيزمات انتقال الارض قد تم انشاؤها ، تطويرها ، وتشذيبها . وبالتأكيد ، فان القيود القانونية المفروضة على الصندوق القومي ، قد اعاقت جزئيا عملية شراء الارض، الا ان عمليات انتقال الملكية غير الرسمية وغير المسجلة، قد استمرت . ان تراكم الخبرات الهائل في هذه المجالات في السنوات السابقة، قد سمح للوكالة اليهودية بأن " تستثمر " بتركيز اهتماماتها على الحاجات السياسية المرتبطة بتطوير الدولة اليهودية.اما النواة الجيو ـ استراتيجية . فكانت قد تم تأسيسها عام ١٩٣٩ ، واصبح الصراع في الاربعينات موجها نحو الانجليز . وبالنسبة للصهيونية الوكالة اليهودية، والصندوق القومي ، اصبحت المسألة ليست في امكان قيام دولة يهودية، بل في الوقت والزمان المحـــدد لقيامهـــــا .

اننـــا اذ ننشـــر هـــذا المقـــال نظـــرا لكونـــه يكشـــف عـــن كثيـــر من الحقائـــق التاريخيـــة والاساليـــب والطـــرق التـــي اتبعتهـــا الصهيونية للاستيـــلاء علـــى اراضي الفلاحيـــن والملاكين الفلسطينيين ولاهميـــة ذلـــك فـــي هذه المرحلـــة بالتحديـــد، مـــع العلـــم اننـــا لا نتفـــق وكاتـــب المقـــال في العديـــد من الاراء والاستنتاجـــات التـــي يسوقهـــــا .

الكاتـــــــــــب

Digitized by Birzeit University Library

مأثرة الشعب
مأثرة أدبه

اجرى المقابلة الكسي ايفكين من اسرة تحرير مجلة ·
قضايا السلم والاشتراكية

مع حلول الذكرى المجيدة ـ الذكرى السنوية الاربعين للانتصار على المانيا الفاشية (في ايار ١٩٨٥) شرعت دار نشر " سوفريمينيك" باصدار مختارات من اثني عشرمجلدا من مؤلفات كتاب سوفييت حول الحرب الوطنية العظمى تحت عنوان مشترك : " اكليل المجد ".

كل مجلد يعكس مرحلة معينة من الحرب، فقد تضمن المجلد الاول الذى صدر حتى الآن بعنوان :" هبّ ايتها البلاد العظيمة ..."، كتابات نثرية وشعرية وادبا اجتماعيا فنيا عن اصعب مرحلة من مراحل الحرب واكثرها مأساوية ـ عام ١٩٤١.

يضم مجلس تحرير وهيئة تحرير مجلدات هذه النشرة ادباء وشعراء سوفييت معاصرين معروفين مثل يورى بونداريف وميخائيل الكسييف ونيقولاى غريباتشيف ويغور ايسايف ونيقولاى ستارشينوف وغيرهم .

وقد جاء في مقدمة المجلد الاول :" ان المهمة الرئيسية التي وضعها مجلس التحرير ومؤلفو المختارات نصب اعينهم لدى شروعهم باصدارها هي جمع افضل مؤلفات الادباء السوفييت حول الحرب في كل واحد : الكتابات الاجتماعية الفذة والنماذج الرفيعة من شعر الحرب وافضل الأقاصيص ومقاطع من الروايات والقصص التي حظيت باعتراف شعبي عام ... ان مختارات " "اكليل المجد " ليست مجرد نصب ادبي لمأثرة وبسالة عظيمتين والألم الذى لا يزول والنصر الصعب الذى حققه شعبنا كله، الشعب الذى قدم تضحيات لا تعوض، بل ونتصب لجيل المحاربين

Digitized by Birzeit University Library

لعرتهم ونبلهم ومجدهم الخالد ، نصب للجيل الذى اعطى البشرية كلها دروسا في البطولة".

==========

- تصدر المؤلفات عن الحرب الوطنية العظمى في الاتحاد السوفييتي ويعاد اصدارها بنسخ كثيرة وتقرأ على نطاق واسع من جميع فئات السكان. ما هو الهدف من اصدار هذه المختارات بالذات ؟

==========

ذلك كان السؤال الاول الذى وجهه مندوب مجلة قضايا السلم والاشتراكية الى الناشر السكيف عضو مجلس تحرير النشر وسكرتير اتحاد ادباء الاتحاد السوفييتي واتحاد ادباء جمهورية روسيا الاتحادية السوفييتية الاشتراكية .

- بودى ان اسمي هذا الهدف هدفا سعيدا. نعرف جيدا القول المأثور القديم : عندما تتحدث المدافع تصمت ربات الالهام. وربما ان ربات الالهام خرساء فعلا في البلد الذى يشن حربا عدوانية غير عادلة. فادباء المانيا الفاشية لم يخلفوا أثراً ادبيا واحدا عن الحرب يمكن ادراجه في الكنز الذهبي للادب العالمي. ففي مثل هذه الحالات لا يمكن لربة الالهام النزيهة ان تصدح. اما حرب الاتحاد السوفييتي ضد الهتلريين فقد اتخذت منذ البداية طابعا عادلا ووطنيا عميقا، اذ كنا ندافع عن وطننا . ولذا غدت هذه الحرب حربا شعبية عامة حقا، ولذا لم تصمت ربات الالهام عندنـــا .

ما ان انتصف نهار ٢٢ حزيران ١٩٤١ (يوم الهجوم الغادر الذى شنته الفاشية ضد الاتحاد السوفييتي) حتى كان فاسيلي ليبيديف ـ كوماتش قد انجز كتابة قصيدته «الحرب المقدسة». وعند المساء كان الكسندر الكسندروف قد وضع لحنها، وغدت الاغنية نشيدا كفاحيا لشعبنا طوال سنوات الحرب والمؤشر للفنون الأخرى كلهـــا .

اجل ، بالطبع ان المؤلفات حول هذه المعاناة لم تبق في يوم ما على رفوف متاجر الكتب في الاتحاد السوفييتي. وثمة الكثير من القراء يجمع خصيصا ما كتب عن الحرب الوطنية العظمى . ومع ذلك فالاهتمام عظيم بهذا الموضوع، وقد انتقل الى الجيل الحالي ،واني لعلى ثقة بانه لن يخبو في المستقبل. ان جمع افضل ما كتب عن الحرب ضد المحتلين الهتلريين في نشرة واحدة، يعني تقديم "بانوراما" واسعة للحياة في تلك الفترة، ولتلبية اهتمام القراء الثابت بالتعرف على هذا الفصل الكبير من التاريخ، الوطني على نحو اشمل واعمق قدر الامكان. ويساهم هذا في ادراك الشعب لذاتـــه .

وثمة جانب آخر هام في اصدار هذه المختارات. لقد كتب الكثير عن مأثرة الناس، وعن مأثرة

Digitized by Birzeit University Library

الشعب عموما . ولكن لم نقرأ حتى الان دراسة واحدة عن مأثرة الأدب والفن . وانني على يقين من ان ادبنا قد اجترح مثل هذه المأثرة في تلك الحرب و" اكليل المجد " يبين ذلك بوضوح .

يقال بان الفنان بحاجة الى مسافة زمنية لكي يبدع روائعاً عن الاحداث التاريخية (وطبعة ليون تولستوى" الحرب والسلم" مثال كلاسيكي على ذلك) . ان هذه حقيقة ولكن ليست الحقيقة كلها . او ليست من الروائع " فاسيلي تيوركن " لالكسندر تفاردوفسكي ، و" الطبع الروسي" لالكسي تولستوى ، و " انهم قاتلوا من اجل الوطن " لميخائيل شولوخوف ، وقصائد نيقولاى تيخونوف والسمفونية " اللينينغرادية" السابعة لدميترى شوستا كوفيتش واغاني ماتفي بلانير واناتولي نوفيكوف وفاسيلي سولوفيوف ــ سيدوى وغيرهم ، التي كتبت في لينينغراد المحاصرة ؟ اذ ان هذه المؤلفات كتبت بالقلم الحار، اذا صح التعبير ، في اثناء الحرب . اذا ، لا ينبغي اضفاء صفة مطلقة على مبدأ المسافة الزمنيـــــة .

==========

ــ ما الذى يفسر ، برأيكم ، هذا المستوى الرفيع الذى بلغه الفن السوفييتي في سنوات الحـــرب ؟

==========

ــ اجيب ببساطة : هو ان قلوب الفنانين التحمت مع قلب الشعب في كل لا ينجزئ .

وبودى ان اؤكد ايضا على ما يلي : ان الجيل الذى حرر وطننا والعديد من بلدان اوروبا من النير الفاشي تمكن ، باعتقادى ، من تحمل مثل هذه الحرب والانتصار فيها لان الحزب الشيوعي اللينيني تمكن خلال فترة سلام خاطفة تاريخيا من ان يبعث فينا ، نحن السوفييتيين ، قوة عزيمة لا تقهر وثقة عميقة بمثل الاشتراكية . وقد اسدى الادب الذى ابدع في السنوات الاولى من عمر السلطة السوفييتية قسطا هاما في هذا المجال . بمن اردنا التشبه آنذاك ؟ بأبطال اكتوبر والحرب الاهلية فاولئك القادة الحمر كتشابايف ربما لم يكونوا يحصون على الاصابع . ولكن "تشابايف" احتل هذه المرتبة في الوعي الوطني لان الفن لامسه ، وبفضل الكاتب الشيوعي ديمترى فورماتوف الذى تحدث عن قائده في الكتاب ، وفيما بعد بفضل فيلم المخرج فاسيليف ، فان تشابايف بدا وكأنه ضاعف من مأثرته ومارس بذلك تأثيرا بالغا في الناس .

لقد اعطى ادبنا في فترة ١٩٤١ ــ ١٩٤٥ الكثير من الصور العظيمة التأثير ، التي تتربى بها الاجيـال الراهنـــة .

==========

ــ هل تقتصر المختارات على مؤلفات من شارك في الحرب فقـــــط ؟

==========

Digitized by Birzeit University Library

- لا . لقد كتب الكثير عن الحرب الوطنية حتى الان ، ومع ذلك يبقى هناك احساس وكأن شيئا لم يقل بعد . واعتقد ان ثمة احداثا تكون من العمق بحيث لا تستطيع الوصول الى قعرها مهما سبرت غورها . وها هم الادباء الذين ولدوا بعد الحرب يعرجون على منبع مأساتنا ونصرنا ينهلون منه، ساعين الى فهم حياة الشعب الذى عاش هذه المحنة على نحو جديد ، الامر الذى يعبر جيلهم فالحرب التي اشعل هتلر اوارها لم تستهدف قلوب الادباء فحسب ، بل والابناء ايضا ومجمل سلسلة حياتنا التالية . ان هذا الفهم هو الذى يحرك روح وقلم الناثرين والشعراء الذين لم يعانوا محن الحرب نفسها ولكن انعكاس لهيبها لفحهم ايضـــا .

==========

- لا بد انه تعين عليكم سماع لوم معظلي العالم البرجوازى ،بمن فيهم المتعاطفون مع بلاد السوفييت ، بأن الحرب الوطنية العظمى تحتل موقعا كبيرا للغاية في الفن السوفييتي ، وانه كفى ، فاوروبا تعيش منذ حوالي اربعين عاما في سلام . . ماذا يمكنكم القول في هذا الصدد ؟

==========

- اجل ، لقد سمعت ذلك مرارا ، مثلا ، خلال لقاءاتي مع زملاء من البلدان الرأسمالية ، لا أدب حقيقي خارج حياة الجماهير . وهذا ما اثبته الادب الروسي العظيم . كما قلت فان محنة بالحجم الذىشكلته الحرب بالنسبة لنا تبقى في ذاكرة الاجيال . ربما ان من ينصح فنانينا" وضع نقطة نهائية" في موضوع الحرب الوطنية العظمى لم يعانوا ابدا من محنة بهذا الحجم ، لذلك تراهم يقيسون الامور بمقاساتهـــــم .

ان المسألة هي في شيء آخر : لماذا نكتب عن الحرب؟ أمن اجل التغني بها وتمجيدها ؟ لا شيء من هذا ! لقد جرى التمجيد والتغني بالقضية العادلة، قضية صد المعتدى ، وليس بالحرب نفسها اننا نكتب عن الحرب من اجل الا تتكرر ابدا . وهذا تقليد نبيل قديم من تقاليد ادبنا الوطنـــــي .

==========

- ثمة مفارقة في ان الاعداء الايديولوجيين يتهمون الاتحاد السوفييتي بالعسكرية انطلاقا من ان موضوع الحـــرب يحتل مكانا كبيرا في الادب الروســـي ...؟

==========

Digitized by Birzeit University Library

ـ هذه ثمرة وعي شاذ اعماه الحقد على الاشتراكية .ان كل انسان غير متحامل يعلم كم كلفت الشعب السوفييتي الحرب ضد الفاشيين، يعرف بوضوح الجواب على سؤال : " هل يريد الروس الحرب؟ " اننا لم نرغب في الحربفي يوم ما ، ففي عام ١٩١٧ ولدنا كدولة مع مرسوم للسلام.

واليوم ، حيث يوجد سلاح بهذا القدر من الفظاعة كالسلاح الصاروخي ـ النووي، على الشعوب ان تناضل سوية في سبيل السلام العالمي . الآن، اذا ما بدأت الحرب لن يبقى احد بمنأى عنها. في احد اللقاءات الاخيرة مع ادباء امريكيين، حيث تكرر ايضا اللوم بسبب " طغيان" موضوع الحرب في أدبنا، قلت : اذا لم نناضل، نحن الادباء ، ولم نقف ضد الحرب فما المعنى من الاحاديث عن الأدب عموما؟ انكم لا توافقونا نظرتنا للعالم ونحن لا نوافقكم نظرتكم. ولكن هذا ليس سببا للصراع المدمر . فلنعد الى تجربة التاريخ المليئة بالمفارقات. (أوليس مفارقة ان تقف بلدان ذات انظمة اجتماعية ـ سياسية متناقضة (اعني بذلك التحالف المعادى للهتلرية بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة وبريطانيا) جنبا الى جنب ضد الفاشية ، ان مصير البشرية يستحق التفكير بذلك من جديد . التاريخ شيء موضوعي. اما المؤرخون فيكونون احيانا غير . موضوعيين ....

==========

ـ ما هو اسهامكم الشخصي في " اكليل المجد " ؟

==========

ـ انني اتحمل مسؤولية المجلد المكرس لمعركة ستالينغراد ،وقدمت يومياتي الحربية بعنوان : " دفتر بدء العمل به في ضواحي ستالينغراد " ـ بدون تصليحات ، كما كتب انذاك .

==========

ـ قاتلتم هناك ؟

==========

ـ نعم ، كنت اقود سرية هاون .

Digitized by Birzeit University Library

رابطة التشكيليين الفلسطينيين في الضفة والقطاع
آمال وطموحات

بقلم : الفنان كريم دبـــاح

افتتحت رابطة التشكيليين الفلسطينيين في العاشر من الشهر الجاري (١٠ / ٤ / ٨٥) "معرض الربيع الفلسطيني" في قاعة الحكواتي بالقدس، وقد شارك في هذا المعرض حوالي خمسين فنانا فلسطينيا من الضفة والقطاع والجليل ... وكانت الرابطة قد اقامت قبل ذلك (٢٩ / ٨٥/٣) معرض يوم الارض في الناصرة .. وقبله المعرض الجوال المشترك للفنانين الفلسطينيين والاسرائيليين التقدميين الذي تنقل من تل ابيب الى الناصرة فالرامة والقدس

لوحة الفنان هاشم كلوب في معرض الربيع

Digitized by Birzeit University Library

وحيفا وكيرم شالوم داخل الخط الاخضر ...(١) وتستعد الرابطة حاليا لاقامة سلسلة من المعارض الفردية والجماعية في الداخل والخـــارج ...

وقد رافق هذا النشاط الابداعي للفنانين الفلسطينيين، المزيد من اهتمام الصحافة والرأى العام بالفن التشكيلي الفلسطيني . ويكفي الاشارة الى ان قاعة الحكواتي كانت قد غصت ، على رحبها ، بمئات المدعوين يوم افتتاح المعرض الفلسطيني الاسرائيلي المشترك ويوم افتتاح معرض الربيع حيث استقبل الحضور بالتصفيق الشديد اعلان نتائج لجنـــة التحكيـــــم ....(٢)

ويمكن القول دون مبالغة ، بأن الجهد الذى بذله الفنانون الفلسطينيون في الضفة والقطاع طيلة السنوات العشر الاخيرة، بدأ يعطي ثماره، لقد اصبحت الحركة التشكيلية حقيقة لا يمكن لأى مهتم بالثقافة الفلسطينية، الآ ان يوليها ما تستحق من اهميـــة ...

ولعله من المناسب، في هذه العجالة، تحديد الصفات الاساسية التي تميز المسيرة التشكيلية في الارض المحتلـــــة :ـ

- ان الحركة التشكيلية، في الضفة والقطاع خاصة، والتي تقودها رابطة التشكيليين هي جزء لايتجزأ من الفن الفلسطيني في الداخل والخارج .. وقد التزم الفنانون بالقضية المركزية للشعب الفلسطيني مستلهمين وعاكسين نضاله ومعاناتـــــه .
- اهتم الفنانون الفلسطينيون بالضفة والقطاع بالتراث الفلسطيني من تطريز وفنون تطبيقية وعمارة محلية، محاولين دمج هذه العناصر العينية بروح العصر ... بحيث يكون فنهم فلسطينيـــا فـــي الشكـــل وانسانيا في المحتـــوى ....
- رفض الفنانون الفلسطينيون، من خلال المعرض المشترك الثاني مع الفنانين الاسرائيليين التقدميين بشكل خاص، فكرة التقوقع والانغلاق على الذات .. وفضلوا الطريق الصعب، اى منازلة الاعلام العنصرى في عقر داره، على الرغم من الاضطهاد القومي والتمييز اللذين يمارسهما الاحتلال ضد كل ما هو فلسطيني .. وابدى الفنانون الفلسطينيون في الضفة والقطاع موقفا مفعما بروح المسؤولية عندما تعاونوا مع كافة القوى المعادية للاحتلال والعنصرية في اسرائيـــــل (٣).
- في الاشهر الاخيرة سرّعت الحركة التشكيلية في الضفة والقطاع ـ بقيادة الهيئة الادارية الحالية للرابطة ـ من خطواتها واستطاعت ان تحقق انجازات هامة عددها الكتيب الذى اصدرته الرابطة بمناسبة افتتاح معرض الربيع المذكور آنفا .. ومن هذه الانجازات المعارض الشخصية والمشتركة والبدء بتوثيق المعارض واعمال الفنانين وانشطتهم المختلفـــــة .
- استطاعت الحركة التشكيلية، بامكانياتها الخاصة ،ان تنبذ كـــل مـــن حـــاول او

Digitized by Birzeit University Library

يحاول التسلق على اكتافها او ابتزازها او احرازّ مكاسب مادية او معنوية ضيقة .. وفي نفس الوقت فقد رفضت الهيئة الادارية الانجرار وراء المهاترات في الصحافة ...

● حافظت الحركة التشكيلية في الضفة والقطاع على وحدتها التي شكلت المنطلق لاقامة المعارض وتحقيق منجزاتها الاساسية .. واعتبرت الهيئة الادارية بأن للحركة التشكيلية التي تشكل جزءًا هاما من الثقافة الفلسطينية، خصوصيتها .. ولا يجوز بالتالي اقحامها في المناورات التي تجرى هذه الايـــــام .

● بالرغم من كل ما تقدم فلا بد من الاشارة بأن الحركة التشكيلية ما تزال في بداية الطريق وان العفوية ما تزال تؤطر جوانب عديدة من انشطتها .. صحيح ان الرابطة وهيئتها الادارية كانت قد عملت باخلاص ونكران ذات ، وما تزال تعمل الكثير من اجل تجاوز النشاط الموسمي وردود الفعل الآنية .. ولكن مهمات ومشاريع كثيرة ما تزال بانتظار الجهود المشتركة للهيئتين الادارية والعامة في الرابطـــــة ...

وعلى سبيل المثال لا الحصر فمن المهم تجاوز العامل التسجيلي في ابداع الفنانين والغوص في جوهر الهوية الفلسطينية ودراسة اشكالات هذه الهوية وابعادها الاجتماعية والطبقية . ولا بد كذلك من غربلة الاعمال التشكيلية قبل عرضها وتفضيل الكيف على الكم

ولا بد من الابتعاد عن المباشرة في الاساليب والارتقاء الى آفاق فنية جديدة في الشكل والمحتوى .. ولا بد كذلك من العمل الجاد لايجاد نقد تشكيلي في صحافتنا المحلية ... واخيرا وليس آخرا فلا بد من متابعة الاتصال مع الجامعات المحلية حتى تقتنع بضرورة بذل مزيد من الاهتمام بالفنون والاقدام على افتتاح كلية للفنـون الجميلـــــة ....

لوحة الفنان ابراهيم المزين فـــي معـرض الربيـــع

Digitized by Birzeit University Library

المراجـــــــع:

١) كان عنوان المعرض المشترك :" ضد الاحتلال ومن اجل حرية الفنان"

٢) تكونت لجنة التحكيم من : الفنانة نهيل بشارة من القدس،المهندس ابراهيم الدقاق، نقيب المهندسين ورئيس الملتقى الفكرى العربي بالقدس، وفيصل الحسيني رئيس جمعية الدراسات العربية بالقدس، والدكتور انيس القاق المدير الادارى لمسرح الحكواتي والاستاذ عبد الحميد طقش من خان يونس والاستاذ عبد الله حامد ابو العطا من غزة، ورئيس رابطة التشكيليين الفنان نبيل عناني، وكانت نتائج التحكيم كما يلي : الجائزة الاولى للفنان سليمان منصور ومقدارها مائة دينار، على لوحته " مظاهرة" المنشورة على غلاف هذا العدد . الجائزة الثانية لكل من فتحي غبن (قلعة البوفور ومنشورة في هذا العدد) وجواد ابراهيم ، والجائزة الثالثة ومقدارها مائة دينار توزعت بين تيسير بركات وصقرالقتيل وكريم دبـــــاح .

٣) يكفي الاشارة في هذا المجال للحقائق التاليـــة :

أ) رفض التلفزيون الاسرائيلي اجراء مقابلة كان قد اتفق عليها مع الفنانيين الفلسطينيين بعد ان استلم "اوامر من فوق" بهذا الخصوص .

ب) هاجمت "غيئولا كوهين" ، ممثلة " حركة هتحيا" العنصرية بالكنيست المعرض المشترك والفنانيين الفلسطينيين .

ج) هاجم "افيدوف" نائب رئيس الكنيست المعرض المشترك اثناء افتتاحة بحيفا وقام مع بعض العنصريين بتحطيم لوحتين في المعرض وجرى فيما بعد بحث هذا الامر في الكنيست وطالب بناء على ذلك، ممثلون من مبام والجبهة الديموقراطية للسلام والمساواة سحب الثقة من "أفيدوف" كنائب لرئيس الكنيســـــت".

د) كتبت في الصحافة الاسرائيلية والعربية ما يزيد على خمسة وعشرين مقالة عن المعرض المشتـــــرك .

Digitized by Birzeit University Library

إتحادات الشبيبة الشيوعية
معلومات موجزة

بمناسبة قرب انعقاد المهرجان الثاني عشر للشباب العالمي الذى سيعقد في آواخر تموز واوائل آب من هذا العام تحت شعار " من اجل السلام والتضامن الاممي" تواصل الكاتب ما بدأته في العدد الستين منها نشر لمحات للتعريف ببعض اتحادات الشبيبة الديموقراطية العالمية. هذا ويضم اتحاد الشباب الديموقراطي في عضويته تنظيمات اكثر من ١٤٢ دولة . ويعقد مؤتمره الذى يعتبر أعلى هيئة كل اربع سنوات مرة وينتخب المؤتمر اعضاء اللجنة التنفيذية التي تقوم بقيادة العمل بين مؤتمرين وتنتخب اللجنة التنفيذية السكرتارية ورئيس وسكرتير الاتحاد ومقر الاتحاد هو مدينة بودابست عاصمة جمهورية هنغاريا الاشتراكية .

"الكاتب"

اتحاد الشبيبة الالمانية الحرة في جمهورية المانيا الديموقراطية

==========

اتحاد الشبيبة الالمانية الحرة ـ منظمة جماهيرية اشتراكية موحدة مستقلة تضم ٢ر٣ مليون عضو، اى اكثر من ٥٧ بالمئة من شبيبة المانيا الديموقراطية بين سن الرابعة عشرة والخامسة والعشرين . يعمل ٥ر٧٥ بالمئة من اعضاء الاتحاد في الاقتصاد الوطني، والباقون ـ طلاب وتلاميذ .

Digitized by Birzeit University Library

تأسس الاتحاد في ٧ ادار (مارس) ١٩٤٦ على اساس لجان الشبيبة المعادية للفاشية التي تشكلت عام ١٩٤٥ اثر تحرير الشعب الالماني من الفاشية ويتابع افضل تقاليد حركة الشبيبة العمالية الالمانية التي ولدت في الثمانينات من القرن التاسع عشـــر .

نشأ الاتحاد كمنظمة موحدة للجيل الفتي بكامله. ومع كونه غير حزبي، فانه يهتدي في نشاطه بالقرارات الاساسية للحزب الاشتراكي الالماني الموحد، لان السياسة التي ينتهجها سياسة السلام والاشتراكية والاهتمام برفاهية الشعب، تستجيب لمثل الشبيبة وتفتح امامها آفاقا رحبة. والحزب من جهته يطالب اعضاءه الشباب المشاركة بنشاط في اعمال الاتحاد . ويشكل اعضاء الحزب والمرشحون لعضويته ٢٣ بالمئة من العاملين في مناصب منتخبة و١٢ بالمئة من اعضاء الاتحـاد الاعتياديـيـــــن .

وعلى مدى ٣٥ عاما يشارك الاتحاد مشاركة مباشرة في النشاط التشريعي وفي توجيه سلطة الدولة في الجمهورية. فهو يتمثل في مجلس الشعب بكتلته الخاصة التي تضم ٤٠ نائبا . ويشارك ٣٠ الف نائب عن اتحاد الشبيبة الالمانية الحرة في عمل الممثليات الشعبية المحلية على جميع المستويات. وينتمي الاتحاد الى الحلف الديموقراطي للاحزاب والمنظمات الجماهيرية ويتعاون معها ، وكذلك مع المنظمات والاتحادات الاخرى في اطار الجبهة الوطنية لجمهورية المانيا الديموقراطيـــــة .

ويرى الاتحاد مهمته الرئيسية في تربية الشبان والشابات ليكونوا اشتراكيين واعين طبقيا يشاركون مشاركة نشيطة، بقيادة الطبقة العاملة وحزبها الماركسي اللينيني، في بناء المجتمع الاشتراكي المتطور في جمهورية المانيا الديموقراطية. ويعبئ العمال والفلاحين التعاونيين الشباب لتحقيق المؤشرات الاقتصادية المثلى ، ويدفع التلاميذ والطلاب والعلماء والشباب لتحقيق نتائج عالية في الدراسة والعمل العلمي، ويساهم في تعزيز الروح الكفاحية العالية لدى الجنود والضباط الشباب، ويؤمن للشباب امكان مزاولة الرياضة والسياحة ويعرفهم بالقيم الثقافية ، ويساعدهم على قضاء اوقات الفراغ بصورة عقلانية وغنية المضمون .

ويوجه الاتحاد جهود الشباب نحو حل المهام الاقتصادية الاجتماعية الأساسية. وقد اشرف عام ١٩٨٣ على ٣١١ ١٠٣ مرفقا من مرافق الاقتصاد الوطني ، بما فيها مرافق هامة كأنبوب الغاز من الاتحاد السوفييتي الى اوروبا الغربية ، الذى يعمل في بنائه ٣٤٠٠ عضو من اعضاء الاتحاد . وفي البلاد ٣٤٩ ٤٢ فريق عمل للشباب تضم حوالي نصف مليون عضو.

ويتحمل الاتحاد مسؤولية خاصة ازاء منظمة "ارنست تيلمان" للرواد التي تضم مليوني تلميذ بين سن السادسة والرابعـة عشـــرة .

وعلى الصعيد العالمي يمارس الاتحاد سياسة خارجية اشتراكية ، سياسة السلام والتضامن

Digitized by Birzeit University Library

مع الشعوب المناضلة . ويقيم علاقات مع اكثر من ٤٠٠ منظمة شبابية وطلابية من ١٠٠ بلد ونيف، وقد استقبل في عاصمة جمهورية المانيا الديموقراطية المشاركين في مهرجاني الشباب والطلاب العالميين الثالث والعاشر . وجرى في برلين ايضا المهرجان العاشر لاتحاد الشباب الديموقراطي العالمي والمؤتمر الثالث عشر لاتحاد الطلاب العالمي .

ويملك اتحاد الشبيبة الألمانية الحرة ومنظمة "ارنست تيلمان" للرواد ثلاث دور للنشر تصدر، بالاضافة للكتب العديدة، ١٥ صحيفة ومجلة للشباب يزيد مجموع نسخها على ٧ ملايين نسخة. والصحيفة المركزية للاتحاد هي " يونجه فيلت" (عالم الشباب" ،وهي الصحيفة اليومية الثانية في جمهورية المانيا الديموقراطية من حيث عدد نسخها . وتعتمد المنظمتان في تمويلها على اشتراكات الاعضاء ودخل دور النشر .

علم اتحاد الشبيبة الالمانية الحرة عبارة عن قطعة قماش ذات لون ازرق تحمل احرف FDJ على خلفية لشمس مشرقة . تحية اعضاء الاتحاد ـ " فرويند شافت) (صداقة).

اتحـــاد الشبـــاب السودانـــــي

==========

اتحاد الشباب السوداني ـ منظمة جماهيرية للشباب تضم في صفوفها العمال والفلاحين الشباب وممثلي المثقفين بين سن الثامنة عشرة والخامسة والثلاثين .

يعمل الاتحاد تحت قيادة الحزب الشيوعي السوداني، مستندا الى خلايـــاه فـــي المؤسسات والنوادى والجمعيات المختلفة وفي الاحياء السكنية في المدن والقرى وتقام فروع الاتحاد بواسطة المنظمات الحزبية. وهيئته القيادية العليا ـ السكرتارية المركزية تعمل بصورة سرية في اتصال وثيق مع سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني . وهي تنسق عمل الفروع داخل البلاد وتقيم الصلات الدوليـــة .

تأسس اتحاد الشباب السوداني عام ١٩٥٢ في مرحلة النهوض العاصف لحركة التحرر الوطني المعادية للاستعمار، التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية. ويعود الفضل في قيامه للحزب الشيوعي السوداني (تأسس عام ١٩٤٦) ، الذى اتبع باتساق نهج تنظيم جميع قوى المجتمع الحية للنضال ضد الاستعمار البريطاني ومن اجل التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي نشأ الاتحاد كمنظمة مستقلة شعبية جماهيرية مستقلة تدافع عن حقوق الشباب في النشاط السياسي والاجتماعي وتضع هدفاً تعبئة الجيل الشاب للنضال المشترك مع القوى الثورية والديموقراطية الاخرى في البلاد (النقابات، اتحادات الفلاحين، اتحاد النساء، اتحاد

Digitized by Birzeit University Library

الطلاب وغيرها) من اجل التحولات الاجتاعية التقدمية وفي سبيل حياة افضل .

في الفترات القصيرة التي شهدت فيها البلاد نظما ديموقراطية ، تمكن الاتحاد من انجاز الكثير في هذا الاتجاه. فقام بعمل كبير لتطوير الرياضة والثقافة الوطنية، وبنى المدارس ،وانشأ حلقات محو الامية ،ونظم الشباب لشق الطرق والاقنية وتشجير الشوارع. وأدى الاتحاد قسطا كبيرا في تطوير الرعاية الطبية الشعبية . فانشأ المراكز الطبية في مختلف انحاء البلاد ، حيث كان يجرى تقديم المساعدة الطبية المجانية، وهذه المراكز ما زالت قائمة حتى الان .

حتى المؤتمر الاخير الذى انعقد في ربيع عام ١٩٧١ ، كان الاتحاد يضم في صفوفه اكثر من ٧٠ الف عضو .

في صيف العام نفسه تعزز نفوذ القوى اليمينية المعادية للثورة في نظام الحكم ، واقرت قوانين لاعادة تنظيم المنظمات الديموقراطية. وكان الهدف منها فرض قيادات انتهازية عليها وافراغ نشاطها من محتواه التقدمي وحرمانها من الاستقلال ، ومن ثم دمجها بالاتحادات الخاضعة للاتحاد الاشتراكي السوداني الحاكم . وانشأ هذا الحزب منظمة رسمية للشبيبة هي اتحاد شبيبة السودان ، الذى عينت السلطات قيادته . ولكن هذا الاتحاد لم يتمكن من الحصول على اى تأييد جماهيرى وليس له منظمات قاعدية لا في المدن ولا في الريف .

ولكن في ظروف انعدام الديموقراطية الكامل في البلاد تمكن اتحاد الشباب السوداني من القيام بعمل نشيط مستخدما كل الفرص العلنية. ويحظى الاتحاد بنفوذ كبير . وهو يساهم في رص صفوف الشباب وجذبهم الى الحركة الشعبية ضد نظام الحكم ، ويواجه امزجة اليأس واللامبالاة التي تبثها السلطات ويدعم الروح الثورية ، معتبرا الجيل الفتي احتياطيا للحركة التقدمية في البلاد .

توجد للاتحاد فروع في كل مدن السودان وقراه. وينشر اعضاؤه في النوادى المحاضرات المسجلة على اشرطة حول مواضيع سياسية واجتماعية وأدبية ، ويوزعون نشرتهم الدورية " الشبيبة " ويعملون في الجمعيات الرياضية والمسرحية وفي اتحادات الكتاب ورجال الفن

ويشارك الاتحاد مشاركة نشيطة في حركة الشبيبة العالمية ،منطلقا من مواقع صلبة معادية للامبريالية ، ويدعم اعمال التضامن العالمية مع شعوب افريقيا والشرق العربي وآسيا وامريكا اللاتينية ، ويدافع بحزم عن السلام . وقد انتخب الاتحاد نائبا لرئيس اتحاد الشباب الديموقراطي العالمي. وبالرغم من الظروف الدكتاتورية الصعبة شاركت وفود الاتحاد منذ تأسيسه في جميع مهرجانات الشباب والطلاب العالمية، معززة صلات الاتحاد مع منظمات الشباب في البلدان الاخرى .

Digitized by Birzeit University Library

اتحـــاد الشبيبـــة الشيوعيـــة فـــي بريطانيـــا

تأسس اتحاد الشبيبة الشيوعية في بريطانيا عام ١٩٢١ ،ويضم في صفوفه العمال وتلاميذ الصفوف العليا والطلاب والشباب العاطلين عن العمل بين سن السادسة عشرة والسادســة والعشريـــن .

والمؤتمر اعلى هيئة للاتحاد ، وينعقد مرة كل عامين. وقد عقد المؤتمر الاخير، الرابع والثلاثون عام ١٩٨٣. ويوجه المجلس العام نشاط الاتحاد في الفترة بين مؤتمرين . وللاتحاد صحيفة تنطق باسمه هي مجلـة " تشيلينـــج ".

ان اهداف الكومسومول البريطاني ومهامه كما يحددها نظامه الداخلي هي جذب الشباب الى جانب افكار الاشتراكية والشيوعية وتوحيدهم في النضال من اجل بناء الاشتراكية في بريطانيا . ويدعو الاتحاد الى المساواة الشاملة بغض النظر عن العرق واللون والدين، والى السلام والصداقة بين شبيبة البلدان كافـــة .

وتتشكل المنظمات القاعدية للكومسومول البريطاني في الاحياء السكنية والمؤسسات والمدارس والكليات. وينظم اعضاؤها المحاضرات والاحاديث والنقاشات والامسيات ، وينشرون الادب الماركسي ويصدرون المناشير والكراريـــس الخ .

وضع الكومسموليون البريطانيون في مؤتمرهم الاخير هدف تعزيز المنظمات القاعدية والمساهمة من خلالها في رَص صفوف جميع القوى اليسارية داخل حركة الشبيبة. واكد المؤتمر كذلك ضرورة تشديد النضال من اجل تحسين الوضع الاقتصادي للشباب ،وضد البطالة المتزايدة التي تصيبهم بشدة. ويقف الاتحاد ضد تقليص النفقات المخصصة للحاجات الاجتماعية، ويناضل من اجل الحق في التعليم ورفع المهارات وتحسين امكانات الراحة الثقافية ومزاولة الرياضة. ويدين سياسة الامبريالية البريطانية في ايرلندا الشمالية والقوانين العنصرية لحكومة المحافظين ازاء السكان غير البيض ،ويدعم حق شعبي سكوتلاندا وويلز في تقرير المصيـــــر .

ويتخذ الاتحاد مواقف صلبة مناهضة للحرب. ويناضل ضد نشر السلاح الامريكي النووي في الاراضي البريطانية ،ومن اجل انسحاب بريطانيا من حلف شمالي الاطلسي وتقليص النفقات العسكرية، ويؤيد فكرة تحويل اوروبا الى منطقة خالية من السلاح النووي ويدعم سياسة التعايش السلمـــي .

Digitized by Birzeit University Library

اتحـــاد الشبيبـــة الديمتروفـــي

اتحاد الشبيبة الشيوعي الديمتروفي منظمة اجتماعية ـ سياسية جماهيرية مستقلة لشبيبة بلغارية . وهو يعمل باشراف الحزب الشيوعي البلغاري ، باعتباره احتياطيا لـــه .

يعد الكومسومول الديمتروفي الذى تأسس في عام ١٩٤٦، وريثا ومواصلا للاعمال والتقاليد الثورية لاتحاد الشبيبة الاشتراكية الديموقراطية العمالية (تأسس عام ١٩١٢) ورابطة الشبيبة الشيوعية البلغارية (تأسس عام ١٩١٩ واتحاد الشبيبة العمالية (تأسس عـــام ١٩٢٨).

يضم الاتحاد الان في صفوفه مليون ونصف مليون عضو، ويعمل ٨٣ في المئة منهم في الاقتصاد الوطني . يقود الاتحاد نشاط منظمة جيورجي ديمتروف للرواد " سبتمفريتشي" (أطفـال سبتمبـــر ").

يرى الاتحاد مهمته الاولى في العمل على تكوين النظرة الماركسية ـ اللينينية الى العالم والموقف النشيط من الحياة لدى الشباب والشابات البلغاريين. وهو يقوم بتربية الشبيبة بروح التقاليد الثورية والعمالية للحزب والشعب ، وبغرس الموقف الطبقي الحزبي من ظواهر الحياة الاجتماعية في وعي الجيل الصاعد ، وباعداد مواطنين متطورين تطورا شاملا وبنـــاة للاشتراكية والشيوعية مخلصين ومتفانيـــن .

والاتحاد يربط التربية الوطنية بالتربية الاممية بصورة وثيقة ، اذ يربي الكومسومول الجيل الفتي بروح الاممية البروليتارية والتضامن مع الشعوب التي تناضل من اجل حريتها والاستقلال الوطني. فنشاط الاتحاد على الصعيد الدولي يهدف الى توطيد وحدة الحركة الديموقراطية العالمية وتلاحمها والصداقة والتعاون مع الفتيان والفتيات في البلدان الاشتراكية والشبيبة التقدمية في العالم. ويسبغ الكومسومول الديمتروفي اهمية كبيرة على تعزيز العلاقات الودية مع الاتحاد السوفييتي شعبا وشبيبة وعلى توسيع العلاقات الاخوية مع اتحاد الشبيبة الشيوعية اللينيني لعموم الاتحاد السوفييتي (الكومسومول اللينينـــي).

ان المركزية الديموقراطية هي مبدأ قيادى لبناء الاتحاد التنظيمي. ويتقيد الاتحاد في عمله بالقواعد اللينينية للقيادة الجماعية تقيدا صارما . ويطور الديموقراطية الداخلية والمبادرة الواسعة والنقد والنقد الذاتي تطويرا تامـــا .

يقام الكومسومول على اساس المبدأ الاقليمي ـ الانتاجي ، اذ تنشأ المنظمات القاعدية في اماكن العمل والدراسة والسكن للكومسوموليين . وللاتحاد اليوم (٣٨٦٠٠) منظمة قاعدية. واعلى هيئة للاتحاد هي المؤتمر. وقد انعقد مؤتمره الاخير ، الرابع عشر ، في عام ١٩٨٢.

Digitized by Birzeit University Library

ونقود اللجنة المركزية التي تنتخب المكتب والامانة العامة من بين اعضائها، عمل الاتحاد في الفترة بين مؤتمريـــــن .

يصدر اتحاد الشبيبة الديمتروفي ٢٧ مطبوعا ونشرة، وصحيفته المركزية هي " نرودنا ملاديـــــج ".

تتكون ميزانية الاتحاد من اشتراكات الاعضاء وعوائد مطبوعاته ونشراته والموارد التي يحصل عليها مقابل تطبيق المبادرات العملية للشبيبـــــة .

رابطـــة الشبيبـــة الشيوعيـــة فـــي الولايـــات المتحـــدة الامريكيـــة

==========

منظمة ماركسية لينينية اجتماعية للشباب تعمل تحت قيادة الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الامريكية. انعقد مؤتمرها التأسيسي في ٢٩ نيسان (ابريل) ١ ايار (مايو ١٩٨٣ بمبادرة من نشطاء اتحاد العمال الشباب من اجل التحرير (تأسس عام ١٩٧٠) والحزب الشيوعي . تضم في صفوفها الان اكثر من الف عضو من العمال الشباب والشبيبة العاطلين عن العمل (اكثر من ٥٠ بالمئة من الاعضاء)، وتلاميذ المدارس المتوسطة والطلاب والكثير من اعضاء الرابطة يمثلون الاقليات القومية التي تتعرض للتمييز القومي والعنصري (الامريكيون من اصل افريقي والهنود والامريكيون اللاتينيون والمنحدرون من اصل آسيوي). تقبل الرابطة في صفوفها الشبان والشابات من سن الرابعة عشرة و٦٠ بالمئة من اعضائها هم دون سن الخامسة والعشريـــــن .

وتعتبر الرابطة احدى مهماتها الاساسية تعزيز وحدة الجيل الفتي، واقامة جبهة واسعة للشباب. وقد تحقق الكثير في هذا الاتجاه في عام ١٩٨٤ في اثناء الحملة الانتخابية، اذ طرحت الرابطة برنامجا للاعمال المشتركة الرامية الى الحاق الهزيمة بريغان والريغانية، ودعت الامريكيين الشباب الى النضال ضد خطر الحرب النووية المتصاعد وسياسة المواجهة ومن اجل تقليص النفقات العسكرية وتوفير فرص عمل جديدة وضمان الحقوق المدنية ورفع نوعية التعليم وتنفيذ البرامج الاجتماعية في صالح الشعب وتقليص ارباح الشركـــات .

واذ تعتبر رابطة الشبيبة الشيوعية الدفاع عن السلام مهمة العصر الرئيسية، فانها تتعاون مع المنظمات الاخرى في التحضير للمظاهرات الكبرى المناهضة للحرب وتنظمها .

وتعنى الرابطة بتربية الجيل الفتي بما ينسجم والافكار الماركسية اللينينية والاممية، مركزة الاهتمام بصورة خاصة على ابتكار اشكال وطرق للدعاية لهذه الافكار تكون في متناول الشبيبة . ويجرى العمل السياسي ـ التربوي بصورة متوازية مع العمل الثقافي ـ الجماهيري والرياضي. فتنظم المنظمات القاعدية حفلات راقصة ورحلات الى المسارح ونزهات في الهواء الطلق ولقاءات مع الفنانين وحفلات للفرق الفنية الشهيرة ومباريات رياضية، وتشكل مجموعات وفقا لاهتمامات افرادهـــــا .

Digitized by Birzeit University Library

وانطلا قا من مواقع الاممية البروليتارية تناضل الرابطة ضد معاداة السوفييت والشيوعية وضد كل مظاهر التفرد القومي. وتشارك الرابطة بنشاط في حملات التضامن مع شعوب امريكا اللاتينية وناميبيا وجمهورية جنوب افريقيا، وتقيم صلات واسعة مع منظمات الشبيبة الديموقراطية في العالم ، وبالدرجة الاولى مع شبيبة الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى، وهي عضو في اتحاد الشباب الديموقراطي العالمي .

وللرابطة صحيفة تنطق باسمها هي " ديناميك" التي يطبع منها ١٩ ألف نسخة. وقد قررت الشبيبة الشيوعية في الولايات المتحدة رفع هذا الرقم الى ٥٠ ألف نسخة حتى نهاية ١٩٨٤.

الشبيبة الشيوعية النمساوية

تضم المنظمة في صفوفها العمال والمستخدمين الشباب وطلبة المدارس المتوسطة والمدارس المهنية ـ التقنية الذى تقع اعمارهم بين ١٥ ـ ١٩ عاما . ولطلبة مؤسسات التعليم العالي منظمة اخرى، هي اتحاد الطلبة الشيوعي. فينخرط اعضاء منظمة الشبيبة الشيوعية النمساوية من تلاميذ المدارس بعد التحاقهم بالمعاهد العليا في صفوفه . فهذا التقسيم الى منظمة عمالية ومنظمة طلابية يعتبر تقليدا في النمسا . وثمة اتحاد تقدمي " بلد الاطفال ـ الحرس الفتي" لأطفال العمال . وتتعاون منظمة الشبيبة الشيوعيه النمساوية مع هاتين المنظمتين تعاونا وثيقا .

لقد تأسست المنظمة في عام ١٩٧٠ على يد نشطاء اتحاد الشبيبة النمساوية الحرة، وهي اتحاد ديموقراطي معادٍ للفاشية حل في نهاية الستينات . وبالرغم من قلة عدد اعضائها تضطلع بدور هام في حياة الجيل الفتي للنمسا . وترى احدى مهماتها المركزية في تسليح الشباب بوعي ثورى طبقي وتربيتهم تربية وطنية واممية .

واذ تدافع المنظمة بثبات عن حقوق الجيل الفتي تزج الفتيان والفتيات في النضال من اجل تحسين وضعهم الاقتصادى والاجتماعي وضد البطالة وعواقبها السلبية. وتشارك المنظمة بنشاط في الحركة المناهضة للحرب والامريالية، وتساهم في احباط مكائد الفاشيين الجدد . وتشترك في حملات التضامن مع الشعوب التي تخوض النضال في سبيل التحرر الوطني والاجتماعي . وتتعاون مع منظمات الشبيبة الاخرى في البلاد حيث تقوم باستمرار بنشاطات مشتركة مع الشبيبة الاشتراكية والكاثوليكية والنقابية، وتكون طرفا في بعض اعمال دائرة الشبيبة النمساوية الفيدرالية .

والمؤتمر الفيدرالي الذى ينتخب المجلس الفيدرالي والامانة العامة هو اعلى هيئة للمنظمة ، وصحيفتها المركزية هي مجلة " اكسبلوزيف " الشهرية التي تصدر اعدادا خاصة "اكسبلوزيف ـ اكسترا " تتوجه الى جمهور القراء في المدارس المهنية ـ التقنية ومنظمات المحافظات . وتصدر بعض المنظمات القاعدية مطبوعات دورية محلية واقليمية ، وكذلك نشرات وملصقات ومواد تحريضية اخرى .

Digitized by Birzeit University Library

ناقد وثلاثة شعراء

قام مندوب " الكاتب " باجراء مقابلة مع ثلاثة من شعراء الارض المحتلة هم خليل توما، عبد الناصر صالح، عبد اللطيف عقل والناقد عادل الاسطة حول الحركة الشعرية وأسباب تراجعها وانخفاض المستوى النقدي في الحركة الثقافية ومكانة الشعراء الشباب .

==========

ما هي الاسباب الكامنة وراء تراجع الحركة الشعرية في الارض المحتلة ؟

==========

خليل توما

• ان ما ينطبق على الشعر ينطبق عموما على الحركة الادبية الا ان اطلاق الحكم بالتراجع او التقدم لن يكون دقيقا وسيظل خاضعا لتقديرات فردية ما لم يستند الى دراسة نقدية مقارنة تقدم الأمثلة والبراهين لفترات مختلفة . هذا من باب الاخلاص للحقيقة. وانا اعتقد ان هناك تراجعا بالفعل.

فلو جاز لي ان اقسم الفترة السابقة منذ الاحتلال وحتى الان الى بقايا الستينات أولاً والسبعينات ثانيا وماتوفر من الثمانينات حتى الآن ثالثا لقلت ان الشعر في الاولى كان يحاول النهوض اثر اللكمة القاسية التي سددت الى رأس الوطن. واخذ يصحو من الاحلام الرومانسية والهروبية التي سكنته طوال سنوات ما بعد النكبة الاولى، ولقد اثبت ان جذوره حاضرة وضاربة في اعماق حضارتنا، اذ لم ينقض سوى وقت قصير حتى اسقطت شجرته اوراقها القديمة وتبرعمت على جذوعه الخضرة المتجددة واطلت السبعينات لتزين الفراغ باغصان جديدة تشابكت مع الاغصان الباسقة المشرئبة من الجليل، وخلال السنوات

Digitized by Birzeit University Library

القليلة الماضية شهد الشعر في المناطق المحتلة توقفا عن النمو، وما انتج خلالها لم يكن على مستوى شعر السبعينات عموما، ويعود ذلك الى عدة اسباب منها في تقديري وعلى رأسها ما تمر به الحركة الوطنية الفلسطينية في الوقت الراهن ،من ازمات ماينترك نتائج سلبية واحباطات لدى الكثيرين وعلينا الاعتراف بذلك صراحة، ففي الوقت الذي اخذت تتبلور فيه حركة المقاومة في الستينات تمكن الشعر من تغيير النهج الانهزامي والذاتي الذي كان يستولي عليه،وفي السبعينات اذ حققت الحركة الوطنية اتساعا واعترافا عالميا بها وتمتعت بقسط من التآلف والوحدة،اخصب الشعر واعطى وتقدم ومنذ الثمانينات اى بعد اتفاقات كامب ديفيدوما اعترى الحركة الوطنية من انقسامات وتشرذم في الداخل والخارج ومن تغييب لوضوح الهدف بمقولات تبريرية انهزامية وما شهدته الساحة الداخلية من احتراب على قيادة المؤسسات وشقها وإلهاء الجماهير بصراعات جانبية والتهالك على شراء الذمم والانصار والتهافت على الكسب الاعلامي الفارغ ، كل ذلك وغيره كثير ترك آثاره على الحركة الثقافية والابداعية عموما وتأثر الشعر بذلك اكثر منه غيره لالتصاقه الشديد بالحدث وتفاعله مباشرة مع الشعور والمشاعر . ان مرحلة كهذه لاتنتج الا ادبا كهذا وان القيادة التي ارتبطت بهذه الاحداث وانغمست في هذه الممارسات هي التي تتحمل الجزء الاكبرمن المسؤولية، يضاف الى ذلك ان الحركة الادبية في الداخل لم تلق التشجيع من هذه القيادة التي يفترض فيها الاهتمام بكل ما يتعلق بشعبها فالاديب هو مقاتل ايضا وغيابه داخل الاسلاك الشائكة يجب ان لا يغيبه عن اهتمامات القيادة انها لم تقدم له الحوافز ولم تنظر اليه الا بمقدار صلاحيته كبوق دعائي لهذا الفصيل او ذاك وضاعت في ظل ذلك الاعتبارات الابداعية .

كما ان قسوة الحياة اليومية في الارض المحتلة واضطرار الاديب الى اقتناص لقمته من بين مخالب الاحتلال ومخالب العديد من المؤسسات التي تضرب حول نفسها اسيجة فئوية قد دفعت الاديب الى الصمت احيانا والى المراءاة او الغموض او الاحباط احيانا اخرى .

خليل توما رئيس اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة .

هل كانت اوضاع الحركة الوطنية الفلسطينية في اسرائيل بأفضل حالا عقب النكبة الاولى حتى تمكنت الحركة الادبية من الترعرع وانضاج شعراء كسميح القاسم ومحمود درويش وتوفيق زياد ؟ كانت هناك ميزات تدعم ما اقول وهو التصاق الحركة الوطنية بالجماهير واحتضانها للادباء ورعايتهم وتوجيههم فاصبحوا جزءا منها فضلا عن وضوح الهدف والنهج الذي سارت عليه .

Digitized by Birzeit University Library

وسبب آخر في توقف نمو الحركة الادبية كان غياب الاطار الذى يضم الكتاب ويفعل الحركة الادبية والثقافية ورغم التقدير للجهود التي بذلت من خلال دائرة الكتاب في الملتقى الفكرى الا ان ذلك لم يَفِ بالمطلوب فالحركة الأدبية تستفيد كثيرا وتنشط في ظل الندوات والمحاضرات والتنافس الابداعي بين الشعراء والكتاب والنقاشات ، ان كل ذلك يحفز الاديب على تحطيم الاحباط الذى تجره الظروف الخاصة والعامة ، كما انه العنصر الاساسي في مقاومة الصدأ الذى قد تصاب به الآلة الابداعية، والدليل على ذلك انه رغم ما اعتور المهرجانين الادبيين اللذين اقامتهما دائرة الكتاب المذكورة من قصورات، تعود الى محدودية التجربة، الا انهما ساهما بفعالية في حث الادباء على الانتاج وبافضل ما يستطيعون، كان هنالك تنافس وتحد ولا يستطيع الاديب الا ان يكون على مستواهما امام الجماهير والا حكم على نفسه بالتوارى عن المسرح الادبي .

وهذا ما نعمل جاهدين من اجله في اتحاد الكتاب الفلسطينيين، فاللقاءات الادبية والندوات والدراسات وحلقات البحث ومواجهة الكتاب بالنقاد كل ذلك يساهم في رأينا في خلق جو أدبي يخرج الاديب من عزلته ويجدد حماسه ويشحن طاقته ، كما ان لقاء الكتاب بالناس يساهم في تعزيز حضور الادب بين الجماهير وتعزيز حضور الجماهير في الانتاج الادبي وهنا ايضا يصلح ان نستشهد بما يمكن ان تحققه الوحدة الوطنية لو وجدت على الساحة الادبية من بعث وحيوية .

ويعبر توقف نمو الشعر او تراجعه عن نفسه ايضا فى صمت الشعراء الاكثر بروزا او تدني انتاجهم كماونوعا، ويعود ذلك الى ما اوردت من اسباب الى جانب سبب آخر وهو ان الظروف المستجدة والمراحل المتطورة بحاجة الى اسلحة جديدة قد يعجز الشاعر عن تطوير ذاته لتلبيتها فنيا وثقافيا ونضاليا ، فمن لا يتطور تخلفه المسيرة ، ومن هنا اهمية عامل التثقيف الذاتي والاطلاع على ابداعات الشعوب الاخرى ودراسة تجاربها ومطالعة نتاجها .

ان الانتماء الى فصيل سياسي يجب ان يكون حافزا على التطور ، لا وسادة يتكيء اليها الاديب ليزاول الثرثرة منتظرا عبارات الثناء ، وعليه ان يستفيد من تجارب الاخرين ويبدأ من حيث انتهى من سبقه وان يستفيد من انتمائه لصقل موهبته الابداعية وتطوير قدراته الفنية لا ان ينجرف الى المهاترات الجانبية التي تفرض نفسها على الساحة وان يجسد بتصرفاته موقعه المتقدم وعيا واحساسا بالمسؤولية .

نعم! امنحوا الشباب لذة المعاناة والألم والتعب لكي يصلوا وحاسبوهم على مطالعاتهم ودراساتهم ووجوههم ومكنوهم من حرية النقاش والرأى واطلبوا منهم الافضل دائما ، ذلك خير وابقى .

عبد الناصر صالح

• الحركة الادبية في الارض المحتلة تعاني ازمة هبوط ، وهذه الازمة ناتجة عن انخفاض مستوى الانتاج الادبي عند بعض الأدباء ،

Digitized by Birzeit University Library

وعدم مواكبتهم لتطور الحركة الثقافية التقدمية العربية، وعدم اطلاعهم على الثقافة العالمية، وفقدانهم لحرارة التجربـــة .

وبما ان الحركة الشعرية في الارض المحتلة هي جزء من الحركة الادبية الأم، فهي تعاني من نفس الازمة : سطحية القصيدة، فراغ المضمون، المباشرة، التقليد، انعدام الرؤيا الشعرية عند بعض الشعراء، وتكرارهم لنفس الموضوع هو دليل قاطع على انعدام ثقافتهم الادبية او قلتها، وهذا يؤثر بالتالي على اعمالهم. فبعض شعرائنا يجترون انفسهم من خلال تحدثهم عن نفس الموضوع في اكثر من قصيدة واكثر من ديوان . فهم لم يبحثوا اشياء جديدة في قصائدهم ، على الرغم من ان هناك تفاصيل يومية كثيرة جديرة بأن يكتبوا عنها ويتطرقوا اليها .فالسقف هو نفس السقف والمناخ هو نفس المناخ، والموضوع هو نفس الموضوع، ولا جديد لديهم .كل مافي الامر

عبد الناصر صالح

انهم يكتبون،وهذه الازمة يعاني منها معظم شعرائنا الشباب في الارض المحتلة. ان ثقافة الشاعر والاديب هي الرافد الاساسي لعملية الابداع الادبي، وهي وقود عملية الابداع، وثقافة الشاعر هي التي تغذي تجربته وتمدها بالنبض والقوة والاستمرار والبقـــاء .

ان انعدام التجربة الشعرية يفقد القصيدة قيمتها ويجردها من محتواها ويجعل القصيدة تدور في حلقة مفرغة ، بحيث تفقد مقوماتها الأساسية كقصيدة مكتملة من الداخل، من حيث البناء والشكل والمضمون . كذلك فان المعاناة ضرورية لكي تكون القصيدة معبرة بالفعل عن وعي الشاعر وعلاقته بقضيته . من هنا فان الثقافة والشعر يهدفان بالدرجة الاولى الى تعميق وعي الانسان بالعالم، واعادة بناء هذا العالم من جديد . وهذا ما جسده الشعراء الفلسطينيون الذين تحد في اشعارهم حرارة التجربة وذروة المعاناة، وادكر منهم على سبيل المثال لا الحصر . على الخليلي، عبد اللطيف عقل، خليل توما اديب رفيق محمود، اسعد الأسعد، وغيرهم من الشعراء الذين ترى في قصائدهم صورا حية وصادقة عن الواقع الفلسطيني تحت الاحتلال والظروف الصعبة المحيطة به . مثل هؤلاء الشعراء يتخذون من الالتزام منهجا وطنيا وثوريا صادقا في التعبير عن آلام وآمال وطموحات الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلـــة .

عبد اللطيـف عقـل

• رغم ان استجابة الأدب، والشعر خاصة، تتأخر موضوعيا عن حدث التراجع بعض الوقت، الا ان التجربة الفلسطينية بعامتها تشهد ومنذ عام ١٩٧٧ تراجعا في مستواها

Digitized by Birzeit University Library

عبد اللطيف عقل

السياسي، ولأن الشعر هو بالتأكيد اكثر الاشكال الادبية حساسية، فانه ظهر عليه هذا التراجع بشكل مؤسف .الى جانب ان الشعر في الارض المحتلة هو الذى خرج اولا الى العالم العربي والعالم من خلال اعمال محمود درويش وسميح القاسم وسالم جبران واميل حبيبي قبل حرب عام ١٩٦٧ وبعدها مباشرة، اى ان الشعر هو العملاق الاول الذى شهده العالم ولذلك فان اى نسبة من الانحسار تؤثر فيه بشكل واضـــح .

وسبب آخر يتعلق بالتلقي، فالجمهور العربي الذى رأى في الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة معادلا نضاليا لهزيمة الانظمة العربية لم يستمر على تلقيه بنفس الحماس، وهناك التشتت الفلسطيني والعربي وضعف الانتاج وضعف النشر، لكن السبب الرئيسي كما ارى يكمن في التراجع السياسي والحصار الثقافي المضروب على حرية التعبير والنشر وان كنت اعتقد ان هناك انحسار عام في الحركة الشعرية العربية بعامة، والشعر على وجه الخصوص بسبب غلبة الاستهلاكية الادبية وانتشار وسائل البلاط السياسي في استقطاب المواهب وتشويهها والتفاعل بين كل هذه العوامل عامل شديد الوضوح .

عـادل الاسطـــة

بالفعل ثمة تراجع في الشعر في الارض المحتلة، فانت تقرأ الصحف والمجلات ولا تكاد تعثر على قصيدة جميلة تدفعك الى اعادة قراءتها ، او تثير الرغبة الكامنة لديك لقراءة الشعر ، ولا ابالغ اذا قلت ان الكثير من الاشعار المنشورة ـ والكثير الكثير ـ يجعلك تصاب باحباط ويدفعك الى التساؤل اذا كانت هناك حركة شعرية ام لا ؟ وقد تحاول ان تسأل نفسك عن الاسباب التي تكمن وراء تراجع الحركة الشعرية، فتصيب تارة وتخطئ طورا لأن الكثيرين من الشعراء يكتبون الشعر وكفى ،دون ان تجد لهم رأيا ما حول الشعـــر تستطيع من خلال قراءة شعرهم بناء عليه اعتقد ان عدم وجود فهم حقيقي لمفهوم الشعر ودوره من الاسباب الحقيقية لتخلـــف الحركة الشعرية .وهناك اسباب اخرى منها ان كثيرين من الشعراء يكتبون الشعر وكفى، ولا يطلعون على نماذج من الشعر العربي او الشعر العالمي تثرى تجربتهم . لن اقول ان الانقطاع عن الحركة الادبية العربية المعاصرة سبب جوهرى، فثمة مسارب يستطيع الكاتب اكتشافها ليثقف نفسه اذ دلف اليهـا .

عـادل الاسطـــه

Digitized by Birzeit University Library

==========

ـ هل هناك علاقة بين الوضع الثقافي العربي العام وما يسمى بالحقبة النفطية؟

==========

عبد الناصر صالـــح

• في الوطن العربي هناك ثقافتان : ثقافة برجوازية وثقافة تقدمية. الثقافة البرجوازية ناتجة عن الطبقة البرجوازية المتسلمة لمقاليد الحكم في الوطن العربي . السلطة الحاكمة لها كتابها ومفكروها ومنظروها وشعراؤها الذين هم شعراء بلاط .

وكثيرا ما تحاول هذه السلطة في الدول العربية، شراء ذمم الكتاب والشعراء واشباه المثقفين الذين لا يحملون فكرا تقدميا وتسخر كتاباتهم لخدمة نظام الحكم، وهذا ما حدث ويحدث في مصر والخليج وفي دول عربية اخرى . فتجد مثلا الكتاب المصريين الذين مجّدوا نظام حكم جمال عبد الناصر ووضعوه في قمة الانظمة التقدمية، ودعوا الى الاشتراكية والديموقراطية والوحدة العربية، هم انفسهم الذين هاجموا هذا النظام وهاجموا الاشتراكية في سنوات حكم السادات وبرروا اتفاقات كامب ديفيد الاستسلامية ودافعوا عنها ، وتجدهم الان، في مصر يدعون الدول العربية لأن تحذوا حذو مصر وتبرم اتفاقات استسلامية مع اسرائيل، ومثل هؤلاء : انيس منصور، موسى صبرى، نجيب محفوظ ، توفيق الحكيم وغيرهم من الكتّاب الذين باعوا انفسهم وباعوا ضمائرهم للسلطة البرجوازية المتخاذلة الحاكمة في مصر، فهم الناطقون بلسان النظام والمدافعون عنه في الصحف والمجلات والندوات والمؤتمرات واللقاءات الصحفية، وهم الذين لعبوا دورا كبيرا في عملية تطبيع العلاقات بين النظام المصرى واسرائيل وما نتج عنها من تطبيع ثقافي رسمـــي .

اذن ، هناك ثقافة رسمية برجوازية هي ثقافة النظام الحاكم في الوطن العربي ، ومن يركبون حصانه، ويتفخون في ابواقه، وينتج عن الثقافة الرسمية هذه ادب رسمي يروج له النظام ويسعى الى انتشاره بين الجماهير الشعبية، وهذا ما يحدث ايضا في دول الخليج العربي، فتجد الشغل الشاغل للكتّاب البرجوازيين هو تأليه النظام وتمجيده ورفعه عن مستوى الاخطاء والشبهات. النفط يتدخل في جميع مجريات الامور الحياتية، وهو الذي يحكم الادب كما يحكم الجماهير، هو الذي يحدد نوعية الادب وموضوعاته ويسمح بانتشاره او يرفضه . النفط في الخليج هو الحاكم، يحكم الشعب ويحكم الادب ويحكم وسائل الانتاج ويحكم العلاقات الاجتماعيـــــة .

ولكن ، على الرغم من كل هذه التناقضات والسياسات القمعية التي تقوم بها السلطة البرجوازية الحاكمة في الوطن العربي ومثقفوها المرتزقة ضد الجماهير الشعبية ومثقفيها وكتابها ، وتعذيبهم واعتقالهم ونفيهم ، بالرغم من ذلك كله، تفرض الثقافة التقدمية وجودها بين الجماهير وتستطيع ان تعبر عن آلام هذه الجماهير ومعاناتها واهدافها وطموحاتها ، ومن رموز هذه الثقافة التقدمية على سبيل المثـال :

محمود امين العالم ، حسين مروة، عبداللطيف اللعبي، الطاهر وطار، الطيب صالح، جيلي

Digitized by Birzeit University Library

عبد الرحمن، محمد براده، محمد بنيس، سميح القاسم، اميل حبيبي، اميل توما، احمد فؤاد نجم وغيرهم من الكتاب والمثقفين الثوريين الذين عانوا الكثير من سياسات القهر والاستغلال والاستبداد والبطش في سجون الانظمة العربية وزنازينها ومعتقلاتها، وفي سجون الاحتلال الاسرائيلي. هؤلاء الكتاب يمثلون بجدارة الثقافة التقدمية في الوطن العربي، والتي تفرز بالتالي أدباً تقدميا نضالياً، يسعى الى تحرير الجماهير العربية من قيود الانظمة والاحتلال، وانشاء بناء اجتماعي ثقافي تقدمي جديد، بدلا من النظام الاجتماعي الثقافي الرجعي السائد. من هذا المنطلق اقول ان الادب التقدمي والشعبي هو الذي ينطق باسم الجماهير الشعبية لكونه نتاج الثقافة التقدميـــة.

ان الانظمة العربية الرجعية تسعى جاهدة وبكل الوسائل لقمع المثقفين الثوريين في الوطن العربي لكون هؤلاء المثقفين يشكلون خطرا حقيقيا على تلك الانظمة، ولكونهم يرفضون الانصياع للنظام وابواقه، ويرفضون بيع ذممهم وضمائرهم واقلامهم، وتسخيرها لصالح النظام وحاشيتـــه.

وخلاصة القول ان المستقبل للثقافة التقدمية وللمثقفين الثوريين وذلك لعجز الانظمة العربية الرجعية ومثقفيها عن تحقيق الاهداف التي قطعتها الانظمة على نفسها لصالح الجماهيـــــر.

عبداللطيف عقـــل

• النفط كارثة العرب المحلية، وقد احتدت هذه المرحلة، فالنفط والاثار المترتبة عليه في المستويات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، عمقت الوعي الزائف بالتغير الاجتماعي، وبوضع المرأة وبالوضع الطبقي في كامل الوطن العربي من المحيط الى الخليج، وان من اشد اخطار النفط انه سمح بتسويق نمط الامير الى خارج منطقة النفط نفسها، وكذلك تسويق نمط الاميرة في مستوى الوعي الزائف بالمرأة العربية عامة والخليجية بمعنى اكثر خصوصية. لقد اتاح النفط، وهو يستعمل بهذه الطريقة الى خلق ثقافة نفطية، ومسرح نفطي ونشر نفطي ووجه الناس (بسبب توجهات فئات النفط الفكرية والسياسية) الى التفنن في الاستهلاك ونتائج استهلاك النمط الغربي الامبريالي، الا يؤدي الى استيراد البضائع بل واسلوب الحياة والتفكير والثقافة فهناك مسؤولية للنفط كبيرة على تزييف الحركة الثقافية وانحرافها وحبذا لو يشغل بعض النقاد انفسهم بدراسة اثر النفط في الحركة الثقافية العربية.

خليـــل تومـــا

• لا تظلم النفط انه انظف من وجوه كثيرين ممن يملكونه فهو خير هذا الوطن المنهوب، وكان يمكن ان يكون مصدرَ رخاء وسعادة وتقدم للجماهير العربية كلها لولا الطبقات الحاكمة من العملاء واللصوص المتكرشين اولئك الذين يتحملون وزر التأخر العربي في كافة المجالات وفي مقدمتها المجال الثقافي، فلتأمين نهبهم يمارسون اعدام الكلمة في بلادهم رجما بالحجارة وهذا هو البند الاول في شريعتهم الجاهلية ثم تنهال البنود الاخرى سهاما على هذا الجسد الكسيح ما بين

Digitized by Birzeit University Library

الاطلسي والخليج. ولتأمين المناخ العام المواتي ضمن الدائرة التي يمر قطرها بآبار بترول الدمام والابار الارتوازية في مستوطنات الغور وجبال الخليل فانهم ومن والاهم واعتاش على فتاتهم يحاولون بما -ملكت ايديهم- ان يحرقوا الكلمة الحرة في العالم العربي ورش الاجواء بالبنزين، هل نجحوا في ذلك ؟ (ان شيئا ما يجرى تحت السطح) والجماهير المسحوقة ينرسخ وعيها لذاتها وتستمر طلائعها في تنظيم صفوفها ومقاومتها

فرغم تكالب الطبقات الحاكمة المستغلة والشركات الاحتكارية الاجنبية والرأسمالية وبقايا الاقطاعيين وتحريمها او تشويهها للتنظيم العمالي النقابي وارتباطها المباشر بالدوائر الامبريالية والسماح لقوات التدخل السريع والعسكر والخبراء الاجانب بمواصلة اغتصاب الوطن العربي، ورغم الحكم البوليسي والمعتقلات ومراكز التعذيب والاغتيالات والاختطاف وتحريم حرية الرأى والتعبير فان الطبقة العاطلة امل المستقبل العربي تنمو عددا وعدة ويتزايد نشاط طلائعها السياسية، والتحاق الطبقات الاخرى من الفلاحين والحرفيين والبرجوازية الصغيرة والمتضررين من الانظمة القائمة بالمعارضة الفاعلة واخذت تعلو (لا) في وجه التسلط والمطالبة بالديموقراطية معلنة رفضها لسياسة الانظمـــة .

لقد صمدت الثقافة الوطنية والتقدمية وتجذرت وتعمدت بالشهادة وهي الان تشق الاسفلت من فوقها وغدا ستظلل الوطن العربي وتضمد جراحـــه .

نعم هناك علاقة بين هذه الحقبة التي تميزت بنهب النفط وثروات الوطن العربي واستغلال وارداته لتكريس التخلف والخضوع للجلادين وبين الوضع الثقافي العام في العالم العربي، فهل من قبيل الصدفة أن آلاف الادمغة العربية لا تجد لها متنفسا على ارض وطنها فتهاجر لتخدم مجتمعات اخرى وهل من المصادفة في شيء ان ٧٠ في المئة من الطلبة العرب الموفدين للدراسة في الخارج لا يعودون الى اوطانهم ،وهل من المصادفة انتشار الامية حتى الان بنسب مخجلة وقلة المكتبات والمسارح ودور الثقافة وتفشي الغيبية والحظر المفروض على تداول الكتب والمجلات التقدمية حتى والعلمية التي تتعارض والافكار السلفية والميتافيزيقية اضافة الى انعدام روح البحث والابداع، وأسر الطاقات الفكرية لتخدم السلاطين باثوابهم المتعددة، انها حقبة مظلمة الا انها تكرست قبل النفط واستمدت جذورها من عصور الظلام العربية وترعرعت في عهد النفط . وعلى عاتق الاقلام الامينة المناضلة التي لا تساوم تقع مسؤولية هائلة ولكن الا ترى معي اننا دخلنا منذ زمن قصير في حقبة جديدة دشنتها المقاومة البطولية للقوى الوطنية في لبنان والتي تمكنت حتى الان من تسجيل انتصارات رائعة كاسقاط اتفاق ١٧ ايار وطرد قوات الناتو من بيروت، والاحتلال من الجنوب ان هذا مؤشر لما سيكون عليه المستقبل العربـــي.

عـــادل الاسطـــــة

● العلاقة موجودة . ولكن الحقبة النفطية بقدر تأثيرها السلبي على الوضع الثقافي العام في العالم العربي اثرت ايجابيا عليها.

Digitized by Birzeit University Library

فهي سلاح ذو حدين ، واستمرت كذلك حتى غزو بيروت عام ١٩٨٢م ، ليساهم الاحتلال في تحطيم القلعة الثقافية الكبيرة الوحيدة في العالم العربي. اقول الوحيدة لأن بيروت كانت منذ عام ١٩٧٠ حتى ١٩٨٢ م المكان الوحيد الذى استطاع احتضان الثقافة والمثقفين. وكانت هذه المدينة المتنفس والمكان الوحيد الذى يستطيع فيه المثقف العربي نشر ما يريد دون ان تدخل اصابع الانظمة في قمع افكاره .

في اثناء سيطرة الحقبة النفطية تراجع مثقفون لدرجة التساقط، ولكن منهم من تمكن من الحفاظ على مبادئهم ، واخلصوا لقضيتهم اولا ولقضية التحرر العربي ثانيا . ولعل حضور الحقبة النفطية كان ضرورة للفرز لأنها لم تترك جانبا للحياد او التخفي .

نلحظ ايضا ان الحقبة النفطية اثرت تأثيرا سلبيا على الوضع الثقافي العربي لأن كثرا من العقول العربية أخذت تعيش في المنفى، في اوروبا مثلا لتكتب من هناك. وهذا له تأثيره السلبي الكبير، فهذه العقول ابتعدت عن مكان الصراع مما سيترك اثره على كتابتها ولو من بعيد ، كما ان كثيرا مما تكتبه لن يصل الى الجماهير العربية، وامام السيل الجارف من سيادة ثقافة النفط فان ما يكتب سيكون تأثيره قليـــلا .

==========

- ما هو رأيك في شعر الشعراء الشبان في الضفة والقطاع ؟

==========

عبد اللطيـف عقـــل

• أنهم الواعدون الحقيقيون بحركة شعرية افضل، وهذا هو دورهم الطبيعي والطليعي، ولكنهم حتى اللحظة، لا يعتبرون الشعر من الهموم الاصيلة والحقيقية لهم، فهم لا يجتهدون بدراسة النماذج الاصيلة ولا يشغلون انفسهم بامتلاك الادوات الفنية المناسبة فيقعون في النثرية المفرطة بدون صورة، او في الصور الكلاسيكية المستهلكة بدون لغة تحمل هذه الصور الى مستويات ارقى. انهم يحتاجون الى الجد والجهد للوصول الى ذواتهم اولا ومن ثم الى الجمهور ولا انسى ان التراجع في الحركة الادبية عامة قد اثر على تسارع تميزهم وابداعهم ولكنني اشعر بهم يربون كالدم في الخلايا ، وارجو لهم التوفيق في الابداع والعطاء ولا معنى لذكر الاسماء فقد يطول الشـــرح .

خليـل تومـــا

• هؤلاء هم الامل ويمنحون النفس اطمئنانها على حيوية واستمرار الحركة الادبية ومن حقهم ان ينالوا كل رعاية وتشجيع ، وبالتأكيد ستظهر من بينهم اسماء لامعة ، انها الدوالي التي ستعرش ساحاتنا ان كثرتهم التي تثير حفيظة البعض وسخريته احيانا ما هي الا دلالة حيوية وحياة ففي سباقات الركض تفخر امة بضخامة العدد المشارك لأن ذلك يعبر عن شبابها ونشاطها رغم ان القليل فقط سيقطع المسافة كلها والاقل منه سيختصر الزمن ويشارك في السباقات العالميـــة .

ولا يقلقني التعثر والتلكؤ والتراجع احيانا فعمر نهضتنا الشعرية الحديثة لم يتجاوز عمر الاحتلال. صحيح ان اجنحة هذا

Digitized by Birzeit University Library

الشعر تعاني ضعفا عاما في عضلاتها الفنية ويرجع ذلك الى تفاوت المواهب والدراسة والانفتاح على التجارب والمدارس العالمية، وصحيح انها تعاني من ضعف ثقافي والثقافة هي قاعدة اساسية بامكانها ان تفرز شعرا جيدا وصحيح انها تعاني من سطحية وضعف في وعيها السياسي والطبقي الا انه سيتم تجاوز كل ذلك ويؤكد تفاؤلي ان هناك انتاجا اخذ يشق طريقه بنجاح كما ان ما ينتجه هؤلاء يلتزم بالقضايا الوطنية والشعبية وينطلق منها على درجات متفاوتة اما القضايا والهموم الذاتية فلا تكاد تظهر في انتاجهم وان ظهرت فبمدى ارتباطها بالقضايا والهموم العامة،اليس ذلك وعدا واملا ؟! .

ان هذا الشعر بحاجة الى نقد يأخذ بيده توجيها وتشجيعا دون اطراء في غير محله او تحامل لا مبرر له وان ينظر اليه بموضوعية

عبد الناصر صالح

● لقد اجبت على جزء من هذا السؤال، وذلك في سياق اجابتي على السؤال الاول عن اسباب تراجع الحركة الشعرية في الارض المحتلة . اقول، ان السبب في ذلك هو قلة او عدم اطلاع الشعراء الشبان على الثقافة التقدمية العربية والعالمية وفقدانهم للتجربة واعتمادهم على الذاكرة فقط ، وهذه الاسباب تؤدي، بالتالي، الى شعر عقيم مجرد من الاصالة والابداع . فالموهبة الشعرية غير كافية لعملية الكتابة بل هي بحاجة الى صقل ثقافي وتغذية ثقافية باستمرار ، وبدون ذلك تموت الموهبة وتتلاشى ، ويفقد الشاعر استعداده للكتابة، كما يفقد القدرة عليها، وهذا ما يحصل فعلا عند بعض الشعراء الشبان في الضفة والقطاع .

ان تطوير الشاعر لثقافته وادواته هو امر ضروري وهام في عملية الكتابة، ذلك ان عملية الكتابة ، هي عملية صعبة ومعقدة تحتاج الى ثقافة عالية وافق ثقافي واسع .

ولا شك انه يوجد عندنا من الشعراء الشبان من يحاولون تطوير انفسهم ثقافيا واذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : يوسف حامد ، توفيق الحاج، سعيد الغزالي عدنان ضميري، المتوكل طه ، سميح فرح، ماجد الدجاني، عدنان الصباح وغيرهم يسيرون بخطى ثابتة وجادة على طريق تطوير انفسهم وتطوير ثقافتهم للوصول الى صوتهم الشعري الخاص بهم والتخلص من اصوات غيرهم من الشعراء الفلسطينيين والعرب .

عادل الاسطة

● كثير منه ليس بشعر ، والقليل الباقي تمر ساذج تنقص اصحابه التجربة الحقيقية والصقل

==========

— ما هي اسباب انخفاض المستوى النقدي في الحركة الثقافية بالضفة والقطاع؟

==========

عادل الاسطة

● حين يكون هناك ابداع قد يكون هناك نقد . ولكن اذا كان معظم الابداع — تجاوزا — فيه من الضحالة الشيء الكثير فما الذي سيقوله الناقد .

اعترف ايضا ان النقاد يشاركون ولو بجزء في الحركة الثقافية التي تراجعت منذ عام ١٩٨٠ وما بعد .

خليل توما

● الضعف في هذا المجال هو الضعف نفسه

Digitized by Birzeit University Library

الذى يواجه الحركة الادبية، وهناك محاولات جيدة وناجحة، الا انه مما يلفت النظر غياب النقاد المتخصصين في النقد فمعظم الذين كتبوا فيه هم كتاب اجناس ادبية اخرى وقدموا اجتهادهم في مجال النقد، والحاجة تدعو الى دم جديد دارس ومطّلع وهناك طاقات اكاديمية متنورة يجب اخراجها من عزلتها وزجها في هذا الميدان، ذلك سيبعث الحياة في النقد المحلي ويحرك مياهه الساكنة. وكخطوة لتحقيق ذلك لا بد من تخليص هؤلاء الاكاديميين او النقاد المحتملين من استخفافهم بالانتاج المحلي واقناعهم بالاهمية القصوى لمساهمتهم النقدية في بناء صرحنا الادبي وتوجيهه . ان جامعاتنا مدعوة للتفاعل مع الحركة الادبية في هذا المجال، وعلينا ان نتذكر اننا في الضفة والقطاع ورغم اننا نشكل المجتمع الفلسطيني المتكامل الوحيد الا ان هذا المجتمع يعمل بأقل من نصف طاقاته اذ أن اكثر من نصف شعبنا يعيش في الشتات خارج الوطن نتيجة استمرار الاحتلال وهذا - بالتأكيد - يحرم الفعاليات الادبية والثقافية الفلسطينية من التكامل والتفاعل ويؤدي بالتالي الى الضعف الذى تتحدث عنه في كل المجالات ـ الاحتلال اذن هو سبب جوهرى فيما تحدثنا عنه من ضعف في كل المجالات .

عبد الناصر صالـــح

• ليس هناك حركة نقدية بالمعنى الحقيقي في الضفة الغربية وقطاع غزة، وانما هناك آراء نقدية مزاجية متقلبة لا تخضع لمنهج نقدى معين. فالنقد يخضع لمزاجية الناقد وأهوائه ونزواته، وبالتالي يصدر حكمه على العمل الادبـــي .

النقد الادبي يحتاج الى منهاج ونظرية نقدية يقوم الناقد بتحليل العمل الادبي على اسسها . ونقادنا يفتقرون الى مثل هذه النظرية والمنهاج ، نحن بحاجة الى نقد تنظيرى يحلل العمل الادبي ويفسره من الداخل، وهي عملية معقدة تحتاج الى جهد مستمر ومتواصل. انا متفائل بالنسبة لهذا الموضوع فهناك خطوات جادة يسير بها الاستاذ القاص والناقد صبحي شحرورى محاولا تحليل العمل الادبي معتمدا على اساس نقدى منهجي ،وهو الوحيد في هذا المضمار الذى يسعى الى تطوير النقد في الضفة والقطاع وجعله يخضع لنظرية ومنهاج .

وهناك نقاد آخرون حريصون على تطوير الحركة النقدية والادبية في الارض المحتلة مثل الاستاذ الناقد محمد البطراوى، عادل الاسطة، ابراهيم العلم، قسطندى الشوملي، فايز محارمة وغيرهـــم .

عبد اللطيـف عقـــل

• النقد يتراجع الى ضعف التفاعل بينه وبين النماذج الابداعية فاذا صدق ان ازمة الانتاج مستحكمة فانه يصدق ـ بالضرورة ـ ان هناك ازمة نقد ايضا . ان دور النقد في اثراء الحركة الثقافية لا يحتاج الى تأكيد . ولكن النقد في الارض المحتلة يعاني من اشكالات النقد في العالم العربي، فهو في الغالب ذاتي يعتمد على الانطباعات الاولية ولا يعتمد الموضوعية الى جانب انه يتأثر بالانتماءات الايدولوجية والسياسية والعلاقات الشخصية ولكن هناك مجموعة ـ ولو انها قليلة العدد ـ تأخذ قضية النقد بصورة جـــادة .

Digitized by Birzeit University Library

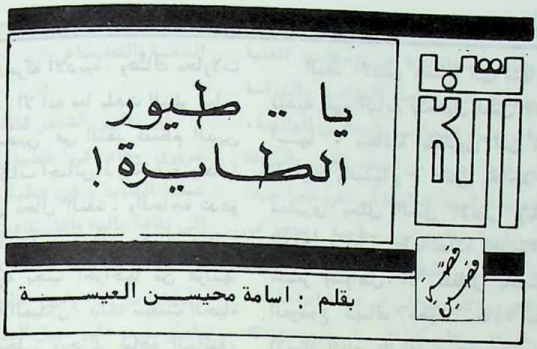

" عندما امرت الام على ولدها الابتعاد شمالا ، قال لها دامع العينين : انت تعرفين وصية ابي :لتكن دايما وجهتك جهة الجنوب ، .. انها وحدها توصلك الى بلدك ...."

" ياسين رفاعية "

ناحت الخالة " فريدة" على عتبة البيت ، ... وجهها يشوبه بعض شحوب ، ... العينان تجويفان تنضح منهما قطرات بيضاء ...، انزاح غطاء الرأس وكشف عن شعر منهدل على الظهر والكتفين ..،... وعلى غير عادتها عندما تعود من زيارة لعمان..، لم تكن تحمل اى شيء ...،... باستثناء كيس يحوى بعض حاجياتها الضرورية قذفته على اول كرسي صادفها ، .. عرفنا بكلمات باردة .. تثقل الصدر ان " ابو وضاح"، .. جارنا في المخيم . وجارنا في القرية البعيدة مات .. ، " ابو وضاح" ارجل الجنوبي المحبوب مات في عمان التي وصلها ذات يوم حزيراني قائظ ...، ... كلمات ... تتجمع في خبر قد يتناقله القلة الذين يذكرونه في المخيم .. يترحمون عليه .. ويدعون له بان تكون الجنة مثواه ، ... وربما يكون جزء من حديثهم في المقهى... او على سهرة امام التلفزيون .. يلفت نظر أبنائهم .. فيسألون .. بدافع اعجاب .. او فضول .. او احساس بحب للرجل، وربما يجد الخالة" فريدة" تبكيه ...،... المؤكد انه مات وذهب الى حيث لا يعود وقبل ان توصل " الطيور الطايرة" اشجانه وسلاماته الى قريته الجنوبية :

يا الطيور الطايرة ...
في الجو عليّ ....
سلميلي ع اللي صدى
سلامهم بالقلب علي

Digitized by Birzeit University Library

وان رحت لبلادنا يا طير
بوسلي الارض اللي طول
عمرها .. بالقلب واللـــه ..."

كانت قريتـــه الجنوبيـــة :ـ

" أكوس بلد في الدنيا .. بلد مباركة فيها مقام النبي زكريا ابو يحيي وجامع صغير .. وذكريات عن احداث النصف الثامن من الثلاثينات، فيها سنين العمر الاولى .. والشيخ داوود ... كنت احمل له تحت الاباط رغيف الخبز والبيضة .. واذهب للساحة للدرس، آه .. ما أجملها من ايام .. وقبل ان يعلن " حس الاسمر " آذان الظهر أحمل نفسي .. راكضا الى حضن الجدة في البيت ، .. اجد عندها الدفء .. دائما الدفء ، التي بقيت لي الان في شخص ابنتي هند من رائحة بلدنا .. " اكوس بلد في الدنيـــا "

والجنوب حبه العظيم .. يدغدغه الحنين اليه، .. هواء طيب عليل، الماء احلى من زمزم ، ... والارض التي تخبئ اسلحة الثوار وتحفظ السر، " ارض الجنوب ... ما بتقول عليّ في بطنها . " يا ولد " ، .. وحين حل الرحيل في تلك الليلة ودخل اليهود البلد

اختبأنـــا في " خربة الحبح "... على حدود البلد من الجهة القبلية اذكر ذلك تماما . نمنا ليلتين .. وما اصعبها ، ... شيء لا يتصور، لم يغمض لنا جفن، ... دموع ... رجال ... نساء ... وأولاد يفقدون اعز شيء في الدنيا .. العقل مسطول على الذى يحدث . والقلب عليل .. زعلان ع الزمن اللي جار علينا ، .. وفي صباح اليوم الثاني .. جاء من يخبرنا . استشهاد اولاد احمد علي الثلاثة، ... حشروهم اليهود .. هم وهدبه ام زوجة محمد رزق وأبنها الصغير في " مراح العدس " .. عند وادى بولص .. اجمل المناطق في بلدنا .. كنا نزرعها بساتين خضراء ... بندورة .. كوسا .. ، كان مع اليهود واحد عربي قالوا من ابو غوش، .. اطنبت هدبه على عرضه ... ودمه .... ولحم ولاياه، . رطن لليهود .. وبعد تمنع .. وأخذ وعطاء .. وبكاء ... ورجاء ... لابن ابو غوش واليهود ، ... تركوها تجرى وابنها يجرى وراءها ... حتى وصلت خربة " البرموك "... على حدود " بيت نتيف "..... وهنالك سمعت طلقات برودة تأتي من من "مراح العدس" ... ... في الصباح عرفنا ان اثنين قتلا ... والثالث ، وكان اصغرهم حاول المقاومة .. هرب .. فكانت طلقات استقرت في صدره سمعتها هدبه من ع حدود بيت نتيف ، ... في ذلك الصباح كان رحيـل ".

كان لرحيل الاول ، ... ولم يكن احد يعرف انه الاول، ... واصر " ابو وضاح " انه يقيم في الجنوب ... ويلد ابنائه فيه، ... سيكون قريبا ...، ... ويكون عتوانا سهلا للغياب عندما يعودون ذات يوم .. لن يتعبوا .... يجهدون انفسهم ، ... فقط ... يسألون اى شخص في ازقة بيت لحم العتيقة .. ينظر تحت قبابها عن العاصمة ...،

Digitized by Birzeit University Library

ليبتسم . لهم ويقول :

- مخيم الدهيشة هنـــاك ...!!

وهو هنا .. امتداد الجذر ...، ووعد النبوءة ...،.... وعشق دائم الحضور..!!

يـــا الطيـــور الطايـــرة

روحـي لديـــرة هلـــي ...

وخـــذى روح " ابـو وضـاح " زيـن هلـي

ابذريهـا فـي ارض العـز والكـــــرم "

كانت الخالة "فريدة" تنوح ..، فأبو وضاح مضى فعلا ويبدو انني لن اراه مرة اخرى...١١

xxxxxxxx

الناس في المخيم كلهم مميزون ...، ... و"ابو وضاح" يعرفه الجميع علاقاته متشعبة مع كل الوافدين، ..واسعة .. وقوية، ... يبث فيهم الامل .. ويمنيهم برجوع قريب، .. المسألة ليست طويلة .. اسبوع ... اسبوعان ... شهر ، صوته يعلو على الجميع ، .... في الخيـام . والحوارى ... والزواريـــب ... والجامـــع :

" رايحين نرجع ... باذن الله رايحين نرجع ...، المسألة مسألة وقت ، ... استعيذوا بالله يا ناس ... واتقوا اوهام شر الوسواس الخناس ...،.... شدة وبتزول، ومش انتوا اللي بتتكسروا امام الصعاب، اجعلوا قلوبكم قوية ...، احتفظوا بكواشين الارض ... ولا تعرطوا فيها ، ... الله معنا وما ضاع حق ووراءه مطالـــب "

وعندما طال الامر ايام .. اسابيع .. سنون، ..واخذت جذوة الامل تخبو في قرارة الكثيرين، لم تهن نبرة " ابو وضاح " ... ولم تضعف ، لم يخفت الصوت .. ولم يهن ، استمر في عادته ، كل عيد يصحو مبكرا .. ، يصلي وراء الشيخ في الجامع ، ...ويدور على الجميع يسلم عليهم ، يختزل احزان ايام خوال ويبعث الامل في قلوب تتسع لحب كل الدنيا ...،... يضغط بكلتا يديه ... ويتمتم بثقـة :

- عيدنـا يـوم عودتنـــا ١١٠٠٠

وكنت تراه يباغت الرجال في ساحة بيت المختار، .. الذين تجمعوا لسماع الاخبار من المذياع الوحيد في المخيم، .. يوم توزيع الوكالة للمؤن ، .. يقول بعنـــاد :

- اطمئنوا .. مابقي اكثر مما مضى .. اصبروا رايحين نرجـــع ١١٠٠٠

وعندما يحتد النقاش مع مشاكس، ... او شخص قتل الامل في قلبه ... يصرخ :

- عهد علي اذا لم نرجع .. تذهب " ام وضاح " طالقا ١١١٠٠٠٠

خافت المسكينة على زوجها ...، الذى لا يكل من الطواف طوال النهار ... " لا شغلة .. ولا عملة " ،... تحيرها تصرفاته ...، هل اصابه مسا من الجنون، ... فاقت

Digitized by Birzeit University Library

المسكينة على زوجها . و " عشرة" سنين طوال عجاف ... ومن عدم السترة آخر العمر..!

الناس ، .. كل الناس في المخيم يحتفظون بسمات من قراهم المنسية، .. الجدة التي اشترت كفنها وعطر الموتى واخفت ذلك في الصندوق الخشبي مثل الذى تركته في البلد بالضبط ، .. تربي " الخرفان و " الاغنام"، وابنها يرعى شجيرات قليلة .. "ليمون ..." توت"... "لوز" بحجم المساحة الضيقة امام بيت المخيم ..واحيانا ترتفع امام بيته شجرة " سرو " فارعة .. يتسلقها اطفال الحارة .. يحفرون اسماءهم على ساقها ... ويكسرون جذوعها ...!!، وبخط ليس جيدا ترتفع لافتة تشير الى " دكان " .. الرفاتي" .. او " فلافل الويحجـــي" ...!! كل ذلك يسعد " ابو وضاح " ويثلج صدره،.. ويسلمه بحوافز الامل ... وعوامل الاستمراريـــة ....

وفيما كان " الشقيرى " يجوب مخيمات غزة ...، بدأ " ابو وضاح يجمع كواشين الطابو ... ينفض عنها الغبار .. يزيح كيس الشمع الذى يحيط بها ، .. لم يعد بحاجه اليه، الرجوع قريب ...، .... و"بلكي على يدها الشقيرى... يكون الرجوع "، ... قاد " ابو وضاح المظاهرات ، ... حشد الناس وهتف فيهم ، .. وهم يرددون من ورائه .

ايام " السموع" ... ! ، ركب الحمار وفزع ...، كان معه الحلاق الارمني ، ... الذى ذبحت الرجعية التركية، ذات يوم لم تبزغ فيه الشمس جميع افراد عائلته ولم يبق منهم الا هو حلاقا في بيت لحم .. يعيش قضية وهم ... صديقا لابي وضاح منذ اللجوء ...، .. الحلاق الارمني معه الى السموع ... ، ما امرها من ايام ... شباب مثل الزهور اليانعة تذوى، حماس يتأجج .. بلا فائدة، ... اسلحة فاسدة، ... لقد كانت مؤامرة اشترك فيها ذوو القربـــــي ...!!

" ، .. بعد السموع ...، حزنت وبعثت مع الطيور الطايرة اشكو الى قلبي الذى نسيته في البلد الجنوبي ، كنت استمع خلسة لاذاعة صوت العرب في دكان الارمني، كبونا ، ... شمعوا الدكان وغبنا شهور طوال في الحبس رأينا فيها نار جهنم .. ، يشتمون بعضهم البعض في الظاهر ... ، وفي الخفاء يتآمرون علينا ، ... مفيش رجل ابن ابوه يخلصنا من كم واحد منهم ...؟!، ام انهم يتمتعون بعناية الالهة .. والله الواحد اخرته يكفر، ...، استغفر الله من الشيطان الرجيـــــم ...!!"

xxxxxxxxx

مات " ابو وضاح " ...!!
بكى الحلاق الارمني .. وبكت الخالة فريـــدة ...!!
حزنـــت انـــا ...!!
ناحت عليه " الطيـــور الطايـــرة ...!!
ولم يأبـــه كثيـــرون ...!!

Digitized by Birzeit University Library

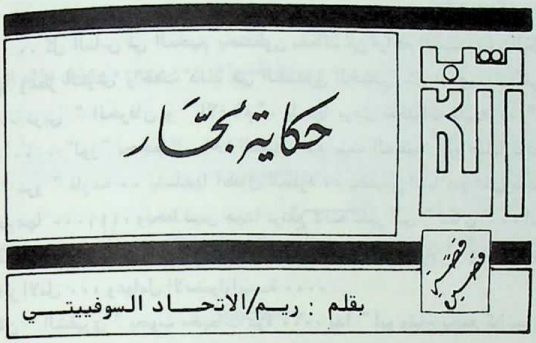

من قال ان الميناء يعرف النوم ! من قال ان الحركة ليست مستمرة ليلا نهارا ! من قال ان سكون الليل لا تمزقه اصوات الرافعات عشرات المرات، بل آلاف المرات في الليلة الواحدة . من قال ان صوت مراقب الميناء المزعج لا يسمع في الليل ! ذلك الانسان الذى لا يعرف ان الحديث ممكن ان يكون ايضا بصوت منخفـــض ؟

من لا يصدق ان الحركة دائمة في الميناء ، فليذهب ليلاً هناك ، ويرى بأم عينيه، ليرى صيادي السمك في ساعات الفجر الاولى ، يجرون قواربهم وينصبون شباكهم في عرض البحار، ليحضروا لنا الاسماك الطازجة قبل ان تنهـض من نومنـــا !

سافرت لفترة طويلة من الزمن، ولم أرَ الميناء منذ مدة ، ولكنني عندما عدت، وذهبت صوب الميناء وجدته كما هو ، فمن بعيد سمعت ضجيجه المتواصل الذى يعلن عن وجوده بكل اصرار، وعندما اقتربت لمحت مراقب الميناء وقد تقدم به السن قليلا، لمحت هذا الحمال الهرم الذى كنت اعرفه شاباً يافعاً، كنت احسده في سرى على قوة جسمه ،وكان يبتسم لي دائما، والان عرفني وابتسم لي. وحانة الميناء ذات الطابع المميز، كما هي، الموسيقى الصاخبة تسمع من على بُعد، والبحارة يرتادونها لفترة راحة بسيطة يملأون اجوافهم بأكواب البيرة المثلجة التي يطلبونها كوبا اثر آخر، ويتلذذون بشربها مع السمك المملح. وحديث البحارة المليء بالحيوية عن البحار واسرارها وعجائب البلدان والأسفار، واحاديث الرجولة والرجال وحوريات البحـــار .

ولكن، قفوا ، تمهلوا قليلا، فانا أذكر، ان حديث الحانة تغير ذات يوم ،قبل العاشر من شباط، بيوم ، بسنة، باثنتين، لا اذكر بالضبط ... اذكر هذا البحار الذى دخل الحانة ذات يوم، فصمتت الحانة، حتى اننا كنا نسمع بوضوح وقع اقدامه وهو يخطو في الحانة، الى ان جلس على طاولة بكل هيبة ووقار . كان يرتدى معطفا قديما ، ولكنه بالنسبة للبحارة فاخر

Digitized by Birzeit University Library

النوع، وعندما ادخل يده في جيب معطفه ، نظر الجميع بانتباه وشغف لما سوف يفعله ، فاخرج غليونه وأخذ في التدخين. اقترب منه البحارة ، فاخذ يحدثهم بعد كأس البيرة الثالثة عن مغامراته في المحيطات ، وعن الاسماك المفترسة منها بشكل خاص، وعن البواخر وأنواعها واقوى اصنافها ، وعن عجائب البلدان ، والحدائق المعلقة، وجنة الخلد في اليمن ، وسور الصين العظيم ، والمياه الاقليمية حتى قبرص.

توقف ضجيج الحانة عندما انطلق صوت صافرة قوية، لم يسمعها احد من قبل فخرج الجميع الى رصيف الميناء ، ونظروا صوب البحر، فرأوا باخرة لم ترها اعينهم من قبل تمخر عباب الماء متجهه صوب الميـــــناء .

عندما وقف صديقنا البحار ــ ولنسميه السندباد مجازا ــ وقف كالمختال ، واخذ يخطب في الجمع مفتخرا بالباخرة ، باخرته هو ،قادمة اليه ، قادمة الى ربانهـــــا .

واحتضنت الباخرة عددا كبيرا من بحارة الميناء ، وكان صديقنا السندباد واحداً منهم .. وكان من عادته ، عندما يذهب الجميع للنوم ، ان يجلس على ظهر الباخرة، يفكر ويفكر باحلامه وأمانيه الشخصية، وفي احدى الليالي وعندما كان على ظهر الباخرة، ارتطمت موجة بها ، فظنها عاصفة قوية ستحطمها وتمزقها إربا إربا ، فاسرع الى قارب النجاة والقى بنفسه فيه كالمهووس. واخذ يجدف مبتعـــــدا .

ضحك البحارة في الصباح عندما افتقدوه وقارب النجاه ... هدا الذى يتحدث عن البواخر واقواها ، يهرب عند ارتطام موجة خفيفة بباخرة قوية .. " مروا به في اليوم التالي فالقوا له بطوق النجاة ، ولكنه لم يلتفت اليهـــم".

xxxxxxxx

حانة الميناء مازالت تعج بالحركة والضجيج ، والبحارة يتحدثون عن الباخرة القوية وسرعتها في قطع المسافات، وعن كاسحة الجليد التي تزودت بها لتمكنها من السير قُدماً في حالة تجمد مياه البحـــــار .

ونسي البحارة امر السندباد ، الى ان عادوا ذات يوم من رحلة بعيدة، ليحدثوا ، بعد ان اقسموا بشرفهم وبشرف البحار والمحيطات، انهم رأوا السندباد يجدف بقاربه دون فائدة فوق المياه المتجمدة للمحيط المتجمد الشمالي، وعندما ساله احدهم عن وجهته ، قال مياه قبرص الاقليمية !

وذكره أحد البحارة انه عندما قفز الى قارب النجاة، نسي ان يأخذ معه البوصلة .

xxxxxxxxxxxx

Digitized by Birzeit University Library

حدّد خطاك ..!

أسعد الأسعد

اسميّـــكِ ريحـــاً
اسميّكِ عند انحباس الغيم حبّ النـــدى
اسميّـــكِ في هـــدأة الليـــل
ارتعـاشُ الفراشـــات
اسميّك ما شئتُ
لا ما شئـــتِ
ارسم شكلَكِ المحفورَ في قلبي
على جـدران قريتنـــا
على جناح الطيـر في الغابـــات
واكتب عند حدّ الغيـم
في الساحـــات في الطرقـــات
انـــتِ حبيبتـــي
وانـــتِ الريـحُ والمطـــر
وانـــت ارتعـاشُ الفراشـــات
وانكسـارُ الضـوءِ في المـــاء
ان هـــل القمـــرْ

قـــال الفتـــى
أضعتُـك في زحمـةِ الاحـداثِ
فسامحينـي وارحمـي عَجـزي
انـا المكسـورُ خاطِـرُه
هدتـــي اليتـمُ وعشـشَ الفقـرُ في حدقـات عينيّـا

Digitized by Birzeit University Library

انيتُكِ حاملاً همّي
انا المسافرُ فيكِ
ما مللتُ من السفرْ
وعساكرُ السلطان ما فتئتْ تطاردُني
وحواجز التفتيش باقية
تسائلني
عن وطنٍ اهربّه في الحنايا
واخشى ان ابوحَ به
اعياني الترحال في المدن الغريبة
حاملاً همّي
قال الفتى
انا المكسورُ خاطرُه
كلما حاولتُ رسمَ حدودِ احزاني
تفاجئُني اللحظة الحبلى باحزانٍ وأحزانٍ وأحزانِ
اعود محاولاً رسم خارطتي
وثانيةً أسير في الطرقات مضيّع الخطوِ حافياً عاري
عبثا احاول شدّ خطواتي
فقد مضغت نصفَ ارجليَ الحجارةُ
والريحُ ان عصفتْ
"مزّقت" نصفَها الثاني
وكالملدوغ جفّ لسانُه

اكادُ اموتُ من ظمأ
والماء في القنوات شلال
قال الفتى المكسورُ خاطرُه
كحبّ التوت يا سلمى تساقطنا
ولم تقوَ سواعدُنا
قاومتنا رياحُ الموجة الاولى
فهل كان رحيلُنا خطأ
أجيبيني
ام أننا اعتدنا على الترحال والسفر
فمدّت لنا العقبانُ اشرعةً
فابحرنا الى ساحات غربتنا
وقلنا :
لنا الساحاتُ يا سلمى وإن بعُدت
وبرّنا كما في كل ترحالٍ
وثانيةً اضعنا الحلم في الطرقات
لكنّا تأخرنا حين ادركنا بأن رحيلَنا موتٌ

Digitized by Birzeit University Library

وتسألني
لماذا ترتضي من باعَ بالامسِ احلامَكَ سيداً ؟!
من قال اني ارتضيتُ به ؟!
ابحرتُ لكنّي
ابقيتُ كلَّ سفائني
مرفوعةَ الصاري واشرعتي
لمّا تزل على الشطآن ما احترقت
يا صاحبي
أيها المكسور خاطرُه
ربّانُك المهزومُ باعكَ مرتين
فهل يبيعُك مرة اخرى
وهل ستعودُ ثانية لتمزقَ الكفين تصفيقا
لربانٍ يبيعُك للذى بالامسِ احرقَ ما بنيتْ
كفاكَ تمزقاً
حددْ خطاكَ
فالشمسُ آتيةٌ
ولسوف تحرقُ سيّداً
بالشمع شادَ سفينه

وا لهفَ قلبي ...
ضاع الفتى

إن لم تحدِّد خطوكَ القادمَ
يا صاحبي ...
ضاعت خطاك .

Digitized by Birzeit University Library

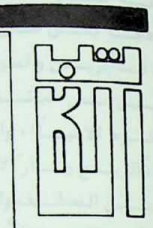

خليل توما

قصائد

صبح ما

بحرٌ من الظلماتِ
هذا شطكَ الصخرى يكشف عن قفاه وينحني
نحو المحيط وقهقهاتْ
وعلى تخوم الموج هذا الاسودِ اللزجِ البليدِ تجمعت
مثل الذباب العاهراتْ
يفتحن اذرعهن أهلاً يا حبيبْ
شكراً فقد اوصلت شعبك قبره والظامئين الى الطيب
ونظرت حولك لم تك الدنيا التي أملتها
فبصقت وانتفض التراب
من كل شبر يخرج الشهداء تنتصبُ العظام كما الحراب
والامهات عدون خلفك بالحجارة والنحيب
يا ايها الوثن المزيفْ
ايها الرجل المزيفْ
ايها البرق المزيفْ
ايها الفصل الغريبْ
الان يطويك المغيب

بحر من الظلماتِ
والشهداء يستولون قافلة الى أخرى
وجمجمة الى اخرى على المجدافِ
وانتصبت على الصارى يدْ

Digitized by Birzeit University Library

لا ضوء في هذا الهلام الاسود الممزوج بالقار
لا نسمة تهب الشراع عزيمة او بعض اعصار
والموج ضخّاب وحيتان بلا عدد وشطآن ذوت
وتآكلت والان يبلعنا المحيط
في جوفه تتوحد الانفاسُ والدم واللغاتُ
وتفور تلك الرغوة الاولى وترتعش الحياة فكم
ستنتظر القفارُ وقد اعدت نفسها لخلية اولى

- على الصارى يد
لحن تفتّق في اجاج الليل، قافلة الى أخرى
وجمجمه الى أخرى
وروح رف فوق اليم وانثقب الظلام .
وتسللت قطرات ضوءٍ ثم سالت
ايها الصبح الحقيقي الجميل !
ايها الصبح الجميل !!

باب إلى جهنم

من علق المعطف والرداءُ ؟
من خلع الحذاء ؟
من دخل الماخور من ؟
فالمشجب الماسيّ مثقلٌ
وهذه الاعلام والنجوم اى
لعنة هوت بها من السماء !

•

قد خمد النشيدُ
وانحسرت عن كوةِ التخشيبةِ الضياءُ
امسكتُ جلد ظهرى الذى اعاده العبيد
مزخرفا بالسوط والحذاء

•

اواه يا قاتلتي
اواه يا خالقتي

Digitized by Birzeit University Library

يا غضب الاشياء انت يا حرارة النداء
يا لهفة الدم المسافر الشقي للهواء
يا وهجًا يئن من بلادة الحديد من تخثر الوجوه من
مفاقة المتاجرين والمثرثرين من نجاسة
المنظرين من خباثة الرياء
يا أكرم الاشياء . واثمن الاشياء
سيدة الريح ونار الانبياء
من علق المعطف والرداء
من خلع الحذاء

تهويمة الظل

حدثني عن شجر يورق في دفء الوسادة
ثم يعرى في النهار
عن نجوم عندما يأوى الى غرفتنا الليل نجدها بين راحات الصغار
فاذا ادركها الصبح تولت ،
عن بحار ، تسكن الامواج فيها اذ يكون النوم قبطانا
فاذا ما انتحر القبطان جفّت
حدثني عن قلم يخصب في الليلة عشرين قصيدة
فاذا جاء النهار
بعقت في وجهه الشمس وعضته الشوارع
فلمن جمجمة الاوهام هذه ؟
انها ملك الغبار
ليس لي منها سوى الاحلام اذ تشوى وفجر النار
بين جسرين تعلقنا بحبل ومضينا

فلماذا نكتم الاسرار ؟
بعد حين سوف نهوى دون ان تقطع ارضاً
اصرخي في طرش البيد اصرخي :
يا أيها التجار ..
هذه الحرب التي لم تبتدى بعد ولمّا تنتهي قد علمتنا

Digitized by Birzeit University Library

ان اصنام المدينة، خدعتنا
فالى ان تنتهي الحرب وداعا
والى ان تبتدى الحرب وداعا
والى ان تلد الارض نبيا من جديد

● بطاقة إلى المستقبل

على وجهها استلقت الارض بين الكواكب كالطفلة الباكية
فصاحت بها الشمس يا ابنتي !
ومرت براحتها الحانية
على شعرها والخيول الجريحة في الشرق تصهل تحت صفيح السماء
وحدق عدنان في الافق القرمزى وشم الهواء القليلَ
ودق بقبضته الرملَ، لم يأت بعدُ المطرُ
فعاد الى قبره وانتظر

انا العاشق العربي اضعت ظبائي ولم يبق
في قبضتي غير هذا الوتر
وجلد اعرّيه للريح
وانشره كشراع على عوسج الدرب والبَرْد مرٌ،
ومرٌ هو الحب والانتظار
على تلة في (يَبوسَ) اضعت ظبائي فطاردتها
غير اني اضعت حذائي ، فالقيت جسمي الى ظلِ
زيتونة، خانني انبيائي، فما الساعة الانَ ؟
فجرٌ من الأقحوان الذبيح اضاء المحاجر ثم اختفى
ولم يبق في قدح الحلم منه سوى الوهم والقهقهاتْ
وحبل تدلى على كل بابٍ
وكانت بلادٌ ورائي
تحدث شيطانها الاجنبي عن السهرة التاليةُ
وتكتب مسودة لرثائي

وهذا السفار الطويل الطويل على صهوة الموتِ

Digitized by Birzeit University Library

عمّد في الريح وجهي واطلقني في سديم المجرة سهما
فهل اوقظ الله قبل فوات الأوان
وتنمو على جرحنا قمة للعصافير لا
تعرف الافعوان طريقا لاعشاشها
ولا يتطاول سيف على عنق الاقحوان

●

وكان انتصاف الظلام على ضفتيك
فقام من القحط جيش وصلى عليك
فباركته عدة وقلوبا
وأيار اشعل في الارض نارا
فذاب الصقيع اخضرارا
وكانت ظبائي على راحتيك
وكانت ظبائي على راحتيك

Digitized by Birzeit University Library

لا بُدّ من التلاقي

بقلم : يوسف حامد

بينما كنا
على السيفِ ،
وبالسيف
نمضي
كان الليلُ
يُغلق الحظ
وكان العساكر
قيدهم ،
قاسي
وفي الليلِ
دَلك الليلُ
كان الحصار
يطارد القلبَ
والبِلُ
كان لساعدي
يعلو
وأحياناً
وقت اشتداد الفقرِ
كنت على علوٍ
شامخٍ

رافضٍ
كنت أهوي
وكانت يدي
تُعلن أن
من لوث الأفُقَ
وبدَّد السُحُبَ
وجفَّف المطرَ ،
كان جداراً
سرعان ما انهار
وأن الغيبَ
الوهم
على كتفيّ
بين الكل
ربت
نحن من
تحكمنا انظمة
نتنة ،
وبارخة
نحن حكوماتنا المستلم
لم تدر الظهر

Digitized by Birzeit University Library

بل أدارت
يوم اشتداد الحرب
لاسرائيل
الاقفية ..
من أوقعنا .....
فلنعترف
اوقعنا رقص الحبال
وجنح الخيال
وتعبُ الادمغة
الرأسّ :
هذا الرأس
مال الى اليمين

والوجه ،
من شدة الطعنِ
من شدة الجوعِ
من حر الصدمة
بين أوساخ العواصم
غافٍ
كالح
وناسٍ
ايها الحلم :
الذى خان
يوم التقينا
الحقائق
كل الحقائق
من شدة الذبح
امامنا الان

عارية
يا للغفلةِ
يوم الطعنةِ
هذا الوجه
من التفريط ،
أقربُ للقدم الحافية
أيها الموت

تدفق سريعا
من رئتي
تدفق من صمتي
من نهد أمي التي
أرضعتني
لكنني سأصرخ
أن بقاءنا مُرّ
وأن قتالنا مرّ
وأن صمودنا
باقٍ
أيها الموت تدفق
فلا بد
لمن يحرم في السجن
من الهواء ،
والدواء
لا بُدّ :
مع الرفاق
والشمس
من تلاقي
....

Digitized by Birzeit University Library

رسالة إلى المحرر

الكاتب العدد ٦٠، ايار ١٩٨٣

في عدد " الكاتب " رقم ٦٠ / نيسان لماضي، نشرتم موضوعا تحت عنوان " المرأة العاملة في خضم الصراع الفلسطيني" . وقد احتوى الموضوع المذكور على بعض الارقام والنسب والوقائع غير الدقيقة. ولما كان الموضوع يتعلق بالمرأة العاملة والحركة النقابية، ونقابتنا تحديداً ، فاننا نرى ضرورة توضيح بعض هذه الأمـــور :

١) جاء في الموضوع ان " نسبة العاملات الى مجموع القوة العاملة في الضفة الغربية وقطاع غزة ٣٠٪ عام ١٩٨٤".

ان هذه النسبة في رأينا مبالغ فيها جدا ولا ندرى اذا كان مركز الكتلة العماليـــة التقدمية المنسوب اليه - الاحصائية قد توصل فعلا الى هذه النسبة المرتفعة. كما ان اياً من المراجع والاحصاءات لم يقدم نسبة تزيد عن ١٨ ٪ ،ويدخل ضمن ذلك المعلمات في المدارس الحكومية ووكالة الغوث والمدارس الاهليـــة .

٢) تقول كاتبة المقال في موقع آخر : " ... وبرزت في اضراب عاملات مصنع تاكو للورق عام ١٩٧٦ في رام‌الله، وفي اضراب معلمي الحكومة والوكالة عام ١٩٨٢/٨١، وفي اضراب مصنع رانية للبسكويت عام ٨٣/٨٢ في رام‌الله، ومخيطة ازياء باريس في رام‌الله عام ١٩٨٤ ".

ان الاشارة الى اضراب مصنع تاكو غير دقيقة لان الاضراب المذكور كان اضرابا للعمال وليس للعاملات. واما اضراب عاملات مصنع رانية للبسكويت فلم يحصل ولم نسمع به ونحن على اتصال دائم مع عمال وعاملات هذا المصنع . وكذلك الأمر بالنسبة لعاملات مخيطة ازياء باريس اللواتي لم يضربن عام ١٩٨٤،كما تقول الكاتبة، ونحن ايضا على صلة دائمة بهـــــــن .

نرجو ان تتسع صفحات مجلتكـــم لهذا التوضيح الذى هدفنا منـــه تحرى الدقـــة والموضوعيـــــة .

امين سر نقابة عمال البناء والمؤسسات العامة في رام‌الله والبيـــرة

عدنـــان داغـــر

Digitized by Birzeit University Library

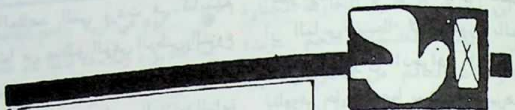

رسائل و ردود

يكتبها : محمد المطراوي

● يظلمني الزملاء اعضاء تحرير مجلة "الكاتب" فهم يدفعون اليّ بالاعمال الادبية التي يرون عدم صلاحيتها للنشر، او تلك الاعمال التي لا تتفق ومنهج المجلة في البحث او تخالف اهدافها المعرفية، او تلك الاعمال التي لم يسعفها الحظ فحكم عليها القلم الاحمر بالخنق. ولهذا كله اجدني مشفقا دائما مما سأكتبه من ردود، ذلك ان الكتاب يظنون انني شخصيا وراء رفض اعمالهم وعدم ظهورها على صفحات المجلة.

لا اكتب هذا الكلام تبريرا او تهربا مما اكتبه من ردود ، او لأنني لا اتفق مع زملائي اعضاء هيئة التحرير في حكمهم على الاعمال المرفوضة، ولكنني احببت ان اوضح للقراء والكتاب الذين يعتقدون ان من واجبي التشجيع ، اننا في " الكاتب " نهتم كثيرا بقضية التشجيع ، وان من اهم اهدافنا الثابتة، اظهار وخلق كتاب جدد .. ولكن هذا الهدف الثابت نسعى اليه من خلال رؤية محددة هي محاربة النموذج السيء في الكتابة والمنهج والهدف، لان " التشجيع " في هذه الحالة يندرج تحت قضية المشاركة في الإفساد الفني الذى يملأ الساحة هذه الايام.

ان التزامنا امام القارئ يحتم علينا ان لا نجامل احدا على حساب ما نقدمه على صفحات المجلة . ونحن نؤمن كذلك ان من واجبنا تقويم ذلك المنحى الذى يقود الكتاب المبتدئين الى سراب من الكتابة يعتقدون انها ادب او فن او ضرب من الابداع ولهذا فاننا معنيون بالرد الجاد الحازم على ما يصلنا من كتابة نرى فيها عدم الصلاحية للنشر لأنها تسير على نهج ذلك المنحى المذمر للبنية الجمالية. ولكننا رغم رفضنا لنشر بعض الاعمال الواردة الينا ننظر الى اصحابها بكل الاعزاز والتقدير، ذلك ان

Digitized by Birzeit University Library

المعاني والمقاصد التي وردت في كتابتهم تنطلق دائما من منطلق الوعي الوطني والنزوع الى التغيير نحو الافضل ، ولكن هذا التغيير نحو الافضل يتطلب من صاحبه الملائمة التامة بين الجوهر والمظهر ، بل توحدهما في العمل الفني الواحد ، والتغيير نحو الافضل لا يمكن ان يتم بوسائل فاسدة او ضعيفـــة .

لعل في هذه المقدمة بيان لموقف المجلة من ناحية ، ولما يظنه بعض القراء من اتهام شخصي لي بالتزمت والتشدد والقسوة على الاقلام الجديدة وعدم تشجيعها من ناحيـة اخـــرى .

" المحـــــرر "

● " بالوطنية الغجرى لمّ" موضوع يكتبه لنا صديق من غزة من كلية الاداب قسم علم اجتماع ، يتحدث فيه عن نمط من الناس يعيش على الخداع والسرقة ، ورغم رفض الكاتب لهذا الاسلوب في الحياة ، الا انه يقول : " السرقة علة الجوعان " ، ونحن لا نتفق مـــع الكاتب في تبريره هذا ، لأن السرقة التي يمارسها النمط الذى اورده الكاتب دفعت بصاحبها الى المزيد من التردى في الشرور .

ولكننا نلاحظ ان النموذج الذى اورده الكاتب هو نموذج الضحية الذى لم تسعفه علاقات المجتمع في الحصول على قوت يومه ، فلجأ الى الغش والحيلة والسرقة ، ثم أخذ الكاتب في صبّ جام غضبه على نموذجه هذا ، ..... ومع اتفاقنا مع الكاتب على ان الغش امر مرفوض تماما ، الا اننا نعتقد ان الكاتب لم يصب غضبه على الظروف التي اوجدت الفقر ودفعت بنموذجه الى الضلال ، ونعتقد ان الناس البسطاء لا يرضون بالغش منهجا لمعاشهم ، وان انحراف البعض هو نتيجة لظووف خارجة عما يرتضيه ضميرهم .. ويختم الكاتب موضوعه بقوله :" ليس هناك احقر من شخص تحطمت مجاديف ضميره" تحياتنا للصديق ونتمنى ان يكتب الينا باستمرار وان يتقصى الظواهر وأسبابها ، وان يشرع قلمه اداة للتغييـــــر .

● صديقة تكتب لنا خاطرة بعنوان" برقيا حبّ" تتحدث فيها عن الجوع في بعض بلدان العالم من خلال تأثرها لمشهد تلفزيوني عن اطفال جياع" الاطفال يعصرون ثدى امهم لعلهم يجدون بقايا حليب ، لكن كل المحاولات سراب .. يبكي الطفل ويصرخ وكأنه يوجه نداءاً للعالم ويسكت صوته وتجف الدموع على خديه وتهدأ ثورته التي اعلنها ليموت جائعا بين احضان امه ... !" كم اتمنى ان اتحول الى مخلوق غريب يبعدني عن عالم النفاق والاستغلال ويجعلني املك قوة غريبة لأغسل عار الانســـان !"

ايتها الصديقة ما هو السبب في الجوع الذى يصيب بعض شعوب العالم ؟.... هل هو الانسان اطلاقا ام بعض بني الانسان من طبقات تعيش على الثراء والاستغلال ليصبح الجوع ظاهرة مصاحبة لبقاء الطبقات ... ان ما تنفقه الدول الامبريالية على التسلح وصناعة الة الحرب والدمار هو ايضا ظاهرة مصاحبة للجوع في بعض انحاء عالمنا ، فالجوع والموت والتدمير الشامل للحياة كلها هو ذلك التجلي لسيطرة الامبريالية وتحكمها في مقدرات الشعوب . نعم ايتها

Digitized by Birzeit University Library

الصديقة ان لديك المقدرة الخارقة الجبارة انت وكل الناس الطيبين للجم عربدة الامبريالية وانقاذ العالم من الجوع والحرب والدمار . لن يذهب صوتك هباءا اذا ما اصبح هديرا مع اصوات حناجر الاخرين التي تهتف ضد الدمار والمـــــوت .

● ويكتب لنا الصديق النقابي " ابو جعفر" مقالا سياسيا بعنوان " الى كل الشرفاء من ابناء شعبنا الفلسطيني المناضل .. معا لنسقط المخطط الامبريالي" يتعرض فيه الى ما يدور على الساحة الفلسطينية من اخطار الانحراف اليميني والتقائه مع الرجعيات العربية. وكم كان من المجدى لو ان الصديق تناول موضوعه بالتحليل والدراسة، واعتماد المصادر بدل الخطابة والتعميم . وتحياتنا للصديق، ونؤكد معه ان جماهير شعبنا قادرة على القضاء على كل المخططات التصفوية واسقاط كل الاتفاقات التي لا تمثل ارادتهـــــا .

● وقصيدة بعنوان " صوت الام" ارسلها صديق لم نجد فيها مقومات النشر . وليعذرنا الصديـــــق .

● ويرسل لنا صديق من نابلس قصيدة بعنوان " نيسان" وقصيدة اخرى بعنوان "الصوت الفلسطيني" لم نتمكن من نشر اى منهما لظروف خارجة عن ارادتنا ونرجو الصديق ان يراجع اعماله وان يعطي اللغة شيئا من الاهتمـــــام .

● " يوم في قرية " اسم القصة التي ارسلها لنا صديق، وللاسف فاننا لم نتمكن من ادراج مـا كتبه الصديق تحت اسم قصه، فهي محاولة لكتابة تدور حول مشاكل الخريجيـن وعدم توفر فرص العمل لهم .. وبتحديد اكثر هي مشهد عن محاولة احد الصحفيين التعرف على مشاكل القرية، وعلى الرغم من ان هذه المشاكل كثيرة، ومشكلة الخريجيـن واحدة منها، وهي معروفة ومطروحة باستمرار في الصحافة المحلية، الا ان الكاتب لم يتعمق بحث هذه المشاكل، ولم يضف جديدا الى قضية الخريجين، ولكنه ، على العكس تماما يعرض المسألة بأسلوب مسطح خال من أى صياغة فنية، ولا تقوم القصة على وجود شخصية معسة محورية تدور حولها احداث القصة.. بل ان الحدث مفقود تماما ... الا اذا اعتبرنا زيارة الصحفي للقرية وحديثه مع بعض الاشخـاص حدثـــا .

على اى حال، فان الكاتب يمكن ان يتجاوز هذه السلبيات في كتابته، اذا ما حاول اعادة النظر في ما يكتبه، واعطى بعض الاهتمام لحركة الحياة وتفاعل الافراد معها، وما يمكن ان يخلقه هذا التفاعل من احداث تشكل الاساس المكين الذى تقوم عليه قصصه.

تحياتنا للكاتب ونرجو ان يكتب لنا باستمرار ، ونحن على ثقة بقدرته علـــى الكتابـــة .

Digitized by Birzeit University Library

الفلسطيني في الادب العبرى

سيقيم اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الاراضي المحتلة ندوة في الساعة الثانية من ظهر يوم الجمعة ١٠ ايار ١٩٨٥ وذلك في قاعة مجمع النقابات المهنية في بيت حنينا سيكون موضوع الندوة " الفلسطيني في الادب العبرى" ويشارك فيها انطوان شلحت وسلمان ناطور واخرون.

وتاتي هذه الندوة ضمن نشاطات اتحاد الكتاب من اجل تفعيل الحركة الادبية في الاراضي المحتلة.

ندوة هامة تعقدها هيئة تحرير مجلة النهج

عقدت هيئة تحرير مجلة النهج في دمشق ندوة جماهيرية شارك فيها مندوبو الاحزاب الشيوعية والعمالية العربية وقادة الفصائل الفلسطينية ومندوب عن الحزب الشيوعي السوفييتي بالاضافة الى الامين العام المساعد لحزب البعث السورى عبدالله الاحمر وعدد كبير من ممثلي الاحزاب والحركات والمنظمات الجماهيرية التقدمية في العالم العربي، وقد ركز المشاركون في كلماتهم على التنديد باتفاق عمان ومبارك بكافة المؤامرات التي تحيكها الامبريالية الامريكية وأطراف اليمين العربي، كما اشادت بدور المقاومة الوطنية اللبنانية وبدور سوريا في التصدى للمخططات الامبريالية في المنطقة . (الندوة نشرت في العدد الخامس من مجلة النهج).

العدد السابع عشر من مجلة التراث والمجتمع

بعد انقطاع عن الصدور زاد عن السنتين صدر العدد السابع عشر من مجلة التراث والمجتمع التي تصدر عن مركز الابحاث التابع لجمعية انعاش الاسرة في البيرة وقد احتوى هذا العدد الممتاز على العديد من المواضيع الفولكلورية القيمة .

لكع بن لكع " في جامعة القاهرة "

عرض فريق التمثيل على مسرح كلية التجارة بجامعة القاهرة مسرحية " لكع بن لكع" للكاتب الفلسطينيين اميل حبيبي ومن اخراج الفنان حسين عبد القادر الذى خاض لهذا العمل تجربة فريدة تتعدى حدود المسرح الجامعي ليصبح العرض مدرسة شاملة لتربية من نوع جديد تخلق وعيا ارقى لوظيفة الفن ليس في الوسط الطلابي فحسب بل وتنقل هذه الميزة الى جمهور متعطش لفن يفتح آفاق المستقبل ولمسرح يعكس معنى الالتزام

رسائل روزا لوكسمبرغ

صدرت في برلين في خمسة اجزاء رسائل الكاتبة والمناضلة روزا لوكسمبرغ حيث قام مركز الدراسات الماركسية اللينينية في المانيا الديموقراطية بجمع الرسائل من جميع العواصم الاوروبية.

Digitized by Birzeit University Library

اللوحتان الفائزتان بالجائزة الثانية مناصفة في " معرض الربيع الفلسطيني " الذى اقامته " رابطة التشكيليين الفلسطينيين في الضفة الغربيـــة وقطاع غزه " في قاعة الحكواتي بالقدس بتاريخ ١٠/٤/١٩٨٥.

اللوحة الاولى ـ قلعـة البوفـور لفتحـي عبـد والثانية لجـواد ابراهيم

Digitized by Birzeit University Library

« مظاهرة »

للفنان سليمان منصور

اللوحة الفائزة بالجائزة الأولى في معرض «الربيع الفلسطيني الذي أقامته » رابطة التشكيليين الفلسطينيين» في قاعة مسرح النزهة - الحكواتي في القدس بتاريخ ٨٥/٤/١٠.

AL-KATEB
For human culture and progress

Editor- Asa'd Al-Asa'd
P.O.Box 20489
Jerusalem

الكاتب
للثقافة الإنسانية والتقدم

61

Digitized by Birzeit University Library